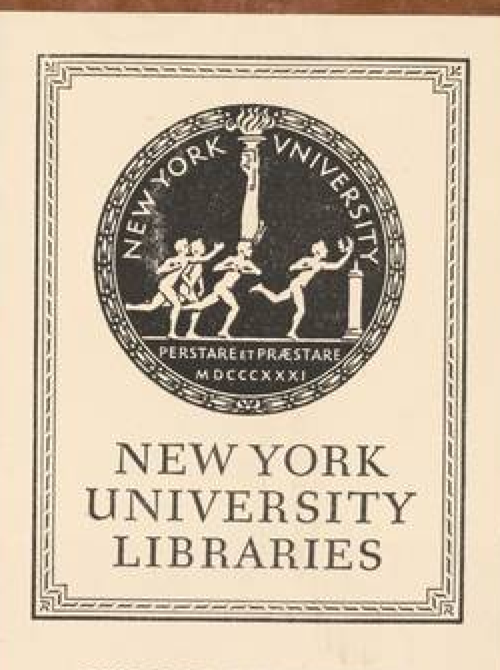





NEW YORK VNIVERSITY
PERSTARE ET PRÆSTARE
MDCCCXXXI

مباحث اجنبية في تاريخ لبنان

يوميات في لبنان

تاريخ وجغرافيا

فصول اختارها وترجمها عن الانكليزية

اسد شيخاني

من كتاب : مباحث توراتية عن فلسطين والاقاليم المجاورة

بقلم

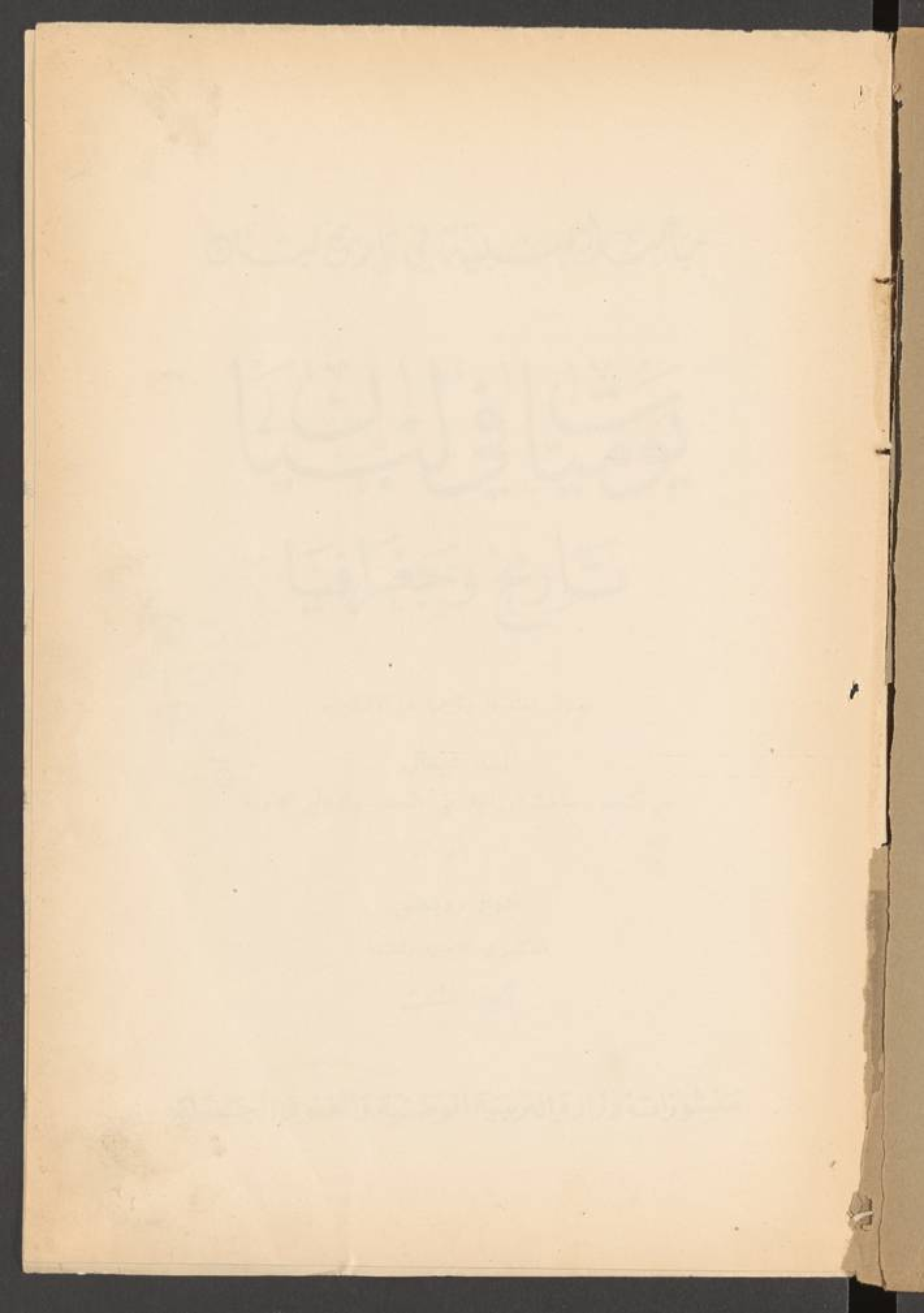
ادوار روبنصن

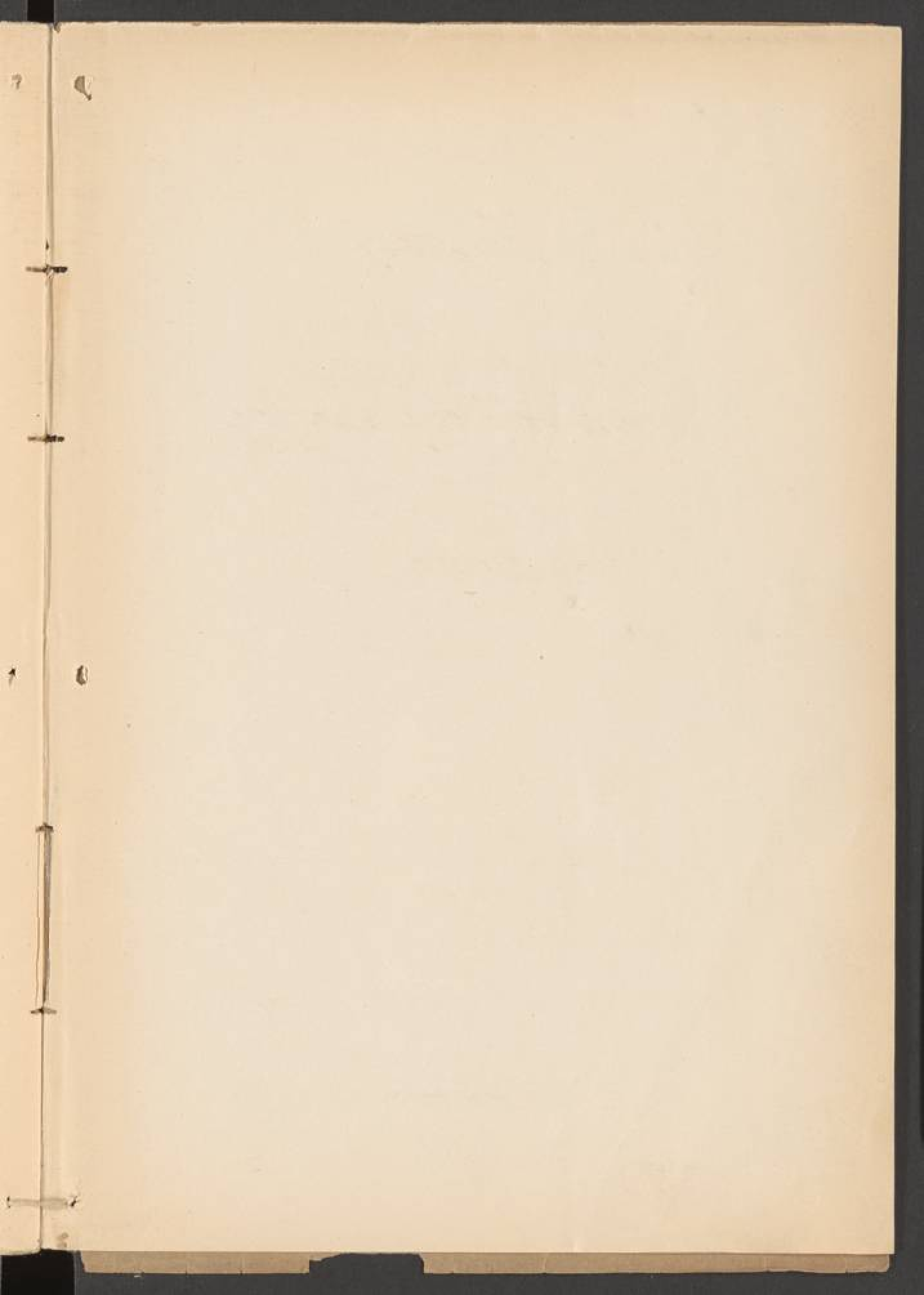
الدكتور في اللاهوت والفلسفة

الجزء الثالث

٤

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة





مباحث اجنبية في تاريخ لبنان

يوميات في لبنان

تاريخ وجغرافيا

فصول اختارها وترجمها عن الانكليزية

اسد شيخاني

من كتاب : مباحث توراتية عن فلسطين والاقاليم المجاورة

بقلم

ادوار روبنصن

الدكتور في اللاهوت والفلسفة

الجزء الثالث

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

عنوان الكتاب بالانكليزية

BIBLICAL RESEARCHES IN PALESTINE AND IN THE ADJACENT REGIONS

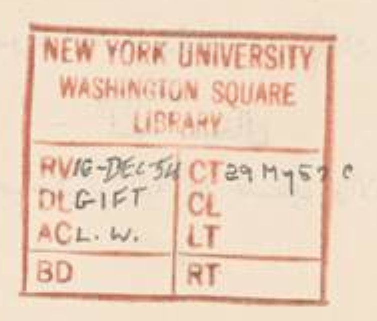
A JOURNAL OF TRAVELS IN THE YEAR 1838

BY

E. ROBINSON and E. SMITH

LONDON, 1860

V. 3



الطبعة الاولى ، بيروت — لبنان ، تشرين الثاني ١٩٥١

الهيكل الاصغر

يسمى هذا الهيكل بالهيكل الاصغر اذا قيس بجاره الجبار فحسب . وفيما خلا ذلك فهو ربما كان اكبر كثيراً من اي بناء قديم لم يزل قائماً في سوريا الغربية. يقوم هذا الهيكل على دكته المعقودة الاقل ارتفاعاً من دكة الهيكل الكبير . وليس له ساحة او شكل الهيكل الكبير ، ويبدو ان لا علاقة مباشرة له معه . ويعتبر وود ودوكينز ان طراز البنيان معاصر ومماثل تماماً للهيكل الكبير . ان طراز الهيكلين قورنثي . اما ساحته فلا تتجاوز صف الاعمدة والاروقة .

يقوم هذا الهيكل ، كما قلتُ سابقاً ، على موازاة صف اعمدة الهيكل الكبير . وتمتد جبهته بضع اقـدام شرقي زاوية المربع الكبير الجنوبية الغربيـة . يُرقى اليه من الشرق على مرقاة من ثلاثين درجة ، على كل من طرفيها حائط منخفض عليه نقوش ، تعلوه قاعـدة ارتفاعها خمس عشرة قدماً ، والقصد منها ولا ريب ان تكون قاعدة للتماثيل . في العـام ١٦٨٨ وصف دي لاروك de la Roque الدرج كأنه ما زال باقياً الى ذلك العهد[١]. اما الآن فجدران الحصن التركي تحتل تلك البقعة المذكورة .

طول هذا الهيكل كله مع الحنايا مئتان وخمس وعشرون قدماً تقريباً ، وعرضه نحو مئة وعشرين . اما قيـاس السلا ً

١ Voyage de Syrie etc. I. p. 108, Amst. 1723.
اما موندريل فلا يذكر شيئاً عن الدرج في العام ١٧٢٣ .

Cella من الخارج فهو مئة وستون قدماً طولاً ، وخمس وثمانون قدماً عرضاً . يحيط بهذه السلاّ صف فخم من الاعمدة ، عددها خمسة عشر عموداً على كل جانب ، وثمانية على كل طرف منها ، هذا اذا احصينا اعمدة الزوايا مرتين . في الطرف الشرقي وجد سابقاً صف ثان داخلي مؤلف من ستة اعمدة مخططة ، ثم عمودين آخرين بين هذه الاعمدة الستة واطراف الجدران الجانبية وقد مدت هنا لتؤلف الدهليز[1] . هذه الحنايا المزدوجة كانت تؤلف الرواق الشرقي ، وهو الان مندثر ، خلا القواعد ، وقد حلت محله جزئياً الجدران التركية . اما الاعمدة فهي مؤلفة من كتلتين او ثلاث على الاكثر كلها كتل ضخمة ، قطر اسفلها ست اقدام وثلاثة قراريط ، واعلاها خمس اقدام وثمانية قراريط . وهذه القطع مضمومة الى بعضها لزاً ، فلا يمكن ادخال حرف سكين بينها ، وقد ربطت الى بعضها بواسطة كلاليب او مسامير من حديد بدون ملاط . وهي مثبتة الى بعضها بصلابة حتى ان عموداً منها في الجانب الجنوبي زلق عن قاعدته وارتمى على حائط السلاّ بقوة ازاحت بعض الحجارة من اماكنها ، ولكنه لم ينكسر ولا يزال متكئاً على السلا . هنا ايضاً كسر اسفل الاعمدة للوصول الى الكلاليب الحديدية . وعلى طول الجوانب والطرف الغربي ، يبعد العمود ثماني اقدام ونصف القدم عن العمود الذي يليه ،

[1] يصف دي لاروك اربعة اعمدة اخرى من الرواق لم تزل قائمة بين جداري الدهليز الجانبين . ولا يظهر شيء من هذا الرسم الذي اخذه وود ودوكينز . ويتساءل بوكوك عن صحة رواية دي لاروك راجع : Pococke, II. i. p. 108.

والمسافة بين العمد والجدار تسع اقدام وثمانية قراريط . ولا تختلف المسافة بين العمود في الرواق الشرقي عنها في الغربي ، خلا المسافة بين الاعمدة الوسطى في كل صف منها ، وهي احدى عشرة قدماً ونصف القدم . هنا يبعد صفّا الاعمدة عن بعضها تسع اقدام ونصف القدم ، والصف الداخلي يبعد المسافة نفسها عن الاعمدة المفردة . وهذه الاعمدة المفردة تبعد ايضاً المسافة نفسها عن جدران الدهليز . ارتفاع الاعمدة مع التيجان الكورنثية خمس واربعون قدماً . وفوق هذه الاعمدة نضد من الحجارة ارتفاعه سبع اقدام ، مؤلف من افريز مزدوج او كورنيش دقيق الصنع وغاية في الاتقان[١] . يتصل هذا النضد ، من سائر انحائه بجدران السلا ، ببلاط ضخم من الحجر ، مقعر بعض الشيء من تحت ، وسطحه الاسفل منقوش نقشاً متشابكاً رائعاً . في وسط كل بلاطة شكل مسدس ضمنه تمثال نصفي او هيئة إله ، او بطل ، او امبراطور . وصوب زوايا البلاط اشكال سداسية اصغر من ذاك ضمنها هيئات شبيهة بتلك التي في الوسط. بين هذه الهيئات يمكن تمييز ليدا Leda وجانيميد Ganymede [٢] ، ولكن كلها مشوهة او مطموسة تقريباً . وهذا

١ Roberts Sketches of the Holy Land; Explan. of the plate Western Portico Baalbec.

٢ ليدا هي زوجة تيندار Tyndare ووالدة كاستور Castor وبولوكس Pollex وهيلانة Hélène و كليتمنتسر Clytemnestre ، احبها جوبيتر Jupiter فاتخذ شكل اوزة ليرضيها . جانيميد امير طروادة ، ابن تروس Tros والحورية كاليرويه Callirrhoé. اتخذ جوبيتر شكل نسر ، فاختطفه وجعله حامل كؤوس الآلهة . — المعرب .

البلاط شكّل سقفاً فوق الاعمدة يقصر الوصف عن جماله . وقد تهدم العديد من هذه الاعمدة وعدمت معها انضدتها وقطع من السقف ، وهذه كلها مرمية فوق بعضها او مبعثرة على الارض . وفي الوقت الحاضر ، لم يبق من الاعمدة القائمة في مكانها غير اربعة اعمدة في الجنوب ، وستة في الغرب ، وتسعة في الشمال[1] . وفي العام ١٧٥١ م ، رؤي تسعة اعمدة قائمة في الجنوب ، وثمانية (وهو عددها الكامل) في الطرف الغربي[2] .

اما عمق التعليز الذي قدام المدخل الكبير فهو اربع وعشرون قدماً ونصف القدم . وهذا المدخل يعد جوهرة الهيكل كله . فالاتقان والروعة والدقة في نقشه تفوق اي شيء مثلها في اي مكان آخر[3] . عرض هذا المدخل احدى وعشرون قدماً واربعة قراريط . اما ارتفاعه فلم نتمكن من معرفته لتراكم الردم على اسفله . اما قائمتاه فكل منها حجر واحد ، مغشيان بنقوش من الحلى النفيسة . واعتبته ثلاث قطع ضخمة منقوشة على الجانبين والاسفل نقشاً نفيساً رائعاً . على وجه التحتاني

١ Roberts Sketches, ibid.

٢ Wood and Dawkins, plates.

٣ واليك رأي الفنان المستر روبرتس في الباب: « ربما كان اكثر اتقاناً في صنعته، كما انه اكثر روعة في تفاصيله ، من اي عمل من نوعه في العالم . ولا يمكن القلم ان ينقل غير فكرة ضئيلة عن جماله . فورقة واحدة من اوراق النبات الشائك، وشجت عليها جوقة من الاولاد والاثمار، تكفي ان تمد وحدها اية في الفن.» – الحديث المختصر عن المدخل ، بعلبك .

شكل النسر المقنزع[١]، دقيق الصنعة جميلها، وهو يحمل بين مخالبه مخصرة[٢] وفي منقاده اكاليل طويلة من الزهر تتدلى على كل من الجانبين بينما الاطراف الاخرى تحملها الجن الطائرة . اما النسر فليس هو النسر الروماني كما يبدو من قنزعته . ولكن هذا الشكل نفسه موجود في هيكل الشمس العظيم في تدمر . ولذلك يعتبر فولني وغيره انه النسر الشرقي المكرس للشمس[٣] .

وعندما اخذ بوكوك و وود ودوكينز رسم هذا الباب ، كان لا يزال في حالة سليمة ، ولكن زلزال العام ١٧٥٩ م. هزه هزاً عنيفاً فزلق حجر الساكفة الاوسط وهبط عن مستواه بين رفيقيه ، وهو الان معلق في وسطه[٤] . وهكذا فصل النسر عن الجن على كلا الجانبين .

اما السلا فلا نوافذ لها ولا كوى ينفذ منهـــا النور . ولا يمكن الجزم بانها كانت قبلاً مسقوفة . وربما كانت كلها او القسم الاكبر منها غير مسقوفة باستثناء صف الاعمدة التابع لها . بجوار جانبي الرتاج ، اعمـدة ضخمة ، في قلب كل منها درج لولبي يرقى

١ المقنزع اي ذو قنزعة وهي عفرية الديك وعرفه . – المعرب .

٢ هي الصولجان الرسمي لهرمز او عطارد رسول الآلهة ، التف عليه ثعبانان وله في اعلاه جناحان . – المعرب .

٣ راجع عن النسر الشرقي : Volney, Voyage, II. p. 227 .

٤ في عهد فولني كان هذا الحجر قد هبط ثمانية انشات . راجع : Volney, Voyage, II. p. 222.
اما الان فقد هبط اكثر من ذلك .
ويقول دي سولسي انه هبط نحو يردين . راجع : De Saulcy, II. p. 604.

الى السطح . على طول الجوانب في الداخل اعمدة نصفية مثلمة ، تتخللها فجوات في اعلاها واسفلها ، ولكل فجوة منها نتوءات في اسفلها كالقواعد كأنها معدة لنصب التماثيل . اما الفجوات التحتانية فاعلاها مسنن ، والفجوات الفوقانية هي على شكل افاريز او قباب مثلثة . في الزوايا التي تتلو الرتاج ، عمد مزدوجة مثلمة كتلك التي في الجدل . اما صحن السلا فطوله نحو تسعين قدماً وعرضه اربع وسبعون . ويذكر المستر وود وجود صفين من الاسس يمتدان على طول الصحن ، ربما كان القصد منها فصل المماشي الجانبية عندما حُول الهيكل الى كنيسة ويعتقد ان الطين الموجود على الجدران هو من العنصر نفسه . اما المقدس او المكان الموجود فيه المذبح فهو في الطرف الغربي من السلا ويشغل فسحة مساحتها ست وثلاثون قدماً ، وقد بني مرتفعاً عن صحن الكنيسة ، ويرقى اليه باكثر من درجتين[1] . عند كل طرف من طرفي الدرجات ، باب يؤدي الى الدهاليز[2] . على طرف كل درجة عمود مثلم او اكثر تكوّن او تدعم حجاباً يفصل بين صحن الكنيسة والمحراب (المخدع السري) .

١ De la Roque, l. p. 115.
يتحدث دي لاروك عن ثلاث عشرة درجة .

٢ نزل بوكوك الى هذه الابنية ، فوجد غرفتين ، ولكنه لم يصفهما . راجع : Pococke, II. i. p. 109.
على جانب الدرج الذي يؤدي الى هاتين الغرفتين، وجد بركهارت الكتابة الكوفية وهي التي نقلها . راجع: Burckhardt, pp. 12, 13.
راجع ملاحظات جيسنيوس على بركهاردت عن القراءة التخمينية لهذه الكتابة . Gesenius, l. p. 490 Germ.

مشاهد عامة

أسهبنا قليلاً في وصف الشكل العام لهذه الخرائب الفخمة ، ولكن الوصف مهما كان دقيقاً يقصر بل لا يعطي سوى صورة ناقصة عن عظمتها الغلابة او انحلالها المؤثر .

يصطدم من يريد ولوج الهياكل في الوقت الحاضر بارتفاع الدكات والجدران الخارجية فيمتنع عليه الدخول ، الا من طرف الهيكل الاصغر الغربي ، وبين الهيكل الاصغر وصف اعمدة الهيكل الكبير . واي مدخل هو هذا ! هنـــا تتراكم كوم شاسعة من الخرائب الجبارة ، وسوق ضخمة اعمدتها مكسرة ، وافاريز واطناف وسقوف جبارة ، كلها منقوشة نقشاً رائعاً دقيقاً احاذاً ، هي الآن موطيء اقدام الرواد . وقد يكون هذا المدخل من اشد جادات العالم اثارة للعواطف ، فهو يترك تأثيراً قوياً في نفوس زائريه .

اما المنظر الذي يسترعي انتباه السائح حالما يقع نظره عليه ، ويؤثر به قبل كل شيء آخر ، فهو التناسق الفني النادر الذي يضفي على اكثر هذه المواد الضخمة جواً يعبق بالخفة والجمال الناعمين . فاذا دنا المرء اليها من الجنوب ، وشاهد الاعمدة اللطيفة الرشيقة التي لا تزال قائمة حول الهيكل الاصغر ، ثم تمعن في السوق المرمية تحتها وقاسها ، فيستحيل عليه ان يصدق انها كانت قبلاً متماسكة معاً . ولكنه بعد ان يصل الى القواعد وينظر اليها ملياً ، ويتفحصها جيداً ، ويسعى الى الاحاطة بالاعمدة القائمة التي لا يمكن لثلاثة رجال الاحاطة بها الا بصعوبة كلية ، عندئذ ، وعندئذ فقط يتاح للفكر الابتداء بالتوفيق بين هذا التناقض الظاهر بينها . وكذلك تبدو

الانضاد الفسيحة المبعثرة على الارض اكبر كثيراً من الافـاريز الخفيفة التي لا تزال في مكانها فوق . اما الاعمدة الكبيرة الشامخة في صف اعمدة الهيكل الكبير ، فهي اشد تأثيراً على الناظر اليها ، في جسامتها، وسعة أمتدادها ، والرشاقة والخفة الباديتين عليها . وعلى هذا الاعتبار ، فتأثير النظرة الاولى الى كل هذه الانشاآت يغمر الشعور تماماً بفيض من الدهشة .

كانت هذه الهياكل ولما تزل معجزة الاجيـال المنصرمة ، وستظل معجزة الاجيال المقبلة وموضع دهشتها واستغرابها ، حتى تنزل الزلازل والوحشية الغاشمة نوازلها الاخيرة فيها . فهي تبدو جد متفوقة على سائر الهياكل في غربي آسيا وفي افريقيا واوروبا ، في اتساع خطتها وامتدادها . يضاف الى ذلك دقة واتقان ونعومة في صنعها . فهي تشبه هياكل اثينا في رشاقتها ، ولكنها تفوقهـا كثيراً في امتدادهـا . وهي متسعة وضخمة كهياكل طيبة Thepes ، ولكنها تفوقها كثيراً في الخفة والكياسة. الا ان الزخرف والاتقان الباديين على الابنية يتعارضـان مع فكرة الاغراق في القدم . اما البساطة والدقة اللتان تشيعان في الهيكل عنـد الجدل فلا اثر لهما هنا . ولا تبدو دلائل القدم والعمل المبكر الا على الابنية التحتانية الجبارة في الغرب والشمال الغربي ، وربما على اساس الدكة الكبيرة الضخم .

هيكل دائري

على مسافة ثلاثين او اربعين روداً شرقي الهيكلين الكبيرين ، يقوم هيكل جد صغير ، يبدو ان لا علاقة له قطعاً بهما . وهذا الهيكل مزخرف ومتمم باتقـــان ودقة فائقين . هو درة فريدة في طريقة بنائه . السلا فيه دائرية ، او بالحري نصف دائرية ، تطوقها من الخارج ثمانية اعمدة كورنثية ، ويبرز منها ، اي من السلا ، سطح او منضد يتصل منفرداً بكل عمود من الاعمدة الثمانية ، فيبدو من بعيد كأنه بناء مثمن الاضلاع . بين الاعمـــدة ثغرات كأنها تركت لنصب التماثيل . في الداخل صفان من الاعمدة قائمان الواحـــد فوق الاخر . الصف التحتاني ايوني الطراز والصف الفوقاني كورنثي . كان المسيحيون الارثوذكس في عهـــد موندريل وبوكوك وورد يستعملون البناء كنيسة[1] . ويقول موندريل ان الهيكل حتى في ذلك الوقت « كان جد متقلقل » . اما الان فتكثر فيه الثغرات ، ويبدو انه على وشك الانهيار[2] .

١ موندريل ، الخامس من ايار .

٢ Pococke, II. i. p. 108 .
Comp. de Saulcy, II. p. 607.

بعلبك في التاريخ

لا اعتقد ان ثمة مجالاً للتساؤل عما اذا كانت بعلبك هي هيليوبوليس السورية نفسها التي ذكرها العديد من المؤرخين المعاصرين للعهد المسيحي تقريباً . ويقول استرابو انها مع كلسيس خاضعة لحكم بطليموس ابن مينوس الذي جئنا على ذكره سابقاً[1] . ويجيء بلني عرضاً على ذكرها بقوله انها بالقرب من منابع العاصي بين لبنان وانتي لبنان[2] . ويذكر يوسيفوس ان بومبيوس في زحفه من افاميا Apamea الواقعة على العاصي ، وسط المدينتين هيليوبوليس وكلسيس ، وجاء الى بيلا Pella[3] . وكذلك يحصي بطليموس هيليوبوليس بين مدن سوريا المجوفة[4] . ولم يعثر بعد على ملاحظة تاريخية اخرى بهذا الشأن ترقى الى ما قبل

١ Strabo, 16, 2. ll. p. 753.
راجع الصفحة ٤٩٧ من المجلد الثالث للمؤلف .
٢ H. N. 5. 18 or 22, « amnis Orontes, natus inter Libanum et Antilibanum Juxta Heliopolim. »
٣ Jos. Antt. 14. 3. 2.
٤ Ptol. Georgr. 5. 14.

القرن الثالث بعد المسيح .

اما الاسم هيليوبوليس فمعناه مدينة الشمس[١] . وفي هذه التسمية اشارة الى ان هذه المدينة كانت سابقاً مكرسة لعبادة الشمس كسميتها في مصر . وقد كانت الشمس حقاً احدى الالاهات الرئيسية في العبادة السورية والاسيوية ، وقد اطلق عليها في اساطيرهم كما اطلق على جوبيتر وغيره من الالهة اسم بعل او اله[٢] .

كان للاساطير المصرية تأثير قوي على الاساطير السورية[٣]، وقد لا يكون من غير الطبيعي الاعتقاد بوجود رابطة او علاقة بين انواع عبادة الشمس في البلدين . ومن الحق ان يقال ان هذا الاعتقاد مثبت لا غموض فيه[٤] . ويقول ماكروبيوس Macrobius ، في القرن الخامس ، ان التمثال الذي عبد في

١ كلمة يونانية .Gr

٢ Movers, die Phonizier, I. pp. 157, 159, 163, 167, 160 sq. 180.

من هنا جاء الاسم (كلمتان عبرانيتان) بعل شمش «اله الشمس» في كتابة تدمرية. راجع Movers في المكان نفسه الصفحة ١٧٤ .

So too Macrobius Saturnal. I. 23.

Comp. Gesen. Heb. Lex. art. كلمة عبرية no, 5.

راجع عن استعمال الاسم بعل ، للالهة الاخرى: المشتري وزحل والمريخ .

Movers ibid.

Gesen. Heb, Lex. I. c.

٣ Movers, I. c. pp. 57, 235 sq.

٤ So Lucian or the author of the tract de Syria Dea, 5. خمسة اسطر باللغة اليونانية .

هيليوبوليس السورية ، جلب من هيليوبولس[١] المصرية .

ومهما يكن من امر ، فليس لدينا اية ملاحظة تاريخية ابكر من القرن الرابع تذكر ان هيليوبوليس مركز عبادة وثنية . اما الحقيقة فتستند على الاسم فحسب ، لاتصاله بابنية الهيكل الكبير التحتانية المبكرة الجبارة . ويصعب علينا كثيراً تعليل سكوت المؤرخين القدماء عن ذكر هذه الابنية الجليلة التي نراها الان اطلالاً دائرة ، وعما اذا كانت موجودة في عهدهم .

اما اذا كانت التوراة العبرية جاءت على ذكر مدينة الشمس هذه ، فذلك مسألة ربما لم يبت بها تماماً بعد . فقد اعتبرت بعلبك احياناً انها بعل جاد نفسها[٢] ، ولكن البحث عن هذا المكان[٣] ،

١ Macrob. Saturnal. 1. 23, « Asysiri (i.e. Syri) quoque Solem sub nomine Jovis, quem Dia Heliopoliten cognominant, maximis ceremoniis celebrant in civitate, puae Heliopolis nuncupatur. Ejus dei simulacrum sumutum est de oppido AEgypti, quod et ipsum Heliopolis appellatur, regnante apud AEgyptios Senemure; perlatumque est primum in eam per Opiam, legatum Deleboris, regis Assyriorum, sacerdotesque AEgyptios, quorum princeps fuit Partemetis, diuque habitum apud Assyrios, postera heliopolim commigravit. »

٢ Heb كلمتان باللغة العبرية ، سفر يشوع الاصحاح الحادي عشر ، العدد السابع عشر . والاصحاح الثاني عشر ، العدد السابع .

So Iken de Baal-hamon et Baal-gad, in his dissertatt, philol. theol.

Michaelis Supplemm. ad lex. Hebrr. pp. 197, 201.
Rosenm. Bibl. Geogr. I. ii. pp. 280, 281.
Ritter Erdk. XVII. p. 230.

٣ اي عن بعل جاد. — المعرب.

كما عرفنا سابقاً ، يجب على الارجح ان يكون بالقرب من بانياس ، وقد اوردنا بعض البواعث التي تنفي امكانية وقوعه على هذا البعد شمالاً كما تبعد بعلبك[1] . وهؤلاء المؤرخون انفسهم يقولون ان بعلة Baalath هي نفسها بعل جاد وبعلبك . نقرأ في التوراة ان « سليمان بنى جازر ، وبيت حورون السفلى ، وبعلة ، وتدمر في البرية[2] . » ولذلك فافتراض ان بعلة هي بعلبك هو على اعتبار ذكر اسمها جنباً الى جنب مع تدمر ، ولكن عبارة اخرى تعكس هذا الترتيب ، وهي ان سليمان بنى تدمر ومدن المخازن في حماة ، وبيت حورون الشنتين ، وبعلة[3] . وهكذا فقد بطلت حجة القائلين بهذا القول . وعلاوة على ذلك ، فقد ذكر يوسيفوس بوضوح ان بعلة هذه التي حصنها سليمان كانت بالقرب من جازارا Jazara (جازر Jazer) في ارض الفلسطينيين[4] . فهي لم تكن اذاً سوى بعلة التي تخص سبط دان[5] . ويذكر المؤرخون انفسهم اسماً ثالثاً لبعلبك وهو بعل هامون الذي ورد مرة في نشيد الانشاد[6] ، حيث يقول انه كان لسليمان كرم

١ راجع الصفحتين ٤٠٩ و ٤١٠ من المجلد الثالث للمؤلف .
٢ سفر الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، العددين السابع عشر والثامن عشر .
٣ سفر الايام الثاني ، الاصحاح الثامن ، العدد ٤ — ٦ .
٤ Jos. Antt. 8. 6. 1.
Comp. Reland Palaest. p. 778 sq.
٥ سفر يشوع ، الاصحاح ١٩ ، العدد ٤٤ .
٦ نشيد الانشاد ، الاصحاح الثامن ، العدد الحادي عشر . وهكذا يقول ولسن في كتابه « بلاد التوراة » .
So likewise Wilson, Lands of the Bible, II. p. 384.

هناك دفعه الى نواطير لقاء الف قطعة من الفضة من كل منهم .
ولكن لا يعقل ان يختار سليمان بعلبك كبقعة صالحة لزراعة الكرم ، وخصوصاً لاتساع هذه الزراعة واهميتها[1].

ولكن من المرجح ان النبي عاموس يلمح الى هيليوبوليس وعبادة الاصنام فيها عندما يتكلم عن « سهل آون » (بقعة آون)[2]، ويظهر ان السبعين[3] فهموا العبارة كما اشار اليها عاموس ، اذ انهم اسموا آون Aven العبرية اون On ، وهو الاسم الاهـلي لهيليوبوليس المصرية . فتكون الاشارة ، اذاً ، الى سهل البقـاع الكبير او سوريا المجوفة ، وقد كانت بعلبك دائماً المدينة الرئيسية فيه[4] . وهذا جد مطابق لما جاء عنها في سياق الكلام .

١ يحسب البعض ان الكلمة الثانية، اي حمون ، من الاسم المركب، بعل - حمون، هي امون Amon او امّون Ammon، اي جوبيتير المصريين.راجع :
Michaelis Suppl. I. c. p. 201.
Rosenm. I. c. p. 281.
Wilson, I. c.
وراجع سفر ارميا، الاصحاح السادس والاربعين، العدد الخامس والعشرين . وسفر ناحوم الاصحاح الثالث ، العدد الثامن .
وراجع الصفحتين ٣٣٧ و ٣٣٨ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ راجع سفر عاموس، الاصحاح الاول ، العدد الخامس والحاشية .

٣ هي Septuagint اي اقدم ترجمة للعهد القديم الى اللغـة اليونانية ، اكتسبت اسمها هـذا من الاسطورة القائلة ان عدد المترجمين كانوا سبعين شخصاً ارسلهم اليعازر رئيس الكهنة من القدس الى الاسكندرية اجابة لطلب بطليموس الثاني فيلادلفوس Philadelphus الذي امتد حكمه من العام ٢٨٨ - ٢٤٧ ق.م. و٢٨٣-٢٤٦ ق.م. على زعم لاروس . ولكن الاصح ان يقال ان عدد المترجمين كان اثنين وسبعين شخصاً . اما الاسم اللاتيني فهو Septuaginta LXXI . - المعرب .

٤ ان كلمة البقاع في اللغتين العبرية والعربية هي كلمة واحدة وتعني « شق

اما الملاحظات التاريخية الرئيسية عن هيليوبوليس في القرنين الثاني والثالث، فهي مستقاة من مسكوكات المدينة النقدية . ولا يزال الكثير من هذه النقود موجوداً الى الان ، سكت في عهد الكثيرين من الاباطرة من نيرفا Nerva الى غاليانوس[1] Gallienus . اما اقدم هذه النقود فقد سكت في عهد نيرفا وادريان Adrian . فالنقود التي سكت في عهد نيرفا تحمل الشعار COL. IVL. HEL. اما التي سكت في عهد ادريان فتحمل الشعار C. I. HEL. LEG. H. اما الرسم الذي على النقدين فيمثل مهاجراً من سكان مستعمرة يسوق ثورين . وهذا الرسم يتتابع على الكثير من نقود الاباطرة الذين تولوا الحكم بعدهم . وكذلك الشعار الاخر COL. IVL. AVG. FEL. فهيليوبوليس اذاً كانت بمنزلة مستعمرة رومانية . ويستنتج من ذلك ايضاً ان يوليوس قيصر ، او اغسطس ، ارسل الى بعلبك حملة عسكرية مدربة كما ارسل

او سهل بين الجبال . » وان الكلمة العبرية او المستعملة لهيليوبوليس في مصر منقطة . راجع سفر التكوين، الاصحاح الواحد والاربعين ، العددين الخامس والاربعين. والخمسين ، والاصحاح السادس والاربعين ، العدد العشرين . راجع سفر حزقيال ، الاصحاح الثلاثين، العدد السابع عشر. ففي كل هذه الامثلة تكون هيليوبوليس كما اسماها السبعون ، وكما جاء في ترجمة الكتاب المقدس الى اللاتينية ، فالاول ليس لها ذكر في اي كتاب الا في سفر عاموس I. c..

١ راجع: Eckhel Doctr . Nummorum III. p. 334 sq.

وراجعها مسهبة في المصدرين التاليين :

Mionnet Descr. des Méd. V. pp. 298-305.
Suppl. VIII. pp. 208-212 .

حملة اخرى الى بيريتس (بيروت) [١] . وحوالى نهاية القرن الثاني منح سبتيميوس سيفروس المدينة لقب مستعمرة ممتازة ، وهي منحة ينعم بها على المدن الاقليمية التي تنال حظوة[٢] عند الامبراطور . ولا توجد نقود للمدينة مسكوكة على عهد الانطونيين[٣] Antonines سوى قطعة واحدة ضربت على عهد كومودوس Commodus ، ولا تختلف في خاصياتها عن النقود المسكوكة فى عهدي نيرفا وادريان .

ولكن في حالة عدم وجود نقود او اية بينة قديمة ، نجد ، فيما تفرد في كتابته يوحنا الانطاكي John of Antioch الملقب بالالا Malala وهو مؤرخ يرقى الى ابكر من القرن السابع ، الملاحظة التي تقول ان ايليوس انطونينوس بيوس Aelius Antoninus Pius شيد بالقرب من هيليوبوليس في فينيقيا ، لبنان ، هيكلاً عظيما

١ Eckhel, I. c. p. 334.
قابل مع الصفحة ٤٩٤ من المجلد الثاني للمؤلف (iii ٤٤٢).

٢ So Ulpian, who was a native of Tyre; de Censib. Lib. I. « Est et Heliopolitana, quae a divo Severo per belli Civilis occasionem Italiae coloniae rempublicam accipit. »
Comp. Smith's Dict. of Antt. art. Colonia, p. 317.

٣ يطلق هـذا الاسم على سبعة امبراطرة رومانيين ، وهم : نيرفا Nerva ، تراجان Trajan ، ادريان Adrian ، انطونين Antonin ، ماركوس اوريلوس Marcus Aurelus ، فاروس Verus ، وكومودوس Commodus ، وهؤلاء حكموا من العام ٩٦ الى العام ١٩٢ ق. م. — المعرب.

لجوبيتر ، وهو احدى عجائب العالم[1] . ومهما بدا هذا القول غريبا ، فليس ثمة مؤرخ معـــاصر ألمع الى هيكل انطونينوس هـذا . فأمر تشييده على يده حقيقـة مطلقة تتفق كل الاتفـاق مع حوادث اخرى متنوعة . ان طراز البناء المتقن المزخرف يختص بعصر متأخر كما عرفنا سابقاً . اما الابنية التحتانية الضخمة فكانت على الارجح لهيكل اقدم منه ، وقد تكون تركت غير متممة ، او هدمتها الزلازل . اما النقوش المذكورة اعلاه[2] فتدل على عصر ابكر من عصر سبتيميوس سيفيروس ، طالما انه يصعب اعتبارها معاصرة للقواعد المنقوشة عليها .

واننا نجد دليلًا آخر في الشعـار الظاهر على النقود المتداولة فيما بعد . فالحقيقة الراهنة هي ان الكثير من هذه النقود تحتفظ برسم المستعمر الذي يسوق ثيرانه ، بينما غيرها ، وخصوصاً بعض نقود سبتيميوس سيفيروس ، يظهر عليهـا لاول مرة رسم هيكل والشعار COL. HEL. I. O. M. H.[3] . ويظهر على احدى القطع هيكل واامامه رواق من عشرة اعمدة ، وعلى قطعة اخرى هيكل

١ J. Malala Chronogr. ed. Dindorf. in Corpus Scriptor.
Hist. Byzant. ed. Niebuhr, p. 208; Dind. p. 119, Ven.
Movers. I. c. pp. 173, 174.
راجع المصدر الثامن في الصفحة ٥١٨ من المجلد الثالث للمؤلف. من الممكن ان يكون انطونين اعاد بنـــاء هيكل الشمس الكبـــير ، وشيد الهيكل الاصغر للاله بعل (جوبيتير).

٢ راجع الصفحة ٥٠٩ من المجلد الثالث للمؤلف .

٣ هذا هو الشعار بكامل كلماته :
Colonia Heliopolis Jovi Optimo Maximo Heliopolitano.

وعدة اعمدة في صف واحد، وله درجات ترى من جهة العرض. هذه القطع تطابق الهيكلين الكبير والصغير وتشير بوضوح الى ان الهيكلين كانا وقتئذ في عالم الوجود. اما اول ظهور رسم الهيكلين على نقود سيفيروس فيصعب تفسيره. وربما وجدت نقود مبكرة تحمل رسماً شبيهاً بها وهي الآن مفقودة، او لعل انطونين بدأ بتشييد الهيكلين، ولكن انجز بناؤهما بعد خمسين سنة على عهد سيفيروس. اما نقود الامبراطرة الذين تتابعوا بعد ذلك العهد، فتواصل تمثيل الهياكل، ولكن في اشكال مختلفة احياناً. وقد وجدت قطعة من نقود فاليريان Valerian تحمل رسم الهيكلين.

ويبدو من النقوش النذرية المذكورة اعلاه[1] ان الهيكل الكبير لم يكن مكرساً لعبادة الشمس كبعل فحسب، بل كان بانثيون[2] مكرساً لسائر آلهة هيليوبوليس. فالهيكل الاصغر اذن شيد للبعل جوبيتر. اما فن البناء في الهيكلين فيُظهر انهما شيدا في عهد واحد تقريباً. فالهيكل الاصغر تم تشييده، اما الهيكل الاكبر فالارجح انه لم ينجز مطلقاً.

تظهر اهمية عبادة السوريين للشمس وشمول هذه العبادة من الحقيقة الاتية: ان الامبراطورة جوليا دومنا Julia Domna زوجة سبتيميوس سيفيروس، كانت ابنة باسيانوس Bassianus كاهن الشمس في آماسا Emesa (حمص)، وان هيليوغابالوس Heliogabalus نفسه الذي كان ايضاً كاهناً للشمس في المدينة

١ راجع الصفحة ٥٠٩ من المجلد الثالث للمؤلف.

٢ البانثيون هيكل روماني لعبادة جميع الالهة. — المعرب.

نفسها، صار امبراطوراً[1] واتخذ لنفسه لقب « انفكتوس ساكيردوس اوغوسطوس ، ساكيردوس داي سوليس ».

Invictus Sacerdos Augustus, Sacerdos Die Solis.

كانت عبادة فينوس Venus[2] ايضاً سائدة في هيليوبوليس ، وكان القوم يؤمونها معاً لتعريض نسائهم وبناتهم للفحش والفجور[3]. كانت الخلاعة والفجور والتعصب للوثنية منتشرة ايضاً ، كما يبدو في قصة الشهيد جلاسينوس Gelasinus التي كانت هيليوبوليس مسرحها في العام ٢٩٧ ق.م. في عهد ديوكليسيانوس[4] Diocletian. كان جلاسينوس ممثلاً ، وكان يجب عليه الظهور امام الجمهور المحتشد في المسرح حيث تقام الالعاب العمومية . ولما كان جلاسينوس قد اعتنق المسيحية ، فقد رفض ان يقوم بدوره ، فرماه رفاقه الممثلون في حوض الحمام المليء بالماء الساخن للسخرية من عناده . ولما اخرجوه من الماء البسوه ثياباً بيضاء ، ولكنه ظل على رفضه الظهور على المسرح وصرخ باعلى صوته : « انا مسيحي وقد رأيت اكليل المجد الراعب في الحمام ، وسأموت مسيحياً . » فاندفع الجمهور اليه بجنون مخيف ورماه خارج المسرح ، ورجمه . فدفن اقرباؤه جثمانه في قرية ماريام Mariamme المجاورة ، وهي مسقط رأسه حيث ابصر النور .

١ راجع نقوده الخ .
٢ الزهرة الاهة العشق — . المعرب.
٣ Euseb. Vit. Const. 3. 58.
٤ Chron. Psach. ed. Dindorf, p. 513. p. 276 Par.
The Chronicon says 269 years after Chist's ascension.
حدث هذا بعد تجلي السيد المسيح بمئتين وتسع وستين سنة .

وشيدت هناك كنيسة تذكاراً لحادثته تلك .

بعد ان آلت السلطة الى قسطنطين ، وبدأت ادارتها تتحول الى جانب المسيحية ، صُدمت الطقوس الوثنية الخلاعية الفاسقة صدمة قوية ، فهدم هيكل فينوس في افقا Apheca (افقا) في لبنان[١] . وصدر قانون جديد ، او امر امبراطوري رسمي ، ينذر اهالي هيليوبوليس بالاقلاع عن العادات الخلاعية الفاسقة في عبادتهم ، ونصحهم بقبول المذهب الافضل[٢] . وفي الوقت عينه شيد الامبراطور في بعلبك كنيسة مستطيلة ضخمة[٣] ، وكرس لها اسقفاً مع قسه وشمامسته ، كل هذا في مكان لا يزال مخصصاً بعد لعبادة الارواح النجسة . ويفهم من كلام يوسيبيوس نفسه ان المسيحيين في المدينة كانوا بضع انفار فحسب . اما ما يجب ان يفهم من تأسيس كنيسة ، فهو على الارجح تحويل الهيكل الكبير الى كنيسة مستطيلة[٤] .

كانت الطقوس والعادات الوثنية متأصلة تأصلاً عميقاً في الشعب ،

١ Euseb. Vita Const. 3. 55.

٢ راجع المصادر الاتية عن الامر الامبراطوري لسكان بعلبك للاقلاع عن عادتهم الخليعة : Euseb. Vita Const. 3. 58.
Sozomen H. E. 1. 8.
Ib. 5. 10.

٣ Euseb. Ibid.

٤ ان شهادة يوسيبيوس هذه رددها كثيراً غريغوري ابولفاراجيوس (بارهيبرايوس) Gregory Abulpharagius (Barhebraeus) في القرن الثالث عشر . راجع كتابه : Historia Dynastiarum, ed. Pococke. Oxon. 1663, p. 85.

ومن الصعب استئصالها بسرعة . وعندما رقي جوليـان Julian الجاحد العرش (العام ٣٦١م.) عدّ ارتقاؤه انذاراً لسحق المسيحية سحقاً عنيفاً واعادة الطقوس الوثنية[١] . في هذا العهد تميز اهل هيليوبوليس باعمالهم التعسفية والوحشية . فكانت العذارى الحييات ، اللواتي نذرن انفسهن لخدمة الله ، وانقطعن عن رؤية العـالم (وانكمشن على انفسهن فلا يراهن الجمهور) ، يُعرضن عاريات في الاسواق ليشاهدهن الجمهور ويزدري بهن[٢] . هـذا ما عملوه ، كما يذكر المؤرخ ، انتقاماً لما سبق من كبح جماح رجاساتهم الوثنية . وفي هيليوبوليس لم يكتف عباد الاصنام بذبح الشماس سيريل Cyril ، ولكن بلغ بهم الحقـد ان شقوا جثته واكلوا من كبده ، لانه في عهد قسطنطين اظهر غيرة عظيمة للحق ، وكسر بيده العديد من الاصنام[٣] . وتمشياً مع تلك الروح الانتقاميـة نفي العديـد من المسيحيين ظلماً من الاسكندرية وارسلوا الى هيليوبوليس حيث لا اثر لوجود المسيحيين ولا يطيق اي انسان سماع اسم المسيح . وبعـد ان مكثوا قليلاً فيها وزعوا على المناجم[٤] .

في عهد خلفاء جوليان ، الذين تبوأوا العرش تواً بعـده ،

١ Theodoret, H. E. 3. 6.
٢ Sozom, H. E. 5. 10
٣ Theodoret, H. E. 3. 7.
ويقول المؤرخ ان كل الذين اشتركوا في هـذا العمل الفظيع فقدوا اسنانهم، ثم السنتهم ، واخيراً فقدوا عيونهم .
٤ Theodoret, H. E. 4. 22, p. 179, ed. Reading.

تحول الاتجاه ببطء في مصلحة المسيحية . وفي العام ٣٧٩م . رقي العرش تيودوسيوس Theodosius الكبير . ويحكى عنه انه « بينا قسطنطين اكتفى باقفال هياكل ومعابد اليونان مدة حكمه لم يكتف هو باقفالها ، بل هدمها كما هدم هيكل بالانيوس Balanios في هيليوبوليس ، وهو التريليثون العظيم الشهير وحوّله الى كنيسة مسيحية[١] . » اما ذكر التريليثون فيعني قطعاً ان المؤرخ يقصد به الهيكل الكبير[٢] . وليس اسم الاله بالانيوس سوى اسم ثانٍ او آخر لبعل هيليو Baal Heliou اي « اله الشمس » ، وقد مر علينا في مكان آخر[٣] من هذا الكتاب ، وهو ترجيح يقرب من اليقين . ولكنا لا نعلم اي جزء من الهيكل الكبير خصص للعبادة المسيحية . وربما شيدت كنيسة مسيحية ضمن البهو الكبير[٤] ، او قد يكون الهيكل الاصغر الذي يبدو انه استعمل كنيسة قد اعتبر كأنه قسم او جزء صغير من التريليثون .

١ Chron. Pasch. ed. Dindorf. p. 561. p. 303 Par.

٢ راجع الصفحة ٥١٣ من المجلد الثالث للمؤلف.

٣ راجع الصفحة ٥١٨ ، المصدر الثامن ، من المجلد الثالث للمؤلف .

The change of «l» into «n» is not uncommon in Syriac and Greek, as in other languages; e. g. Dor.

ان ابدال الحرف « ل» بالحرف « ن» مألوف باللغتين السريانية واليونانية كما في غيرها من اللغات .

See Gessen. Thesaur. under, p. 727.

Ritter, XVII. i. p. 241.

De Saulcy, II. p. 630.

٤ وهذا ايضاً راي دي سولسي في الكنيسة التي قد تكون بنيت في البهو الكبير.

De Saulcy, II. p. 631.

اما اسم الاسقف الذي نصبه قسطنطين ، فغير مدون[1] . وحوالى منتصف القرن الخامس ذكر اسم اسقفين ، احدهما يوسف Joseph، نصبه المجمع الديني الانطاكي حوالى العام ٤٤٣م . والاخر بطرس Peter في عهد الامبراطور ليو Leo [2] .

في القرن السابع الهبت الحماسة النارية اتباع النبي العربي ودفعتهم الى الفتح . ولم يشرق العام ٦٣٦ م . حتى كانت سائر سوريا بما فيها دمشق وهيليوبوليس والمدن الاخرى خاضعة لقواد الدين الجديد المظفرين[3] . ومنذ هذا الوقت ، يضرب الظلام ستائره كثيفة على مدينة الشمس ويظل مخيماً عليها طيلة ثلاثة قرون .

ويثبت دي هيربيلو d'Herbelot ان بعلبك ظلت مدينة قوية في عهد الخلفاء الامويين[4] ، اي طيلة قرن بعد الفتح الاسلامي ، ولكنه لم يعين المصادر التي استقى منها . ولما ظهرت هيليوبوليس ثانية على مسرح التاريخ وقع حادثان لهما ميزاتها الرئيسية في كل ما كتبه المؤرخون العرب .

اما الحدث الاول فهو تغيير الاسم ، فقد عاودت المدينة ظهورها باسم بعلبك وليس هيليوبوليس . ولا يرتاب احد في

١ Euseb. Vita Const. 3. 58.
٢ Le Quien Oriens. Christ. II. pp. 843, 844.
Comp. Cave Scriptor. Eccl. Hist. p. 309.
٣ Weil Gesch. der Chalifen, 1846, I. p. 80.
Greg. Abulpharag. Hist. Dynast, ed Pococke, p. 112 lat.
Comp. Theophan. Chronogr. p. 282 Par. p. 521 Classen.
٤ Biblioth. Orientale, art. Balbek.

مطابقة الجزء الاول من كلمة بعلبك مع الجزء الاول من كلمة هيليوبوليس على الاقل ، ولكن لم يكتشف بعد تحليل صرفي او اصل للجزء الثاني من الكلمتين [1] . ولا يعرف شكل قديم في العبرية او الارامية يمكن ان يشتق منه . اما بعض مؤرخي الحروب الصليبية من الفرنجة فيكتبون الاسم مالبك Malbec [2] .

والحدث الاخر الذي اشرنا اليه اعلاه هو تحويل الهيكل الكبير وابهاءه الى حصن . ويذكرا المؤرخون العرب بعلبك كحصن فحسب .

واقدم مؤلفي العرب الذين ذكروا بعلبك هما الاذخري وابن

١ ربما كانت اشارة ا. شلتنز A. Schultens هي المرجحة على غيرها، اي ان المقطع الهجائي بك bek آت من بكا bakka اي احتشد . راجع :

Freytag's Lex. I. p. 144.

اذاً بعلبك قد تفيد « احتشاد البعل» او مكان الاحتشاد. وتسمى مدينة مكا Meca احياناً بكه Bekkah ، وربما كان ذلك تابع كلمات مبدوءة باحرف متماثلة. راجع:

A. Schulten's Index. Geogr. in Vit. Salad· art, Baalbechum

ويعتبر اخرون ان المقطع الهجائي بك Bek كناية عن الكلمة المصرية باكي Baki اي مدينة ، فاذا صح هذا يكون معنى بعلبك متفقاً تمام الاتفاق مع هيليوبوليس .

ولكن هذا التركيب ، مع كلمة غريبة عن اللغة ، لا يتفق مع خاصية اللغات السامية . وربما لا يوجد مثال شبيه بهذا في اي مكان . راجع :

Michaelis Suppl. in Lex. Heb. p. 198 sq.
Rosenm. Bibl. Geogr. I. ii. pp. 280, 316.

٢ Will. Ty. 9. 15.
ib. 21. 6. 8.
Jac. de Vitr. c. 45 Maubech.
Adrichom. p. 109.

حوقل حوالى منتصف القرن العاشر[1] . اما ما كتباه فمختصر يشابه بعضه تماماً . فقد كتب ابن حوقل يقول : « هنا ابواب قصور من المرمر مغشاة بالنقوش المحفورة واعمدة شامخة من المرمر ايضاً ، ولا يوجد في كل اقليم سوريا صرح اغرب واضخم منه » . من ثم يتوارى ذكر بعلبك ويظل منسياً اكثر من قرن . كان الاستيلاء على بعلبك جد هام في الحروب التي اثيرت بين الخلفاء الفاطميين في مصر وبين شتى دول سوريا الشمالية لمناعتها كحصن . وحوالى انصرام القرن الحادي عشر ، وقبل وصول الصليبيين بقليل ، تخلصت بعلبك من الحكم المصري في العام ١٠٩٠م . بعد تبديلات شتى ، وخضعت للامراء السلجوقيين الحلبيين والدمشقيين[2] . وفي العام ١١٣٤م . اصبحت بعلبك ميداناً للتنازع بين الامراء السلجوقيين انفسهم[3] . وبعد خمس سنين ، اي في العام ١١٣٩ م. استسلمت بعلبك لقوات زنكي المظفرة ، وهو الزعيم الاتابكي الشهير . وبعد وفاته استرجعها الامير السلجوقي الدمشقي

١ El-Isthakhri, das Buch der Länder, übers. von Mordtmann, Hamd. 1845, p. 37.
Ouseley, the Oriental Geogr. of Ebn Haukal, 4 to Lond. 1800.
ويعتبر البعض ان هذا العمل الاخير نسخة عن الاول . راجع مقدمة موردتمان للاذخري .

٢ De Guignes, Hist. des Huns, II. pp. 386, 387, 388, Germ.

٣ Ibid. p. 434. Germ.

العام ١١٤٥ م[١] .

اما ملاحظة الادريسي ، العالم الجغرافي ، فهي تختص بمنتصف القرن الثاني عشر . فهو يصف بعلبك بقوله : انها واقعة في وسط اقليم خصب وافر الخيرات ، تحيط بها الكروم والاشجار المثمرة . ويأتي ايضاً على ذكر الهيكلين ، ويشير الى العرف المتقادم العهد ، الذي كان لا يزال في ذلك الوقت يعتبر ان الهيكل الكبير بحجارته الضخمة بني في عهد سليمان[٢] . وبعد نحو عشر سنين ، يذكر بنيامين التودلي (الطليطلي) ان « الحجارة الضخمة » المبنية بدون ملاط هي من اعمال سليمان ، بمساعدة الجن كما يظن[٣] . في هذا القرن نفسه ، سجل لا اقل من ثلاثة زلازل في الاعوام ١١٣٩ ، ١١٥٧ ، ١١٧٠ ، اجتاحت سوريا كلها ، فدمرت الكثير من عمرانها . وقد خص بالذكر حلب وحماه وحمص . واصاب زلزال ١١٧٠ بعلبك ايضاً ، فحاق بجميعها الخراب وتهدمت ودكت معالمها الى الحضيض ، ودفن الكثيرون من سكانها تحت

١ Ibid. pp. 474. 483, Germ.
Wilken, Gesch. der Kreuzz. ll. p. 685.
Comp. Reinaud, Chroniques Arabes etc. p. 70.

٢ Edrissi par Jaubert, l. p. 353 sq.

٣ Asher's Benj. of Tudela. l. p. 86. Engl.
يعتبر الحاخام بنيامين الطليطلي ان بعلبك هي بعلة المذكورة في التوراة التي (تقول) ان سليمان بناها لابنة فرعون .

راجع سفر الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، العدد الثامن عشر . سفر الايام الثاني ، الاصحاح الثامن ، العدد السادس .

الانقاض[١] .

في العام ١١٧٤ م. ظهر صلاح الدين المخيف في سوريا ، وذلك بعد ثلاث سنوات من استيلائه على مصر ، فاستولى على دمشق وحمص وحماه وغيرها من المدن الكولسورية[٢] . وبعد سنتين ، اي في صيف العام ١١٧٦ م. بينما كان صلاح الدين منهمكاً في نواحي حلب ، اتفق ريمون Raymond كونت طرابلس مع الملك بولدوين الرابع الذي ذكرنا حملته العسكرية الى البقاع وعنجر[٣] ، فزحف هذا الامير بجيوشه بطريق Byblus (جبيل) وعبر الجبل عند مانيثيرا Manethera (المنيطرة) ، وهي مركز منيع بالقرب من افقا ، وشن هجوماً على نواحي بعلبك ، فنهب وحرق كل ما صادفه في طريقه . وبعد ذلك التقت الحملتان العسكريتان في وسط البقاع ، فهزمتا الجيوش العربية الاتية من دمشق ، ورجعت كلٌ منهما الى مركز رئاسة جيوشها في الساحل تنوء بالغنائم والاسلاب[٤] .

تابعت سلالة من خلفاء صلاح الدين سيادتها على دمشق

١ De Guignes, Hist. des Huns, ll. pp. 474, 495, 527, Germ.
Reinaud, Chroniques Arabes, p. 146.

٢ De Guignes, ibid. pp. 533, 542, Germ.
Reinaud, Chroniques Arabes, p. 176,

٣ راجع الصفحة ٤٩٦ من المجلد الثالث للمؤلف .

٤ Will. Tyr. 21. 11.
Tuch in Zeitschr. d. morg. Ges. IV. p. 512 sq.
Ritter, XVll. p. 227.
Wilken, lll. ii. p. 169.

والاقليم المجاور لها بما فيه بعلبك حتى منتصف القرن الثالث عشر تقريباً[1] . وبعد ان طردهم المصريون ، ظلت بعلبك على الارجح رابطة مصيرها بمصير دمشق عاصمة الاقليم وهي جارتها الاكثر تقدماً ونجاحاً منها . وفي العام ١٢٦٠ م . استولى على بعلبك قائد جيوش هولاكو ، الخان المغولي ، وترك حصنها اطلالاً داثرة[2] . ثم توارى ذكر بعلبك طيلة الباقي من ذلك القرن .

في مستهل القرن الرابع عشر ، يصف ابو الفدا ، العالم الجغرافي الحموي العظيم ، بعلبك فيقول انها مدينة قديمة يحيط بها سور ، وفيها حصن كبير منيع ، وتقع وسط الاشجار والجداول الجارية ، وكل شيء حسن موفور لديها[3] .

في العام ١٣٦٧ ، في حي من احياء بعلبك اسمه آنئذ مقريز ، ابصر النور تقي الدين احمد ، المؤرخ العربي الذائع الشهرة ، وهو الملقب بالمقريزي[1] .

استسلمت بعلبك في ختام القرن ، اي في العام ١٤٠٠ م . الى الفاتح التتاري الجبار تامير لين Tamer Lane (Timur Lenk) (تيمورلنك) الذي وجه زحفه اليها من حمص الى دمشق . لم يتأخر الفاتح ، بل عجل في زحفه على دمشق لاقتراب فصل

١ De Guignes, Hist. des Huns, Introd. pp. 502, 503.
٢ De Guignes, l. c. III. p. 273.
٣ Abulf. Tab. Syriae, ed. Kohler p. 103.
٤ D'Herbelot, Biblioth. Orient. Art. Macrizi.

الشتاء[1] . والظاهر ان هذه الحادثة هي آخر حادثة تاريخية دونها المؤرخون الشرقيون عن بعلبك .

يبدو ان بعلبك لم تكن معروفة من السياح الفرنج في ذاك الحين ، بعد الحروب الصليبية . فقد كانت قصية عن سائر الطرق الكبيرة التي كانت تربط دمشق بالساحل او بالمدن السورية الواقعة اكثر الى الشمال . ولذلك فقد بقيت اخبار بعلبك طي التاريخ طيلة مئة وخمسين سنة حتى منتصف القرن السادس عشر[2] . في ذاك الحين ، في العام ١٥٤٨ م. مر السائح الفرنسي بيلون Belon على بعلبك وهو اول من مرّ عليها ، وقد وصفها باختصار كما يفعل اي سائح مدرك عابر في الوقت الحاضر .

كان الهيكل الكبير لم يزل حصناً ، ولا تزال تسعة اعمدة شامخة قائمة في داخله[3]. ويبدو ان تيفيت Thevet ، وهو سائح فرنسي آخر زار بعلبك العام ١٥٥٠ م. لم يضف شيئاً على ما ذكره بيلون[4] . وهذه الملاحظة تصدق ايضاً على ميلشيور فون سيدليتز Melchior Von Seydlitz الالماني العام ١٥٥٧ م. ، وعلى رادزيفيل

١ Sheifeddrin, Hist.de Timur Bec ou Tamerlan, par La Croix, Par. 1723, lib. v. c. 23. Tom. III. pp. 311, 312. De Guignes, l. c. IV. p. 306 Germ..
Ritter, XVII. p. 244.

٢ Adrichomius (1590) makes no reference to any modern traveller; pp. 108, 109.

٣ P. Belon, Observations etc. 4 to. Par. 1555. p. 153. Germ. in Paulus' Sammlung, Th. II. p. 5.

٤ A. Thevet, Cosmographie Universelle, I. 6. c. 14.

Radzivil العام ١٥٨٣[1] م .

في القرن التالي حوالى العام ١٦٢٠ م. يصف كواريسميوس Quaresmius بعلبك باختصار . ويظهر ان هـذا الاب الصالح لم يكن مدققاً في مشاهداته ، فانه يتكلم (بشيء من الشك) عن خمسة وخمسين عموداً كانت لا تزال قائمة وقتئذ . واهم من ذلك كانت زيارات دي لاروك في العام ١٦٨٨ م. وموندريل في العام ١٦٩٧ م. يصف هذان السائحان اطلال بعلبك وينقلان رسومها ، ولكن بيان دي لاروك اتم وصفاً ويفوق زميله كثيراً . ومن الغريب ان موندريل المع الى قسم واحد من الهيكل الكبير فحسب ، وهو صف الاعمـدة الكورنثية ، بقوله « جد كبيرة وشامخة[2] ».

في خلال القرن الثـامن عشر تتصل بنا رسوم بوكوك وشروحه حوالى العام ١٧٣٧ م. ومؤلف وود ودوكينز القيم في العام ١٧٥١ م. ووصف فولني النفيس العـام ١٧٨٤ م. ومن وصف فولني ، نعلم سبب خراب الهيـاكل وتدرجها في مضمار

١ M. v. Seydlitz in Reissb. p. 490.
Radzivil in the same, ll. p. 148.

٢ De la Roque, Voyage en Syrie, 12 mo. Amst. 1723, Tom. l. pp· 97-153.
Maundrell's Journey, under May 5th.
وفيا يلي كل ما جاء عن الهيكل الكبير : « على مسافة نحو خمسين يرداً من الهيكل (الاصغر)، صف من الاعمدة الكورنثية الضخمة الشامخة ، يعلوها طنف من الحجارة المنضدة متامٍ في الفخامة فوقه افريز لا يقل عنه فخامة . وهـذا الصف يحدث عن نفسه فيقول انه كان قسما من بناء كبير جليل ، ولكن ما يرى منه ليس سوى النزر اليسير مما كان سابقاً. ومما يؤسف له انه لم يبق منه اكثر من ذلك .»

الدمار الذي حاق بها منذ زيارة وود ودكينز ، والذي لا يزال متواصلاً ، ولكن على نطاق اضيق ، لسبب الجهل المخيم على الشعب والمأمورين الاتراك ، وللهمجية الغاشمة التي لا تعرف لها حـداً تقف عنده . ترك زلزال العام ١٧٥٩ م. ستة اعمـدة قائمة من اصل اعمدة الصف التسعة كما رسمها وود ودوكينز . اما التسعة والعشرون عموداً التي رأياها حول الهيكل الاصغر فلم يبق منها سوى عشرين عموداً[1] . وهذا الزلزال نفسه ازاح جزئياً الحجر الاوسط في ساكفة رتاج الهيكل الاصغر الكبير من مكانه ، وقد هبط الان اكثر مما كان في عهد فولني .

اما الذي يود ان يكوّن فكرة صحيحة عن شكل هـذه الاطلال الفخمة العام ، وان يطلع على التفاصيل العديدة عن بنائها وكيفيته ، فليراجع مؤلف وود ودوكينز القيم[2] . وفي رسوم كاساس Cassas ولابورد Laborde وروبرتس Roberts المتأخرة ، والنقوش التي خلفوها ، مشاهدُ وصورٌ عامة عن الاجزاء التصويرية الاكثر روعة .

١ Volney, Voyage, ll, p. 222.
٢ The Ruins of Baalbec, fol. Lond. 1757.

من بعلبك الى الحصن بطريق ربلة

بين بعلبك ونحلة

موقع دير الاحمر .طبيعة الارض. وصف المقابر . منظر
بعلبك من الجنوب . حالة نحلة . هيكل نحلة .

يطرأ تغيير كبير على طبيعة البقاع بعد بعلبك شمالاً . فمن كامد شمالاً تتصف حالة البقاع الرئيسية بالسعة والاستواء والخصب . فهو سهل يشغل القسم الاكبر من الشق الكبير في الجبل ، خلا واد ضيق او جل يمتد على موازاته بجانب سفح انتي لبنان ، يفصله خط من الاكام عن السهل الاخفض منه . وقد قدرنا المسافة بين الجبلين من الساعتين والنصف الى الثلاث ساعات ، او من سبعة اميال الى تسعة . رأينا سابقاً ان سلسلة انتي لبنان الغربية المنخفضة تنتهي بالقرب من النبي شيت ، وان السلسلة الظهرية الاكثر ارتفاعاً ، الممتدة شمالاً ، تكوّن جداراً للبقاع[1] . هذه السلسلة الظهرية المرتفعة تتجه تدريجاً الى لبنان ، فينتج عنها تضيّق في الوادي الكبير يمتد على اقل تقدير حتى مقلب الماء بالقرب من اللبوة .

١ راجع الصفحة ٥٠٣ من المجلد الثالث للمؤلف .

الخميس ١٠ حزيران . – صرفنا ساعات الصباح المبكرة في انجاز تفحص الخرائب وزيارة الينبوع . الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة عشرة تركنا مخيمنا قرب الهياكل واتجهنا الى الباب في سور المدينة الشمالي القديم ، فوصلناه بعد عشر دقائق . على جانبي المدينة الشمالي الشرقي والشمالي الغربي مقابر استغربتُ فيها شكل الحجارة الموضوعة على كل من اطراف الاضرحة التي تشبه تماماً تلك الاضرحة الشائعة في « نيو انغلند » New England . ولكن الاضرحة هنا لها حجارة وطيئة على الجانبين تتصل بحجارة الطرفين ، فتحيط الضريح بسطح مربع متوازي الاضلاع المتقابلة . اصبح طريقنا الآن الى الشمال الشرقي باتجاه نحلة .

امامنا الان ارض مرتفعة تتاخم ذراع السهل الممتد شرقاً الى الينبوع . بدت لنا بعلبك الى الجنوب عندما اقتربنا منها ، كأنها سلسلة جبل تمتد عبر الوادي من الجبل الشرقي . ولكننا عرفنا انها الطرف الجنوبي لمنحدر متسع حصب يمتد نزولاً من انتي لبنان الى الغرب ، ويصل الى منتصف عبر الوادي كله او يتجاوزه ، وهي بقعة متسعة منحدرة لا يعرف سطحها الاطمئنان ، تمتد فيها نتوءات او حروف من الجبال تجري بينها اودية عميقة . وهي طبقة متممة للنجد الصحراوي الواقع جنوبي بعلبك ، وممتدة شمالاً الى مقلب الماء بالقرب من اللبوة . وهذه البقعة قاحلة وصحراء باجمعها حتى اللبوة ، خلا حرث قليل في الاودية الاكثر عمقاً ، وبضعة حقول عجفاء من الحبوب حول قريتين او ثلاث . اما البقعة الاكثر انخفاضاً او السهل الممتد

باتجاه الجبل الغربي فيبدو متمماً للقسم الخصب من البقاع ، وقد بدت لنا العناية الفائقة بحراثتها .

صعدنا على هذا المنحدر الصحراوي ، فوصلنا الساعة الحادية عشرة الى ساقية صغيرة للري ، جلبت حول الآكام من ينبوع صغير يقع الى الجنوب الشرقي من نحلة . بعد خمس دقائق اصبحت دير الاحمر القائمة بالقرب من سفح لبنان باتجاه بين الشمال والشمال الغربي . الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين وصلنا نحلة الواقعة على الضفة الجنوبية من اخدود جد ضيق وعميق ووعر ، يشق طريقه نزولاً في المنحدر ، من مسافة بعيدة في الجبل الى السهل الغربي تحته . يجري في بطن هذا الاخدود جدول ، وتحت القرية ينبوع رائق . اما القرية فليست سوى مجموعة اكواخ او زرائب .

هيكل نحلة

في منتصف القرية خرائب هيكل قديم . كان الهيكل قائماً على دكة مرتفعة مبنية بالحجارة ، كالهيكل الذي شاهدناه في دير العشاير[1] . في اسفل البناء مدماكان من الحجارة الكبيرة ما زالا ظاهرين ، هما اساس البناء . فوقهما مدماك له حاجب كبير كأنه افريز معكوس . فوق هذا المدماك مدماكان ، اعلاهما بافريز او حرف وهو يشكل ارض الدكة التي ترتفع الان اثنتي عشرة قدماً

١ راجع الصفحة ٤٣٧ من المجلد الثالث للمؤلف .

فوق الارض. وهذه الدكة تتجاوز جسم الهيكل بارزة ثلاث عشرة قدماً ونصف القدم الى كل من جهتيه والى الطرف الغربي ايضاً . اما طرف الدكة الشرقي وطرف الهيكل فكلاهما محطمان ومهدمان . ويبلغ طول القسم الباقي من الهيكل نفسه ثماني وسبعين قدماً ، وعرضه اثنتين واربعين . حجارته كبيرة ، طول اكثرها عشر اقدام او اثنتي عشر قدماً . يظهر على بعضها انحراف فظ في زواياها ربما كان صدفة . اما جسم الهيكل فلم يبق منه سوى بضعة مداميك ، بنى السكان داخلها وعلى الدكة زرائبهم . وترى حجارة كثيرة منحوتة في عرصات المساكن الاخرى وخارج القرية .

بين نحلة ومقلب الماء في البقاع

مدينة قديمة واضرحة . نواويس . قناة الماء الى نحلة .
يونين . دير الاحمر .

على الرابية ، شرقي القرية ، اسس مدينة ابكر من نحلة ، آثارها بادية . وفي الرابية نفسها اضرحة كثيرة مقدودة ، زارها رفيقي المستر روبصن العام ١٨٤٨ . احد هذه الاضرحة يشتمل على ممر طويل ، على كلا جانبيه . قدت خمس فرضات ، وقدت فرضة واحدة في الطرف قبالة المدخل . في كل من هـــذه الفرضات الاحدى عشرة ، ثلاثة نواويس او لوكولي Locolu قدت في الصخر جنباً الى جنب . اما شكل الاضرحة الاخرى فيشبه هذه ، ولكن اتساعها يختلف كثيراً .

كان الماء يجلب الى نحلة قديماً من ينبوع في الوادي الواقع

وراء التلة المذكورة الى الجنوب الشرقي من القرية ، بقناة طولها ميلان او ثلاثة ، لم يبق منها سوى اقسام متينة البناء ومطينة بالاسمنت . اما الان فالمياه تجري جنوباً في اقنية خشنة مكشوفة ، لري الحقول التي تخص بعلبك . وقد عبرنا احد هذه النهيرات في مجيئنا الى هنا .

الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين تركنا نحلة . نزلنا في الوادي الضيق ، فعبرنا النهير على جسر ذي قنطرة واحدة ، ثم عاودنا صعودنا باتجاه الشمال الغربي حتى الساعة الواحدة . سرنا شمالاً بجانب المنحدر فكنا الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والاربعين قبالة يونين ، وهي قرية صغيرة عن يميننا . هنا نجد هذا المنحدر الكبير متقطعاً . على مسافة نصف ساعة من سفح الجبل يخرج واد متسع قليل العمق يجري فيه جدول ماء صغير . في هذا الوادي تقع القرية ونبعها ، على سفح انتي لبنان . وتوجد ايضاً وهدة في الجبل الذي وراءه . وصلنا الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة الى النهير الذي في الوادي . و هذا النهير سحبت منه عدة جداول صغيرة على جانب المنحدر استعملت كلها للري . عند هذه النقطة لمسنا تأثير انحراف الجبال واقترابها من بعضها ، اذ اصبح اتساع الوادي الكبير لا يزيد على الساعتين . كانت طريقنا هنا على نحو ثلث عرض السهل اذا قيس من الجبل الشرقي . تقع دير الاحمر شمالاً على ٦٤ درجة غرباً من يونين .

المغزل

في الجزء الغربي من السهل المذكور الواقع جنوبي دير الاحمر ، على الطريق بينها وبين بعلبك ، يقوم عمود منعزل على مسافة ساعة ونصف الساعة باتجاه بين الشمال والشمال الغربي من بعلبك . نمط هذا العمود كورنثي ، وهو يعتلي قاعدة او دكة يُصعد اليها بخمس درجات ، ويشتمل على اربع عشرة او خمس عشرة قطعة من الحجر ، سمك الواحدة ثلاث اقدام ، هذا خلا القاعدة والتاج . في الجانب الشمالي منه نحتت عليه لوحة صغيرة نحتاً ناعماً ، لا اثر عليها لاي نقش او كتابة[1] . قد يكون هذا العمود نصباً اقيم هناك لعلاقة له ببعلبك او حدودها ، او اقيم على الارجح لتخليد حدث تاريخي غابت عنا معرفته في الوقت الحاضر . يسمي الوطنيون هذا العمود المغزل[2] .

شمالي لبنان

شمالي لبنان كما تراه من الطريق بين بعلبك ودير الاحمر. سلاسل الجبال فوق الارز . شجيرات السنديان القزمة . اختلاف الاسماء .

في هذا الجزء من طريقنا ظهر لنا المنحدر الشرقي من لبنان

١ موندريل ، السادس من ايار .
Pocoke, Il. i. p. 107.
Wilson, Lands of the Bible, Il. p. 386.

٢ و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٧٠٠ .

اكثر وضوحاً . تحت الحرف العالي فوق الارز او بالاحرى على اكثر من نصف المسافة صعداً في الجبل ، مدرّج متسع غير مطمئن ، تفصله اودية قليلة العمق فتجعل منه حرفين او ثلاثة حروف متوازية ولكنها غير منتظمة . وهذه الحروف تمتد شمالاً على طول امتداد لبنان ، وتنتهي بعدة حروف اصغر منها . وكل هذه الحروف ، والقسم المنخفض من الجبل ، تبدو جد مكسوة بالاشجار ، وهذا يعد جد مشجر في لبنان . اكثر هذه الاشجار من السنديان ، وهي قزمة ، يؤخر نموها اطلاق العنان للماعز والاغنام ترعى الاغصان الصغيرة[1] . من هذا المدرج يرتفع الحرف الظهري العالي بانحدار شديد ، وهو مركب اجمالاً من الصخر العاري . وفي هذا الوقت من السنة يملأ الثلج كل حفرة وتجويف فيه . وقد بدا الثلج على قمة الحرف متواصلاً غير منقطع تقريباً . ولكنا فهمنا ان الثلج في هذا الفصل كان غير اعتيادي .

قبل وصولنا الى بعلبك ، سأل رفيقي مراراً ، ولا يزال يسأل حتى اليوم ، عن الاسم المحلي لهذا القسم الشمالي من لبنان . فكان جواب احدهم ان اسمه جبل بشري ، وآخر اجاب انه جبل لبنان ، واسماه احد اهالي يونين « المسقية » اي الساقي . اما ابعد الى الجنوب فاسماه لبنان . وغيره اسماه الجبل فحسب .

١ وهذا ما يقوله المستر روبصون الذي تجول في ذلك الاقليم من الجبل .

بين مقلب الماء واللبوة

مقلب الماء في البقاع . قرية رسم الحدث . معلم الهرمل.

طريقنا الان بجانب القسم الغربي من المنحدر الكبير باتجاه نحو الشمال بشرق . ومن الواضح اننا كنا نقترب من مقلب الماء في الوادي الكبير الذي لم نكن نعرف موقعه تماماً بعد . ولذلك كنا جد يقظين . بعد قليل ظهرت قرية رسم الحدث امامنا الى اليسار ، قائمة في اسفل هضبة ، خلناها اول وقوع نظرنا عليها انها تمتد غرباً عبر الوادي ، فتكوّن مقلب الماء . ولكن السكان اخبرونا عن واد ضيق يمتد اكثر الى الشمال غربي القرية تماماً . ان الماء هناك لا يزال يجري من الشمال ، وهذا ما تحققناه بعد وصولنا . الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة كنا قبالة القرية ، على مسافة نصف ميل غربي طريقنا . صعدنا المرتقى السهل باتجاه بين الشمال والشمال الشرقي ، فوصلنا حالاً الى نهير جميل مصدره نهر ابعد الى الشمال ، وينبوع ابعد الى الشرق سحبت مياهه الى القرية الواقعة الى الجنوب الغربي منه .

الساعة الرابعة وصلنا البقعة العليا او الحرف الاكثر ارتفاعاً . ولاول مرة امتد نظرنا الى الشمال . من هنا اصبح معلم الهرمل المنعزل منظوراً . سرحنا الطرف في سائر قسم البقاع الشمالي ، وشاهدنا جدولاً صغيراً يجري بقناة صناعية من جهة الجبل الشرقي بجانب قمة الحرف العريض . قسم هذا الجدول الى قسمين بالقرب من الطريق التي نسير عليها لارواء منخفضين او

بقعتين صغيرتين على جوانب مختلفة من الحرف . فرعٌ منه يجري الى الجنوب الغربي ، والآخر الى الشمال الغربي . اما مجرى النهر القديم ، فهو واد اكثر انخفاضاً على بضعة رودات الى الشمال ، وهو يجري الى الشمال الغربي والشمال . هنا اذاً مقلب الماء في هذه الجهة من الوادي الكبير كما اظن ، ولا يمكن ان يختلف كثيراً عن هذا الخط في القسم الابعد الى الغرب[1] .

١ الملاحظة الوحيدة التي نشرت عن مقلب الماء في البقاع هي التي نشرها المستر تومسون في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٨، الصفحة ٦٩٨ . مر المستر تومسون جنوباً بجانب الناحية الغربية ، ويقول ان مقلب الماء كائن في حقل طويل من الحبوب غربي اللبوة .

في تشرين الاول من العام ١٨٥٢ ، صعد الدكتور دي فورست في الوادي من الجهة الغربية ، فوجد مقلب الماء في مكان ما جنوبي قرية شمد (لعل المؤلف يعني قرية شعث في قضاء بعلبك . ـ المعرب) التي يجري الماء منها الى الشمال . ولكن الدكتور دي فورست لم يعين موقع هذه القرية ، ولا اظن انها تبعد الى الجنوب اكثر كثيراً من اللبوة ، هذا اذا كانت تبعد. سار الدكتور دي فورست من مقلب الماء الى ينابيع العاصي سيراً عادياً، فكانت المسافة اربع ساعات ونصف الساعة. اما نحن فقطعنا المسافة بين اللبوة وينابيع العاصي بخمس ساعات ولم تكن معنا امتعتنا . ولكن طريقنا كانت اطول من الطريق التي سار عليها الدكتور دي فورست . (راجع صحيفة الارسالية اليومية) .

ويقول الدكتور دي فورست ان ارتفاع مقلب الماء ثلاثة آلاف ومئة وسبع وعشرون قدماً ، وهو مع ذلك اقل ارتفاعاً من بعلبك بعدة مئات من الاقدام كما يقول رسغر وشوبرت .

راجع الصفحة ٥٠٦ من المجلد الثالث للمؤلف .

بين اللبوة والعين

اللبوة ونبعها . ترع للري . غزارة المياه . كثرة الينابيع . موقع قرية اللبوة . آثار مدينة قديمة . ملاحظات تاريخية . محمد حاكم بعلبك . معركة بين شهاب الدين وفرسان المستشفى . حصن الاكراد . ليبو . دليل انطونين . تنقيح في الارقام الرومانية .

الينابيع والترع

تابعنا طريقنا بانحدار تدريجي باتجاه نبع اللبوة الواقع شرقي القرية . قبل ان نصل الى هذا النبع اعترضتنا ترعة للري تتجه اولاً الى الجنوب الغربي بجانب الحد الجنوبي للسهل المنخفض غربي الينبوع . سرنا صعداً على محاذاة هذه القناة فوصلنا الينبوع الساعة الخامسة وضربنا خيمتنا عنده للمبيت ليلتنا .

الينبوع جد غزير ، ماؤه زلال ، يتفجر من اربعة اماكن ، من تحت بقعة متسعة من الحصى الخشنة ، واقعة غربي صف من الصخور الكلسية . يتصل هذا الصف من الصخور بارض اعلى منه تمتد راجعة شرقاً الى الجبل . وربما كانت كمية المياه المنبجسة هنا اغزر من مياه عنجر . وخلا هذه الجداول الاربعة الكبيرة توجد ثلاثة او اربعة اصغر منها . والظاهر ان قليلاً من الحفر بين الحصى يكفي لاندفاع ينبوع او اي عدد من الينابيع .

وعدا الترعة الجارية على الجهة الجنوبية من السهل المنخفض ، توجد ترعة اخرى الى الشمال ، وترعة ثالثة اكبر منها ، وعلى مسافة فوقها ، تمتد شمالاً حتى القاع ، وتجري بجانب الوادي بالقرب من الطريق .

اما بقية المياه فتجري غرباً الى حوض الارض ، فتخصبه وتحوله الى مرجة خضراء وتزيده جمالاً . والنهر يجري الى الشمال الغربي باتجاه اسفل لبنان ، ويشق طريقه نزولاً على طول ضفة الوادي الكبير الغربية ، في هوة عميقة ضيقة وعرة ، وسط بقعة صخرية صحراوية ، فيغيب في ينابيع العاصي باتجاه الهرمل .

اللبوة

تقع قرية اللبوة الصغيرة البائسة في منتصف حوض الارض على تل منخفض بين الجداول ، على مسافة خمس عشرة دقيقة من الينبوع . موقعها بين الغرب والشمال الغربي . وتدل آثارها على موقع قديم لم يبق منه سوى اكوام من الردم ، واعمدة محطمة ملقاة هنا وهناك او تيجان مبعثرة مشوهة . على الحاجب الشمالي من التل آثار بناء كبير ربما كان هيكلا ، لم يبق منه سوى الاسس والجدران التي تليها . اما القرية الحالية فليست سوى بضعة اكواخ بائسة[1] .

[1] تشرين الاول من العام ١٨٥٣ ، كان المستر بورتر في قرية اللبوة . فمر على هذه الطريق الى حمص .
راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٦٣ .
كان بيلون ، السائح الفرنسي ، هنا نحو العام ١٥٤٨ م . وهو يتحدث عن «بناء روماني

نحن هنا قبالة ارز لبنـــان القائم وراء السلسلة الظهرية الشامخة . على هذه الجهة من الجبل كنا نرى سلاسل الجبـــال المنخفضة تمتد نزولاً ثم تتجاوزه الى الشمال الشرقي .

ملاحظات تاريخية

يذكر المؤرخون العرب ان اللبوة كانت مكاناً محصناً . ففي العام ١١٣٢ م. استولى عليها وعلى الراس محمد الذي كان حاكم بعلبك وقتئذ[١] . وفي العام ١١٧٠ م. اصطدم شهاب الدين ، على رأس مئتي خيال ، مع ثلاثمائة فارس من الافرنج ، فهزمهم ، وذبح مع من ذبح زعيم فرسان المستشفى الذي كان مستولياً على الحصن المعروف يومئذ بحصن الاكراد[٢] .

ويبدو ان هذا الاسم ، اللبوة ، يدل على استغراق في القدم ، فهو يطابق كل المطابقة اسم Lybo او Libo المذكور في دليل انطونيني القديم Itinerarium Antonini ، ولكن المسافة من بعلبك لا تتفق مع موقعهـا ، الا بتنقيح بسيط في قراءة الارقـــام الرومانية الدالة عليها ، اي ان نقرأ XXII ميلاً عوض XXXII ميلاً

قديم » كان لم يزل قائماً ، وكان مبنياً من حجارة ضخمة . راجع :
Belon, Observations etc . Par 1555, p. 154.
Paulus' Sammlung, Th. II. p. 6,

١ De Guignes, Hist. des Huns, II. p. 434. Germ.
٢ Ibid. p. 527.

رومانية[١] . وسأعود الى هذا الموضوع مرة اخرى في الكلام عن رأس بعلبك .

بين العين وراس بعلبك

تربة قاحلة . النبي عثمان . العين . آثار ابنية سابقة . اضرحة محفورة . قرية فيكة . بركة قدس

الجمعة ١١ حزيران.—تركنا ينبوع اللبوة الساعة السادسة والدقيقة

١ Itin. Antonini, ed. Wess. p. 198.

Emesa (Hums).

Laudicia	m.p.	XVIII.
Libo	« «	XXXII.
Heliupoli	« «	XXXII.

وهذه المسافات نفسها مدرجة على الصفحة ١٩٩ من الدليل اعلاه ولكن بترتيب معكوس ، وابدال اسم ليبو بـ"قنا . قطعنا المسافة بين اللبوة وبعلبك بخمس ساعات واربعين دقيقة ، وهي (كما سنرى فيما بعد) تقارب اثنين وعشرين ميلاً رومانياً . وبما ان المسافة كلها بين بعلبك وحمص معروفة ، فلا يبعد ان يكون التعيين الاول كما يلي :

Emesa

Laudicia	m. p.	XVIII.
Libo	« «	XXXXII.
Heliupoli	« «	XXII.

وهكذا فان مجرد نقل ٢٠ من سطر الى اخر يزيل الصعوبة . قد يكون السبب الاول في هذه المشكلة حدث سهواً من الناسخ ، او لجعل الاعداد تتفق مع اعداد الدليل المعكوس .

استرد عن هذه المسألة ، فيما بعد ، في الكلام عن رأس بعلبك.

وقد عزا رينل Rennell ليبو في خارطته التي رسمها لسوريا الى اللبوة .

ويقول المستر تومسون ان الاسمين لمسمى واحد . راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٩٩ .

وراجع ايضاً: Ritter, XVII. p. 169.

الخامسة والخمسين . وبعد بضع دقائق وصلنا ضفة الترعة الشرقية . يجري في هذه الترعة قسم غزير من الماء وسط البقعة الجدباء امامنا . حقاً ان التربة هنا قاحلة وصلبة ، فلا يبدو اثر للماء فيها الا حالما يصلها . تتابع الطريق العادية سيرها بالقرب من هذه الترعة حتى رأس بعلبك .

الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين كان الى يميننا على مسافة عشر دقائق مقام ولي اسمه النبي عثمان مع بضعة بيوت ، وقليل من الاشجار ، وينبوع قليل الماء . تركنا الترعة الان وتحولنا الى الشمال الشرقي باتجاه العين . صعدنا بجانب المرتقى فوصلنا القرية الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين .

قرية العين

العين قرية صغيرة تتبعثر فيها الحجارة الصالحة للبناء ، وترى آثار ابنية سابقة ، ولكن لا شيء يدل على انها عريقة في القدم . والحجارة الضخمة غير موجودة . أخبرنا عن وجود اضرحة محفورة غربي القرية . يروي القرية ثلاثة ينابيع خفيفة قريبة منها ، وتكثر فيها الكروم والاشجار . والعين تقوم مرتفعة على الجذور او النتوءات التي تنحدر الى هنا من انتي لبنان . وهي ترى جلية واضحة من مسافة قصية حولها ، خصوصاً من الجنوب والغرب . وقد رأينا ان هذه الجذور او النتوءات تشكل منحدراً قاحلاً الى الغرب ، يمتد وسط الوادي كله حتى سفح لبنان . ويمر النهر الجاري من اللبوة في هوته العميقة وسط هذه البقعة . وربما كان

اضيق قسم في هذا الوادي العظيم قريباً من هنا .

لا يعقل ان يكون هذا المكان هو نفسه الموضع المذكور في سفر العدد باسم العين ، وانه واقع غربي ربلة[1] . اما حقيقة الكلمة العبرية الواردة في العبارة فالارجح انها تشير الى ينبوع العاصي الواقع الى الجنوب الغربي من ربلة[2] .

تابعنا الصعود تدريجاً الى الشمال الشرقي حتى الساعة الثامنة والدقيقة العشرين ، فوصلنا الى رأس المرتقى ، فاذا بنا فجأة على حاجب هوة جد ضيقة وعميقة ، ووراءها حرف جبل آخر شبيه بالحرف الذي صعدناه[3] . على ارتفاع قليل في بطن الهوة تقع قرية فيكه[4] ، فكأن الاخدود العميق ، وهو المتمم للمضيق القفري الكائن في الجبل وراءه تماماً ، شق حرفاً عريضاً عالياً في وسطه من قمته الى سفحه ، فهو ينحدر وسط البقعة القاحلة المذكورة سابقاً ويواجه اللبوة . نزلنا في الخدود ملتف فوصلنا القعر وعبرنا النهر تحت القرية تماماً الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة

١ راجع سفر العدد ، الاصحاح الرابع والثلاثين ، العدد الحادي عشر . « الى ربلة شرقي عين » .

٢ ثلاث كلمات باللغة العبرية معناها الحرفي « الى الينبوع » ، اي ان « التخم ينحدر من شفام الى ربلة شرقي عين (الينبوع) » . (راجع سفر العدد ، الاصحاح الرابع والثلاثين ، العدد الحادي عشر) .

٣ كانت قريتا عين واللبوة تبدوان في صف واحد . موقعهما من اعلى هذا المرتقى جنوباً ٥٠ درجة غرباً .
قابل هذا مع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٦٤ .

٤ لعل المؤلف يقصد قرية فاكهة في قضاء الهرمل . — المعرب .

والثلاثين . والنهر الذي عبرناه صغير لا يلبث الري ان يستنزف ماءه . اما القرية فلا ترى من الطريق التي تسير بجانب الترعة . وهي قرية كبيرة نوعاً . والوادي الضيق محروث جيداً .

اما الطريق الصاعدة في الجانب الشمالي من الاخدود فاقل انحداراً ومشقة من تلك التي على الجانب الجنوبي . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين كنا على رأس الاخدود ، فكان الى يسارنا صف من الاكام الصنوبرية على موازاة الجبل . وهذه الارض المرتفعة التي نقف عليها الآن واقعة بين صف الاكام هذا والجبل . نزلنا تدريجاً الى الشمال الشرقي ، فلم يلبث معلم الهرمل ان بدا لنا للمرة الثانية ، وانفتح امامنا المنظر حتى بركة قدس باتجاه حمص . وصلنا الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة الى رأس بعلبك .

بين راس بعلبك والينبوع الكبير

قرية الراس وموقعها . دير مكوس للعذراء . دير خرب . اسس كنيسة قديمة . خرائب . اطلال . لوديسيا . حمص . المسافات المسجلة . المجمع الكلسيدوني . اسقفيات مسيحية . قنا . المسافات بين حمص وبعلبك . فينيقيا اللبنانية . دادا . اسقف كوناشارا .

قرية الراس

قرية الرأس الحالية فقيرة بائسة ونصفها خرب ، وهي تقع في الفسحة الواقعة بين الاكمتين الصنوبريتين الاخيرتين . ويمتد بين هاتين الاكمتين مضيق فسيح يشكل منخفضاً عريضاً قليل الغور ، يخرج من الجبل وراء القرية ويواصل امتداده الى السهل الغربي . في اعلى هذا المضيق الذي يشق الجبل حتى اسفله تقريباً ، تمرّ (كما قيل لنا) طريق الى النبك يقال انها على مسافة تسع ساعات منا . في القسم الاسفل من القرية ينبوع صغير خفيف ، ولكنه جميل . الجنائن وبساتين الاشجار المثمرة تكثر تحت الينبوع ، وتمتد الى ما وراء الاكام ، حتى السهل ، ويستدل منها على القرية عندما يُنظر اليها عن بعد . سكان القرية كلهم روم كاثوليك . في اعلى القرية ، قرب المضيق ، دير بناؤه حديث

كرس للعذراء[١] . ويوجد دير آخر ، ولكنه خرب[٢] .

خرائب كنائس وغيرها

من الواضح ان هذا المكان الغارق في الدمار والخراب ، كان في اوقات سالفة مدينة لها اهميتها منذ العصور المسيحية الاولى على الاقل . في منتصف القرية تبدو اسس كنيسة قديمة كبيرة ، طرفها الشرقي يمتاز بفراغ كبير نصف دائري في منتصفه ، وبفراغين آخرين اصغر منه على كل من جانبيه ، ومدماك يمتاز بحجارته الكبيرة المسواة بدقة وهي لم تزل باقية في مكانها . وتوجد خرائب كنيسة اخرى غربي القرية وجنوبي الينبوع ، طولها نحو مئة قدم وعرضها خمسون . وعلى طرفها الشرقي فراغ كبير . لم يبق من جدران الكنيسة سوى ثماني اقدام او عشر لم تزل قائمة فوق الارض . قد تكون هذه الكنيسة متصلة سابقاً بفناء على الجهتين الغربية والشرقية كما يبدو للنظر . وعلى بعد خمس دقائق الى الغرب ، طلل آخر بني بحجارة كبيرة ، ولكن لم يبق منه ما يكفي للدلالة على شكله . ويظهر ان قناة تحت الارض كانت

١ بات المستر بورتر في هذا الدير بعد عام من هذا التاريخ. راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٦٤ وما بعدها.

٢ الموقع من الراس، طرف لبنان الشمالي، شمالا ٥ درجات شرقاً . نصب الهرمل، شمالا درجتان غرباً . قرية الهرمل ، شمالا بغرب . ربلة ، ٣٥ درجة شرقاً . زراع ، شمالا ٣٩ درجة شرقاً . بحيرة قدس ، في الوسط ، شمالا ٢٢ درجة شرقاً .
قابل مع كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٦٥ وما بعدها .

تجلب الماء من الينبوع الى هذا الطلل . بالقرب منه اسس بناء آخر من الحجارة الكبيرة . حجارة هـذا الطلل وحجارة الكنيسة غربي القرية من نوع الصخور المركبـة من قطع من الحجارة المدورة الصقت ببعضها بمادة معدنية . اما حجارة الكنيسة التي في قلب القرية فهي من الحجر الكلسي . وفي سائر الانحاء داخل القرية وحولهـا ، اسس وخلافها من آثار الابنية الخربة ، وحجارة منحوتة ، بعضها كبير ومسوى جيداً .

المسافات المسجلة في الادلة

هنا يتساءل المرء اي مدينة مسيحية قديمـة يمكن ان تكون هذه ؟ لم اتمكن قبلاً من الاجابة عن هذا السؤال جواباً شافياً ، ولكني ، بعد مقابلة المسافات مقابلة دقيقة ودرس سائر الملاحظات التاريخية المتعلقة بهـذا الاقليم درساً مطولاً ، انتهيت الى الاعتراف والتسليم بان الراس هي كونا او قنا Conna القديمة المذكورة في دليل انطونيني .

يذكر هذا الدليل المسافات بـين اماسا Emesa (حمص) وبعلبك في الاتجاهين كما ورد في الملاحظة ادناه[١] . اما المسافات

[١] راجع : Itin. Antonini, ed. Wess. pp. 198, 199.
ان المسافة بين بعلبك وحمص هي اثنان وثمانون ميلا رومانياً، كما يلي :

الذهاب جنوباً

Emesa

المتوسطة بين الاتجاهين فهي عينها في كليها . ففي الاتجاهين سجلت المسافـــة التي تفصل لوديسيا Laudicia (Laodicea) عن اماسا بثمانية عشر ميلاً رومانياً الى الجنوب . وهـذا صحيح حسب الظاهر . اما لوائح او جداول بوتنجر Peutinger Tables فتسجل المسافة نفسها بعشرين ميلاً رومانياً . ويقول بطليموس انها على ١٥ درجة من خط العرض[١] . فاذا اتجهنا من حمص جنوباً تقع ليبو في منتصف الطريق بين لوديسيا وهيليوبوليس . اما اذا اتجهنا من هيليوبوليس شمالاً فتقع قنا في منتصف الطريق اي بين هيليوبوليس ولوديسيا . وقد رأينا سابقاً انه بالامكان اعتبار ان ليبو هي اللبوة المشابهة بين الاسمين ، ولا تحتاج الا الى تنقيح بسيط في الدليل[٢] .

وهكذا فالمسافة بين هيليوبوليس واماسا هي اثنان وثمانون ميلاً رومانياً كما جاء في الدليل . كانت وسائلنا في السفر خفيفة وسريعة ، فقطعنا المسافة بين بعلبك وربلة بثلاث عشرة ونصف

Laudicia	m. p.	XVIII.
Libo	«	XXXII.
Heliupoli	«	XXXII.

الذهاب شمالاً

Heliupoli		
Conna	m. p.	XXXII.
Laudicia	«	XXXII.
Emesa	«	XVIII.

١ راجع: Tab. Peuting. ed. Scheyb. Segm. X.
Poti. Geor. 5. 14.

٢ راجع الصفحة ٥٣٣ من المجلد الثالث للمؤلف.

الساعة (منها ثلاثه ارباع الساعة صرفناها في انحرافنا الى ينابيع العاصي) . وقد قطع المستر بورتو ، في السنة التالية ، المسافة بين ربلة وحمص بسبع ساعات[1] . فتكون المسافة اذاً من بعلبك الى حمص عشرين ساعة ونصف الساعة . سافر الدكتور دي فورست في تشرين الاول من العام ١٨٥٣ من نقطة ما قبالة بعلبك الى حمص بطريق شعب والهرمل وزيته ، وعبر نهر العاصي جنوبي تل النبي ميندو ، فقطع المسافة بعشرين ساعة ونصف الساعة ايضاً . فيكون معدل سفرنا الان بالقياس الى الادلة القديمة اربعة اميال رومانية في الساعة . وقد قطعنا المسافة بين بعلبك والراس بثماني ساعات الا خمس دقائق ، او ما يقرب من اثنين وثلاثين ميلاً رومانياً ، وهي المسافة المضبوطة بين قنا وهيليوبوليس كما جاء في الدليل[2] .

١ راجع المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٧٤ وما بعدها .

٢ تعتبر مجموعة البيانات الفرنسية ، المشتملة على خرائط من رسم لابي Lapie ، وكذلك طبعة بارثي Parthey وبيندر Pinder وخريطتها ، ان التصريحين المدرجين في دليل انطونيني يشيران الى طريقين مختلفتين بين هيليوبوليس ولوديسيا بجانب جهتي[؟] الوادي الكبير الشرقية والغربية ، وتعتبر ليبو بالقرب من الهرمل ، وقنا بالقرب من الراس . راجع :
Recueil des Itinéraires anciens par le Marq. Fortia d'Urbain; avec dix Cartes par Lapie; Paris 1845, p. 55.
Itin. Antonini, ed. Parthey and Pinder, p. 328, 352.
ولكن هذه النظرية تخالفها اعتبارات كثيرة .
اولا — ان الطريق من بعلبك الى حمص تسير بجانب جهة الوادي الشرقية وليس بجانب الجهة الغربية . وقد سافر المستر تومسون والدكتور دي فورست على الجهة الغربية ولم يدركا بعلبك.

والارجح ان قنا القديمة هذه ، المذكورة في الدليل ، هي قنا المذكورة في النوتيتيا ديغنيتاتم[1] Notitia Dignitatum . وتبين ملاحظات اخرى انهـــا كانت كرسي اسقف في ابرشية تعرف بفينيقيا اللبنانية . ففي تقارير المجمع الكلسيدوني Chalcedon الرابع في العام ٤٥١ م. سجل اكتتاب « دادا اسقف كوناشارا » Dada bishop of Ghonachara . والشيء نفسه يحدث في مكان آخر[2] . وفي نوتيتيا يونانية مبكرة ، نجد ايضاً الاسم سالتوس

ثانياً — لو كانت ليبو بالقرب من الهرمل لوجب ان تكون قنا قبالتها بالقرب من القاع .

ثالثاً — في كلتا الحالتين ، لا يمكن ان يكون الموقع المذكور مضبوطاً ، لان الهرمل والقاع يبعدان عن بعلبك اربعين ميلا رومانياً على الاقل ، في منتصف الطريق بين بعلبك وحمص ، وهذا يخالف ما يفترضه كتاب الدليل .

اما النظرية المضبوطة المرجحة فهي ان احدى الطريقين تسير مثل طريقنا ، مارة على ينبوع اللبوة وعبر الاكام، مارة على الراس، والثانية تسير اكثر في السهل ، مارة بقرية اللبوة ومع الترعة . فالطريق الاولى تصل الى الراس (قنا) وليس الى اللبوة (ليبو)، والثانية تمر بالقرب من اللبوة ، ولا تمر بالقرب من الراس .

وبعد ان توصلنا الى النتائج النهائية المذكورة في المتن ، تنبهت الى اشـارة لاي ان قنا هي الراس نفسها . قابل مع : Ritter Erdk. XVII. p. 170.

١ Notit. Dignitatum, ed. Bocking, I. p. 85, 382.
اما الطبعات القديمة فتكتبها قوما Guma .
Ed. Genev, 1623, p. 223.

٢ Act. 6.
Comp. le Quien Oriens Christ. II. 847, 849.
Car, à St. Paulo Geogr. Sacra. Amst. 1704, p. 295 et n.

غونيتيكوس Saltus Gonaiticus . وفي نوتيشيا اخرى لاتينية ، نجد اسم كونوكورا Konokora ، ويذكر انها اسقفية في هـذه الابرشية بين لوديسيا وجبرودا Gabruda [١] . كل هـذه الامثلة والاسماء تشير حسب الظاهر الى مكان واحد بعينه [٢] . فخرائب الكنائس القديمة الكثيرة في الراس تطابق هـذه الابرشيات المذكورة كل المطابقة [٣].

١ Reland Palaest. p. 217.
See Parergon to the work of Car, à St. Paulo as above, pp. 50, 51 62.

٢ Rennell, with whom Ritter agrees, connets also the the word of Polt. 5. 14, with Conna. But the name is here mentioned in the order:
Helliopolis, Abila, Saana, Damascus; thought, according to the longitude specified, it was east of Damascus. At any rate it cannot be brought into connection with Conna and er-Ras.
Ritter, XVII, p. 171.

٣ في مخطوطة عربية للاسقف مكاريوس الانطاكي كتبت في العام ١٦٣٥م. اسمان هما كاموارا Camoara ومدينة غيرها ، وهما يشيران الى قرية قارا Kara الواقعة على الطريق المباشرة بين حمص ودمشق. والظاهر ان هذا من باب الحدس لا غير. وعلى افتراض ان ذاك المكان كرسي اسقف، فانه اكثر انطباقاً على كاروتيا .
Karotea so the Lat. Notitia;
See Parergon as above. p. 62.
وهذا المؤرخ نفسه يقول ان معلولا هي سيليوسيا Seleucia الدمشقية ، وهذا ما لا افهمه .
ولكن معلولا اكثر انطباقاً على :
Klima Magludorum, of the Greek Notitia, and episcopal seat.
راجع المصدرين التاليين :
Reland, palaest. p. 217.
Parergon, ibid. p. 50-51.
اما مطالعة المخطوطة اعلاه فانا مدين بها للقس بورتر .

بين الينبوع الكبير ومغارة الراهب

طريق الهرمل . سهل صحراوي . القـاع . ينابيع العاصي. تربة مجدبة . المروج . ينبوع عين. نهر العاصي. قرية شعب . جوسية .

وصف الطريق

ارسلنا بغالينا رأساً الى ربلة وتركنا الراس الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والخمسين ، وسرنا على طريق الهرمل . تسير هذه الطريق باتجاه بين الشمال والغرب عرضاً عبر السهل الصخري الصحراوي . الساعة العاشرة والدقيقـة الثلاثين عبرنا الترعة او الشعبة الصناعية المسحوبة من اللبوة . والترعة هنا غزيرة وتستعمل لادارة ثلاثة طواحين متوالية غير بعيدة كثيراً عن بعضها . ولكن التربة جد مجدبة ، لا تؤثر فيها قطعاً غزارة المياه التي تصب في الارض المجاورة للماء ، حتى ولا الارض التي بالقرب من ضفاف الترعة . تذهب مياه الترعة الى القاع فتحدث خصباً كثيراً في بقعة اكثر انخفاضاً وارض اغنى تربة . تابعنا سيرنا حتى الساعة الثانيـة عشرة في هذه الصحراء التي تتخللها احياناً هويّ وصفوف وطيئة من الصخور . هنا تركنا الطريق التي تواصل سيرها الى قرية الهرمل وعبرنا العاصي على جسر . انحرفنا الى اليسار فاذا بنا نبعد كثيراً الى الشمال ، فاضطررنا الى التحول قليلاً في اتجاه بـين

الجنوب والغرب ، لكي نصل الى الينبوع الكبير . وصلنا الينبوع الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين فاذا به في هوة ضيقة يراوح عمقها بين ثلاثمائة قدم واربعمائة ، وتهوي بسرعة فجائية ، فلا يشعر الاتي من الشرق بوجودها حتى يقف على حافتها .

ان البقعة الصحراوية العالية ، او المنحدر الذي قطعناه اليوم ، الممتد غرباً من انتي لبنان ، يزحم نهر اللبوة وهوته السحيقة الضيقة فيحشرهما في سفح لبنان . فالهوة ، كما شاهدناها هنا فوق ينابيع العاصي ، جد ضيقة وجوانبها عمودية ، وفي اسفلها شقة ارض هزيلة فحسب . هنا بدا لنا النهر الاتي من اللبوة غزيراً مثله عند نبعه ، على الرغم مما سحب منه من الشعب للري ، ومن الترعة الكبيرة التي توصل الماء الى القاع . حدانا ذلك الى الاستنتاج ان النهر يظل محافظاً على غزارته بما يصب فيه من الشعب التي تخرج من ينابيع في سفح لبنان . وهذا ، كما ، يظهر حقيقة ما يحدث . في آب من العام ١٨٤٦ ، صعد المستر تومسون في هذا الوادي ، وسار مسافة ساعة من ينبوع العاصي الى مكان اسمه المروج ، مليء بالينابيع وشجر الصفصاف . ثم استأنف سيره الى مسافة ساعة ونصف الساعة فوق المروج ، على الجانب الشرقي من هذا الوادي الملتف . ثم عبر الى الجهة الغربية عند ينبوع غزير اسمه عين فحسب . هذا الينبوع جد غزير ، يكفي لادارة عدة طواحين . وهو محاط بكتل كبيرة من الحجارة المنحوتة . اما الهوة التي يجري فيها نهر اللبوة الذي ينضم الى ينبوع العين ، فلا يزيد عرضها على بضعة يردات . ضفافها عمودية ، ترتفع عادة ثلاثين قدماً او اكثر ، وبطنها محروث . بالقرب من ينبوع العين

وفوقه ترتفع ارض الهوة الى مستوى البقعة المجاورة ، ويتفرع منها ثلاثة او اربعة سهول جميلة غزيرة الري . صعد المستر تومسون بجانب السهل الغربي ماراً على قرية شعب . اما السهل الآخر فهو ولا ريب حوض اللبوة الذي يشبه المرجة الخضراء[1] .

اما الهوة هنا ، عند ينبوع العاصي ، فهي قريبة جداً من اسفل لبنان ، حتى ان القادم اليها من الشرق يخالها على بعض المسافة فوق سفح الجبل نفسه ، وبالتالي فوق السهل . والينبوع المركزي او الرئيسي كائن في المكان المتسع من الهوة في نقطة تبعد عشرين او ثلاثين يرداً شرقي المكان الذي يتصل فيه هذا الينبوع بنهر اللبوة . وهذا الينبوع ينبجس من تحت ضفة الهوة الشرقية وليس من تحت لبنان . الصخر فوقه من الحجر الكلسي وطبقاته شديدة الانحدار . قدرنا غزارة ماء الينبوع بثلثي غزارة ينبوع الفيجة ، ولكن ماءه ليس بصفاء مياه ذاك ، ويقال ان عدة ينابيع اصغر منه تنفجر على مسافة ابعد الى تحت ، من اسفل الصخر الشرقي المنحدر نفسه ، ولكن ما من دليل عليها الا غزارة المياه . تكثر الاشجار الضخمة عند الينبوع الرئيسي وبالقرب منه . تناولنا طعام الظهر تحت شجرة من الدلب على حافة الهوة تماماً ، بينما الماء يبقبق ويقرقر حولنا في سائر الجهات . كان النزول شديد الانحدار وشاقاً ، ولكنا تدبرنا امر خيولنا بان قدناها[2] .

١ راجع تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٩٨ .

٢ سجل الدكتور دي فورست ارتفاع هذا الينبوع الفين ومئة وثماني عشرة قدماً

اتجاه مجرى نهر العاصي

يخرج النهر من الينبوع فيجري اولاً غرباً وينضم الى النهر الذي يخرج من اللبوة ، ثم يدور بقوة حول نقطة مرتفعة نائثة الى الغرب ، ويتابع جريه قليلاً الى الشرق . امـــا الهوة السحيقة فيتواصل التفافها حتى جسر الهرمل . ومن ثم يتحول النهر الى الشمال ويجري وقتاً قصيراً بجـــانب القسم الغربي من الوادي الكبير ، فيتعرج كثيراً ، ثم يتحول اكثر شرقاً الى ربلة . اما تحت الينبوع ، فيغزر النهر ويبدو بغزارة نهر بردى تحت الفيجة . ونهر اللبوة فوق الينبوع يبدو اغزر قليلاً من نهر بردى الفوقاني . والهوة في كل اقسامها ضيقة ومسننة ، وضفافها التي رأيناهـــا مرتفعة ومنحدرة . ومن الراهن ان النهر لا يخصب الارض المرتفعة المجاورة للهوة ، ولا في اي مكان اخر منها الا في اسفلها على حافة الماء تماماً .

المؤرخون القدماء

يتحدث المؤرخون القدماء امثال استرابو وبلني بصورة عـامة عن منابع نهر العاصي وعن وجودها في وادي كويلسيريا الكبير

انكليزية. اما ارتفاع الجسر على طريق الهرمل فهو الف وسبعماية وتسع وثمانون قدماً . (راجع رسالة الارسالية).

بالقرب من لبنان [١] . ويقول ابو الفداء خطأ ان ابعد منابع العاصي كائن عند الراس ، عوض ان يقول عند اللبوة ، ولكنه يقول ان القسم الاكبر من النهر ينبع من مكان اسمه مغارة الراهب ، ومن هناك يجري شمالاً حتى يتجاوز جوسية . اما اسم النهر الحالي فهو العاصي ، اي المتمرد . ولم يزل الاعتقاد سائداً انه يخرج من هذه الينابيع [٢] . وهذا مثال رابع للاعتقاد السائد في هذا الاقليم ، وهو اعتبارهم اغزر الينابيع منبعاً للنهر وليس ابعدها . والامثلة الاخرى على هذا الاعتبار هي نهر الاردن وبردى والليطاني [٣] .

١ Strabo, 16. 2. 7. 19. pp. 750, 756.
Plin H. N. 5. 18 or 42, « Amnis Orontes, natus inter Libanum et Antilibanum juxta Aeliopolis. »

٢ Abulf. Tab. Syr. ed. Kohler, pp. 149, 150.
راجع المجلد الثالث للمؤلف ، الطبعة الاولى، الملحق ١٤٤ ، ١٤٥ .

٣ راجع المجلد الثالث للمؤلف،الصفحات ٤١٣ و ٤٧٧ و ٤٩٩.

بين مغارة الراهب وقاموع الهرمل

موقع المغارة . علاقتها بمار مارون . دير مار مارون .
افاميا . قلعة المضيق .

مغارة الراهب

لا تزال مغارة الراهب التي يتحدث عنها ابو الفداء موجودة الى الآن .

تقع هذه المغارة ، التي يعرفها العامة باسم دير مارون ، عالية في الحالق الذي يواجه الشمال ، على الجانب الايمن من النقطة العالية النائتة حيث يتحول النهر بعدها فيجري ، بعض الوقت ، الى الشرق كما ذكرنا سابقاً .

وهذه المغارة مقدودة في الصخور ، ولا تبعد سوى بضع مئات من اليردات الى الشمال الشرقي من الينبوع الكبير .

هنا يرتفع الحالق الهاوي نحو ثلاثمائة قدم ، وتقع المغارة على ثلثي هذا الارتفاع . اما الاكمة الواقعة على الجهة المقابلة للنهر فهي اقل انحداراً ، وتعلو نحو اربعمائة قدم . انتهز الرهبان فرصة وجود رف من الصخور البارزة فحفروا تحتها وتعمقوا بالحفر ، وبنوا امامها اسوراً وجدراناً خارجية تركوا فيها كوى ، فاصبح لديهم رواق مسقوف في جبهة الحالق الهاوي . وراء هذا الرواق

نقروا غرفاً وفجوات اكثرهـا من دورين ، وبعض الفجوات من ثلاثة ادوار . هذه الغرف والفجوات كلها صغيرة ، وهي الان مظلمة قذرة وقفرة . ليس من ساكن هناك الآن ، ولكن قيل ان راهباً او اثنين كانا قد بقيا في المغارة لبضع سنين خلت . في خريف العام ١٨٥٣ شاهد المستر بورتر قطعاناً من الغنم والماعز لاجئة اليها[١] . وقد زار المكان سابقاً المستر باركر Barker والمستر تومسون ، وربما زاره غيرهما [٢] .

علاقة المغارة بمار مارون

اما الاعتقاد السائد عند الجمهور ، فهو ان مار مارون الشهير ، مؤسس المذهب الماروني ، سكن سابقاً في هذه المغارة ، فاكسبها اسمها . والظاهر ان ابا الفداء يجهل ذلك اذ انه يتحدث عنها باسم مغارة الراهب فحسب [٣] . ولكن من الواضح ان هذه القصة ليست سوى اسطورة ، وربما كانت علاقتها بمار مارون من نوع الاساطير

١ راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٦٧ .

٢ راجع W. B. Barker في الجريدة اليومية للجمعية الجغرافية الملكية العام ١٨٣٧ الصفحة ٩٩ .

و W. M. Tomson في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٧ ،الصفحتين ٤٠٥ و ٤٠٨ .

وفي الكتاب نفسه ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٩٧ .

٣ راجع ما يقوله ابو الفداء عن مغارة الراهب في المصدر الآتي :

Tab. Syr. ed. Kohler, p. 150.

ايضاً . فانا لم اعثر على علاقة لمار مارون بهذه البقعة او الاقليم في كل البيانات او الاعتبارات او الملاحظـــات التاريخية التي في متناول يدي عن الموازنة[1] . امـا الدير العظيم الذي شيد لتكريمه بعد وفاته وسمي دير مار مارون ، فكان كما يقول البعض بالقرب من حماه ، او كما يقول البعض الآخر بالقرب من افاميا Apamea وهي الان قلعة المضيق[2] .

قاموع الهرمل

موقع القاموع . شموخه . بناؤه . الحيوانات المحفورة على جوانبه . قرية الهرمل .

تركنا المرتفع فوق المغارة الساعة الثـانية والدقيقة الخامسة والاربعين ، وسرنا باتجاه بين الشرق والجنوب ، وليس امامنا طريق نسلكه ، الى نصب او معلم الهرمل . الساعة الثـــالثة والدقيقة العشرين قطعنا الطريق المؤدية الى الهرمل وكنا صدفنا عنها سابقاً ،

١ راجع ما تحدثت عنه المصادر الاتية عن علاقة مار مارون بهذا الاقليم :
Le Quien Oriens Christ. lll. p. 1-51.
Quaresmius. l. p.p. 91 sq.
De la Roque, Voyage de Syrie et du Liban, ll. pp. 10-120.

٢ تحدثت المصادر الاتية عن الدير الذي بني اكراماً لمار مارون بعد وفاته :
At Hamah; see Le Quien, l. c. col. l.
At Apamea; Le Quien ibid. col. 5.
De la Roque, l. c. ll. p. 32.
Comp. Quaresm. l. p. 96.

فكنا تارة نمر فوق آكام منخفضة تغطيها صخور سوداء بركانية وطوراً بينها ، فوصلنا المعلم الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين . ان هذا البناء غريب ، وربما غامض ، يتعذر الايضاح عنه ، فهو يقوم شامخاً جلياً على رابية مرتفعة بارزة كثيراً في الوادي الكبير من الجهة الغربية ، ويرى على مسافة قصية من سائر الجهات . اما نهر اورنتيز (العاصي) الذي يجري في هوته السحيقة الى الغرب والشمال الغربي فغير منظور من اي مكان ، ولكن قرية الهرمل واشجارها ترى على المنحدر وراء النهر على مسافة ساعة تقريباً [١] . يطلق على هذا البناء الان اسم قاموع الهرمل ، ولكن ابا الفداء يتحدث عنه باسم قايم الهرمل [٢] .

يقوم القاموع على قاعدة مؤلفة من ثلاث درجات من الرخام الاسود ، ارتفاع كل منها اربعة عشر قيراطاً . على هذه القاعدة تستند طبقة مربعة طول الجانب منها تسع وعشرون قدماً وستة قراريط ، بحيط باعلاها افريز مزخرف . فوق هذه الطبقة ، طبقة ثانية متقلصة عنها بعض الشيء الى الداخل ، وابعادها اقل من الاولى . على هذه الطبقة الاخيرة يطمئن هرم شيد بحجارة اصغر من حجارة الطبقتين والقاعدة . تشتمل الطبقة السفلى (مع الافريز)

١ يقول الدكتور دي فورست ان ارتفاع موقع القاموع فوق سطح البحر الفان واربعماية وسبع اقدام ، وارتفاع تربة الهرمل الفان ومئة واحدى وسبعون قدماً ، وارتفاع الجسر فوق النهر بين الاثنين الف وسبعماية وتسع وثمانون قدماً. (راجع رسالة الارسالية).

٢ راجع ما ذكره ابو الفداء عن قاموع الهرمل في اوائل القرن الرابع عشر في المصدر الاتي : Tab. Syr. ed. Kohler, p. 150.

على اثني عشر مدماكاً من الحجارة ، سمك كل منها ثلاثة وعشرون قيراطاً . والطبقة الثانية مؤلفة من عشرة مداميك تبدو انها من السمك نفسه . ويشتمل الهرم على ثلاثة عشر مدماكاً اقل منهـا سمكاً . وهكذا يكون الارتفاع كما يأتي :

	قدم	قيراط
القاعدة	٣	٦
الطبقة السفلى	٢٣	
الطبقة الثانية	١٩	٢
الهرم نحو	١٥	
فيكون المجموع	٦٠	٨

فالارتفاع اذاً لا يقل عن ستين قدماً ولا يزيد على خمس وستين . والبناء كله من الحجر الكلسي خلا القاعدة . جوانبه تواجـه الجهات الاربع الاصلية . الزاوية الجنوبية الغربية هابطة من اعلاها الى اسفلها مما يدل على ان داخل البناء مبني صلباً بحجارة مربعة اصغر من الحجارة المستعملة في الخارج . في الطبقتين عضادات على الزوايا ، ولكن هذه العضادات بدون تيجان ، يكتنفها افريز صغير . في الطبقة العليا عضادتان متعارضتان على كل جانب منهـا . اما الاقسام العليا في جوانب الطبقة الدنيـا ، فمنقوشة نقشاً بارزاً ، يمثل مناظر صيد . وهذه المناظر متكسرة كثيراً ، ومتأكلة بتأثير الطقس ، ومطموسة يصعب فهمها تماماً . امـا الرسم فاقرب الى الغرابة والخيال . وفيما يأتي خلاصة ما شاهدناه .

الرسوم المحفورة على الجوانب

على الجانب الشرقي ، كلاب تهاجم حيواناً اكبر منها ، من الامام والوراء . والنقص الفني جد ظاهر في هذا الرسم ، لان البعض يظن ان الحيوان الكبير خنزير بري وحشي ، وغيرهم يظنه ثوراً . فالقوائم ليست قوائم خنزير بري ، فقد ميزناها بجهاراتنا فبدت لنا كأنها قرون . وعلى الجانب نفسه ايضاً ، قوس وخلافها من ادوات الصيد .

على الجانب الشمالي وعلان ، الواحد واقف والاخر مضطجع ، وهذا واضح لا غبار عليه . وعلى هذا الجانب ايضاً ، كنائن وربما لفة من الحبال .

على الجانب الغربي تظهر ثلاثة حيوانات من الصعب معرفتها . احدها يشبه القط ، وربما قصد به النمر . والاثنان الاخران اقل وضوحاً منه ، ولكن البعض يقولون ان الحيوان الذي في الوسط فيل ، وامامه دب ، ووراءه ثور[1] .

على الجانب الجنوبي كلب يمسك حيواناً من الوراء . رأس الحيوان غير موجود . وهذا الجانب من النصب جد محطم .

فتشنا كثيراً وبتدقيق عن حفر او كتابة ، وتفحصنا السطح كله بجهاراتنا ، فذهب ما بذلناه من جهود ادراج الرياح ، ولم نعثر على اي اثر لحفر او نقش . على الجانب الغربي تحت النقوش ، خدوش وخربشات ، ربما كانت من فعل الزائرين العرب ، ولكن

١ واجع بورتر في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٦٩ .

لا توجد احرف محفورة . وقد تفحصنا ذلك بدقة كلية ، لان المقول ان الخربشات هي نقوش[1] .

لم يصدر اي ايضـاح بعد عن هذا النصب العجيب الجدير بالاعتبار . ولست اعرف بوجود نص او ملاحظة تاريخية عنه قبل القرن الحالي ، اللهم الا ما ذكره ابو الفداء ، وهذا لا يغني فتيلاً[2]. ففي بعض الاعتبارات يمكننا القول انه يضاهي العمود المنعزل القـائم في السهل الى الشمال الغربي من بعلبك ، والذي لم يزل غامضاً[3] . كان القس المستر تومسون اول من عرّف الجمهور على هذا القاموع اذ انه في ايلول من العام ١٨٤٦ سار على هذه الطريق برجوعه من حلب الى بيروت[4] ، ومنذ ذاك الحين بدأ المرسلون وغيرهم يزورونه .

١ قابل الصفحة ٦٦٨ في كتاب المكتبة المقدسة للعام ١٨٥٤ .

٢ Tab. Syr. ed. Kohler. p. 150.

٣ راجع الصفحة ٥٣٠ من المجلد الثالث للمؤلف .

٤ راجع تقرير القس المستر تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٧، الصفحة ٤٠٥ .

وراجع ايضاً في الكتاب نفسه، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٩٥ وما بعدها .

رأى بكنغهام القاموع عن الطريق من ناحية السهل الشرقية، ويقول انه «برج مرتفع وكبير،يرى من مسافة شاسعة، ويسمى كورمي Kormee .» هذا كل ما ورد عنه . (راجع كتابه القبائل العربية ، الصفحة ٤٨٩).

في مؤلف كاساس Cassas ، صورة مطبوعة تدل على نصب ضريحي على الطريق بين حمص وبعلبك . والراجح ان القصد منها رسم القاموع كما يرى من ناحية الوادي الكبير الشرقية فحسب ، ولكن اذا صح هذا الاستنتاج تكون الصورة جد ناقصة ولا تشبه بشيء.

ويلاحظ في رسالة المستر فارن Farren ، القنصل البريطاني السابق في دمشق، بين

المنظر من القاموع

ان المنظر من القاموع منفسح وجذاب . والطرف الشمالي من لبنان يبدو جد قريب منا ، بينما يرى انتي لبنان منفرجاً الى شمالي الرأس ، ويظهر مبتعداً عن تلك النقطة وممتداً الى الشمال الشرقي في قوس دائرة كبيرة تحد سهل العاصي الفسيح على تلك الجهة[١]. في اليوم الرائق ترى بحيرة قدس وقلعة حمص . اما من الجنوب فلم نتميز سوى قمة جبل الشيخ المتلألئة .

قرية الهرمل

وتقوم قرية الهرمل على المنحدر العالي ، على بعد نصف ساعة الى الشمال الغربي وراء النهر . وهي تنقسم الى مزارع عدة ، تفصل بينها وهاد ضيقة ، وتجري فيها جداول من الماء الرائق ، وتكثر اشجار الجوز حول القرية ، ويقال ان مناخها ضار

رسائل اللورد ليندساي Lindsay (المذكرة ٥٣ ، الصفحة ٤٣٣ ، الطبعة الرابعة) انه زار القاموع قبل ان يزوره المستر تومسون ، ولكنه لا يذكر تاريخ هذه الزيارة .

١ يقول المستر بورتر ان النتوءات وصف الآكام الواقعة امام الجبل الشرقي من عين الى الراس ، والتي تنتهي بالقرب من الراس ، تجعل الجبل يظهر بمظهر المتراجع . ويظن ان السلسلة الرئيسية تحتفظ بامتدادها المستقيم شمالي الراس من اولها الى آخرها . (راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٦٦).

بالصحة [1].

١ راجع ما كتبه تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحه ٦٩٤ وما بعدها .

المواقع من قاموع الهرمل : الهرمل ، ٣١٥ درجة . ينبوع العاصي ، ٢٩٥ درجة، المسافة ميلان.رأس بعلبك،١٨٦ درجة ونصف الدرجة . جبل الشيخ، جنوباً ٣٠ درجة غرباً. ربلة ، شمالا ٤٨ درجة شرقاً . تل النبي ميندو ، شمالا ٣٧ درجة شرقاً .

المواقع كما دونها المستر تومسون في العام ١٨٤٦ : بحيرة قدس ، الجهة الغربية ٢٤ درجة . قلعة حمص ٣٩ درجة . جوسية ، الحديثة ٦٦ درجة . القاع ١١٩ درجة.

بين قاموع الهرمل وربلة

صخور بركانية . آبار . تربة صلبة . ترع وجداول .

وصف الطريق

الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين تركنا النصب واتجهنا الى ربلة على طريق قويمة عبر هذه البقعة الصحراوية القفر ، المليئة بالاكام الوطيئة ، والجروف والاودية . اما الاكمة القائم عليها القاموع فمغطاة بالصخور البركانية غير المتماسكة . ظلت هذه الصخور ترافقنا اكثر المسافة ، فتعذر على الجبل تمييز طريقها . الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين ، اعترض طريقنا من الغرب الى الشرق ، كما تبين لنا ، خطٌّ من الابار لم يمض طويل وقت على حفرها او تنظيفهـــا على الاقل . وهذه الابار تشبه تلك التي بالقرب من دمشق ، فيخرج منها الماء الى سطح الارض . ولكني لا اتمكن من تعليل كيفية وجود هذه الابار هنا ولماذا اوجدوها ، طالما ان لا امل بالاستقاء الا من النهر . اما هذه الحفر فقد كانت في عالم الوجود العام ١٨٤٨ . رأينا ايضاً ثمانية غزلان ترعى . توارت الشمس وراء لبنان ، ولكن اشعتها ظلت تتوج قمم انتي لبنان قبالتنا مدة سبع عشرة دقيقة . بدأت الاكام تغيب تدريجاً عن انظارنا ، والريف يواصل انخفاضه كلما تقدمنا في السير . وبدأت

حالة سطح الارض الصحراوية بالنقصان ، فكنا نرى بين حين وآخر الاعشاب القزمة نابتة بين قصل القندول . الساعة السابعة نزلنا منحدراً فوصلنا بدون ابطاء الى اول ترعة سحبت من العاصي الى هذه الجهة . يقال ان هذه الترعة كانت سابقاً توصل الماء حتى جوسية . نحن الان على ارض قابلة الحرث . قطعنا جدولين شبيهين بالترعة ، عبرناهما بعد مشقة وعناء لان الليل داهمنا بظلامه الحالك قبل ان نعثر على معبر سهل . وصلنا الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين الى خيمتنا فالفيناها مضروبة على ضفة الاورونتيز. كان ما عملناه طيلة النهار شاقاً فاستسلمنا بكليتنا الى الراحة غير آسفين .

فتحنا باب الخيمة في الصباح فاذا بنا على ضفة النهر ، اقرب ما نكون اليه . ومع ان الضفة لا تعلو عن الماء سوى ست اقدام او سبع ، فقد كانت الاعشاب يابسة وسطح الارض اغبر . تربة هذا الاقليم والسهل الذي مررنا فيه صلبة قاسية ، لا يكاد الماء ينفذ اليها بمجرد مروره عليها ، ولا يؤثر فيها الا اذا نشر على سطحها وبقي ملامساً لها . كان مجرى النهر هنا من الغرب الى الشرق على مسافة بعيدة كما يظهر ، ولكنه لا يلبث ان يتحول الى الشمال ، ويظل متابعاً هذا الاتجاه جرياً ملتفاً . واما ربلة فتقع على الكوع .

قامت خيمتنا بالقرب من معبر النهر . قعر المعبر صلب . وهكذا يقال عن سائر الاقليم . لا يكاد الماء يصل الى بطون الخيل في هذا الوقت . كان العابرون جيئة وذهاباً كثراً : خيل وحمير بين مسن وصغير ، واكثرها محمل . الرجال والنساء يخوضون في الماء ، والنساء يحملن رزماً على رؤوسهن . منظر ملؤه حياة ونشاطاً.

ربلة

كنيسة . غلال قليلة . استعمال المزاليج . الوقود من خثي البقر . حسيا . القاع . جوسية الحديثة والقديمة . القصير . ربلة في العهد القديم . بحيرة كسارة . ملاحظات تاريخية مختصرة . افاميا وقلعة المضيق . ربلة الحالية .

ان القرية بائسة ، بيوتها لا تزيد على الاربعين او الخمسين . ليس فيها من الاثار القديمة سوى خرائب بناء من الحجر مربع الجوانب يبدو انه قديم يسميه السكان كنيسة ، ولكننا لم نفهم عنه شيئاً . يظهر ان الاراضي المحروثة كثيرة في الجوار ، ولكن الغلال لا تقاس بما شاهدناه في الجليل ، ولا مع ما رأيناه في اليوم التالي في البقيع الواقع بالقرب من الحصن . تجرّ مياه النهر من فوق ربلة الى مسافات قصبة للري ، ولكن تأثيرها هنا غير ملموس ، كما لمسناه في باقي الاقاليم التي زرناها . يمتد من ربلة الى سائر الجهات ، خلا الى الجنوب الشرقي ، سهلٌ فسيح متسع ، تربته خصبة وغنية في اقسام مختلفة منه .

كان العمل على بيادر القرية على قدم وساق . هنا يستعملون مزاليج[١] ، مثبت في اسفلها الصوان ، كالتي رأيناها قبلاً في السامرة[٢] . يجر هذه المزاليج حول البيدر حصان ، يسوقه ولد يجلس على المزلاج او يقف عليه ... ورأينا كميات كبيرة من خثي البقر جمعت

١ جمع مزلاج ، ويقصد به النورج . — المعرب .

٢ راجع الصفحتين ٣٠٦ و٣٠٧ من المجلد الثاني للمؤلف (iii. 143.) عن البيادر والنوارج المستعملة في السامرة .

لاستعمالها وقوداً . وهم يجعلون منها كتلاً يضعونها فوق بعضها في دوائر، الواحدة فوق الاخرى، كي تجف ، وهي تشبه كثيراً الدنان الطويلة او القصاع .

المناظر من ربلة

من ربلة امكننا ان نرى آخر تخم في لبنان وانتي لبنان. ينحدر جبل لبنان الى نقطة وطيئة في الشمال الغربي . اما انتي لبنان فينحدر باتجاه بين الشرق والشمال الشرقي ، وينتهي في السهل المتسع جنوبي حمص . ذكرنا سابقاً ان الجبل الشرقي يمتد من الراس شمالاً في قوس دائرة كبيرة[١] . وهذا الامتداد يُرجع الى السهل الكبير عرضه او اكثر من عرضه بالقرب من ربلة ، وابعد منها الى الشمال . لا يقل عرض السهل على خط مستقيم عند ربلة عن الاربع ساعات . وقبالة ربلة (جنوباً ٧٨ درجة شرقاً) ممر شهير في السلسلة الوحيدة الباقية من انتي لبنان . وهذا الممر يقطع الطرف الشمالي ، تاركاً من السلسلة صفاً ومجموعة من الاكام منعزلة بكليتها عن غيرها ، طولها نحو ساعة . يمر في هذا الممر طريق من ربلة الى حسيا . والمسافة بين الزرّاع وحسيا ساعتان واربعون دقيقة[٢] .

١ قابل ذلك مع الصفحة ٥٤٢ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ قابل ذلك مع بورتر J. L. Porter في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤، الصفحة ٦٧٣ وما بعدها .

من هنا تمكن رؤية الهرمل ايضاً ، وهي تقوم عالية بالقرب من سفح لبنان ، تحيط بها الاشجار الكثيرة . اما قرية القاع وجناتها فهي في السهل بين الراس وربلة . يدل على جوسية الحديثة[1] جامعها ومأذنتها العالية ، وتقع في مطلق السهل بين الجبل وربلة . اما جوسية القديمة فتقع بالقرب من جوسية الحديثة ، بينها وبين الجبل[2] . يقع القصير شرقي طريق حمص على بعد نصف ساعة من النهر ، وعلى ساعة او اكثر من ربلة[3] .

١ هكذا كتبها ابو الفداء. راجع: Tab. Syr. ed. Kohler.
اما السكان فيلفظونها جوسي Jûsy .

٢ في تشرين الاول من العام ١٨٥٣ ، زار المستر بورتر خرائب جوسية القديمة ، ويقول ان محيطها ميلان ونصف الميل . اما الطلل الرئيسي فهو قلعة مربعة الشكل ، طول كل من جوانبها مئة واثنان وثلاثون يرداً ، تقوم الابراج على زواياها . ويرى من كل جهة فيها اكوام كبيرة من الردم . وليس فيها من آثار لفن البناء العربي . والارجح ان المكان هجر عهد الفتح المحمدي او قبله .

اما جوسية الحديثة، وهي الآن مهجورة ، فتبعد نصف ساعة، وفيها خرائب عربية كبيرة. وقد تكون المكان الذي ذكره ابو الفداء.

راجع بورتر J. L. Porter في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٧٠ – ٦٧٢ . Abulf. Tab. Syr. ed. Kohler. p. 150.

٣ المواقع بين ربلة : الهرمل جنوباً ٦٥ درجة غرباً . قاموع الهرمل ، جنوباً ٤٨ درجة غرباً . الراس، جنوباً ٣٥ درجة غرباً . القاع ، جنوباً ٦٠ درجة غرباً . جوسية الحديثة ، جنوباً ٣٠ درجة شرقاً . زرّاع شرقاً ، المسافة ميل واحد . القصير ، بين الشمال والشمال الشرقي . تل النبي مندو ، شمالاً ٧ درجات غرباً . الطرف الشمالي من لبنان شمالا بغرب . الطرف الشمالي من انتي لبنان بين الشرق والشمال الشرقي .

لمحة تاريخية

لا اعتقد ان احداً يرتاب في ان Ribleh هذه هي Riblah المذكورة في العهد القديم . فقد ذكرت اولاً انها على القسم الشمالي من الحد الشرقي لارض الميعاد . والحد هذا يمر من شفام بطريق ربلة وينحدر وسط البقاع ووادي التيم الى بحيرة كناره Chinnereth[1] . لم يرد ذكر لربلة بعد ذلك الا في عهد الملك يوشيا ، عندما زحف فرعون نخو ملك مصر في حملة عسكرية الى الفرات لمحاربة ملك اشور . ذبح يوشيا في مجدو ، وخيم بعد ذلك في ربلة في ارض حماه[2]. وفي ربلة اخذ ملك مصر يهواحاز ابن يوشيا اسيراً وملك اخاه الياقيم عوضاً عنه . وبعد نحو خمس وثلاثين سنة ، خيم نبوخذناصر ملك بابل في ربلة ، بينما حاصر قائد جيوشه اورشليم واحتلها ، واخذ صدقيا اسيراً ، وجاء به الى مولاه الى ربلة . هنا ذبحوا اولاد صدقيا امام عينيه ، وقلعوا عيني صدقيا ، وقيدوه باصفاد من نحاس وجاؤوا به الى بابل[3] . وهنا ايضاً ذبح اشراف اورشليم[4] .

١ راجع سفر العدد ، الاصحاح الرابع والثلاثين ، العدد الحادي عشر .

٢ راجع سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الثالث والعشرين ، العدد الثالث والثلاثين. قابله مع الاعداد ٢٩ — ٣٥ .

٣ راجع سفر الملوك الثاني،الاصحاح الخامس والعشرين،العددين السادس والسابع. ارميا ، الاصحاح التاسع والثلاثين ، العددين الخامس والسادس ، والاصحاح الثاني والخمسين، العددين التاسع والعاشر .

٤ راجع سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الخامس والعشرين ، العدد الثامن عشر الى الواحد والعشرين . ارميا، الاصحاح الثاني والخمسين ، العدد الرابع والعشرين الى السابع والعشرين .

في احوال كهذه، يصعب جداً اختيار ميدان اكثر موافقة من الميدان المذكور، تعسكر فيه جيوش مصر وبابــل، على ضفاف نهر جبلي. وفي وسط هذا السهل الفسيح الخصب، تكون المؤن الكثيرة والعلف في متناول الجيوش. ومن هذه النقطة، كانت الطرق مفتوحة امام الملك المصري عبر الصحراء، إما بطريق حلب والفرات الى نينوى، او بطريق تدمر الى بابل. ومن ربلة ايضا، تتمكن جيوش الغازي البـابلي من الزحف السريع حول طرف لبنان، وعلى طول الشاطيء الى فلسطين ومصر، او تتحول جنوباً مارة وسط البقاع، فتنتشر في البلاد من شرقي وادي نهر الاردن او غربيه.

تختفي ربلة من التاريخ ولا يؤتى على ذكرها الا في القرن الحالي. ولكن سهل العاصي العظيم ظل مستودع مؤونة وميدان حرب للجيوش المتحاربة طيلة حكم الملوك السوريين المكدونيين الطويل، والرومان، والمحاربين العرب في العصور الوسطى. اما المدن الكبيرة في هذا السهل فلم يبق منها سوى اماسا (حمص) وحماث Hamath (حماه). اما افاميا فقد غرقت في عالم النسيان تحت اسمها الحالي: قلعة المضيق.

اغفلت جميع السجلات الاكليريكية القديمة ذكر ربلة، مما يدل على قلة اهميتها في العصور المسيحية المبكرة[1]. ولم يذكر اسمها في

[1] يذكر يوسيبيوس وجـيروم ربلة فحسب، ويعتبرها جيروم بالقرب من انطاكية. راجع المصادر الآتية:
Onomast. arts. Reblah, Reblathah.
Comp. Hieron. Comm. in Ess. xiii. 1; et in Ez. xivii 16 sq.

سجلات الاجيال الطويلة من ذلك الحين الى العصر الحالي . في العام ١٨١٦ ، مرّ بكنغهام من بعلبك الى حمص فوجد ربلة « كومة صغيرة من البيوت » على كوع العاصي [١] . ويظهر انه لم يقدر قدميتها ، ولكن جاسانيوس صرح بانها هي ربلة القديمة عينها [٢] . وقد زارها المستر تومسون العام ١٨٤٦ ، والكثيرون مروا عليها منذ ذاك الحين [٣] .

١ راجع القبائل العربية، لبكنغهام، الصفحة ٤٩١ . وهو يكتبها روبلا «Rubla»

٢ In his Heb. Lex. Also in his Thesaur. p. 1258.

٣ راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٩٣ .

وراجع بورتر في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٧٣ .

عبر الدكتور دي فورست نهر العاصي بطريقه من زيته الى حمص ، في مجاز يبعد اربعين دقيقة جنوبي تل النبي ميدو ، فسجل ميزان ضغط الهواء عند مجاز النهر الفا وخمسماية وثلاثين قدما ارتفاعا . (راجع رسالته الى الارسالية) .

نظرة الى الوراء

اسم البقاع . لبنان وانتي لبنان . ملاحظات تاريخية وجغرافية . سوريا المجوفة . مار سياس . لاوديسيا . كاليس . هليوبوليس . ارتفاع الجبال . نهر البردوني . بحيرة الرام . بحيرة اليمونة . اطلال هيكل . صخور بركانية . ثقوب بلاّعة . تراكيب رملية . متحجرات في الصخور . اتجاه العاصي ومجراه . جبال النصيرية .

بما ان ربلة الواقعة على نهر العاصي هي اقصى ما وصلتُ اليه شمالاً ، فيجدر بي ان اقف قليلاً والقي نظرة الى الوراء على الوادي العظيم الذي مررنا وسطه ، وعلى السلاسل الجبارة التي تحجبه . ويمكننا ايضاً ان ننتخب او (نعفّر) بعض الملاحظات التاريخية عن الاقليم الابعد الى الشمال . وهذا لا يخلو من فائدة .

البقاع اسم عربي ، وهو الاسم العبري نفسه ، اي بقعة ، ويدل على شق او وادٍ او سهل بين الجبال[١] . وقد اوضحنا قبلاً خاصية هذا الوادي العظيم المرتفع الذي نحن الان بصدده[٢] . فقد اطلق عليه الاقدمون اسماً ملائماً له وهو كوليسيريا Coelesyria ، اي سوريا المجوفة . وهذا الاسم اطلق فقط على الوادي بين لبنان وانتي

١ See Heb. Lex.
Comp. the marginal reading of the Engl. Version, Am. 1. 5.

٢ راجع الصفحتين ٤٩٩ و ٥٢٨ من المجلد الثالث للمؤلف .

لبنان[١]، ولكنهم كانوا يتوسعون في شموله احيانا دون روية، فيجعلونه يشمل وادي نهر الاردن في الجنوب، وسهل العاصي ووادبه في الشمال[٢]. ويقول استرابو ان الجزء الاكبر من الوادي الكبير اسمه ايضاً مارسياس Marsyas وهو يبتدىء من لاوديسيا Laodécea اللبنانية في الشمال ويشمل كلسيس Chalcis في الجنوب[٣]. اما المدينتان الرئيسيتان فيه، فهما هيليوبوليس وكلسيس، وقد اثبتنا وصفها مفصلاً من قبل.

واتينا ايضاً على وصف عام لسلاسل لبنان وانتي لبنان التي تحيط بهذا الوادي العظيم، ولكن توجد بعض نقاط للمقابلة بينهما او بالحري للتباين، وهي نقاط لا تخلو الاشارة اليها من الفائدة.

للبنان سلسلة واحدة ظهرية طويلة غير منقطعة تمتد من جبل الريحان في الجنوب، ثم تتدرج في الارتفاع حتى قممه فوق الارز. والمنحدر الغربي متسع ومتدرج نسبياً، تقسمه الاحواض المتسعة وهوي الانهر الكثيرة التي تجري الى البحر. اما المنحدر الشرقي فاكثر انحداراً لاسيا جنوبي زحله. اما الى الشمال منها فيوجد مدرج اكثر انخفاضاً، وسلاسل صغيرة غير منتظمة تمتد منحدرة

١ Strabo, 16. 2. 16. p. 754.
Strabo, 16. 2. 21. p. 766.
Comp. Plin. H. N. 5. 17.

٢ So towards the south, Strabo, 16. 2. 21. p. 756; towards the north, Plin. H. N. 5. 19.

٣ Strabo, 16. 2. 18. p. 755.
So too Polyb. 5. 45. 8. 9.

الى الشمال الشرقي[١] . اما قمم لبنان الرئيسية فهي : الكنيسة (التي تمر جنوبيها تماماً طريق بيروت دمشق) ، وصنين ، والقمم التي فوق الارز . ارتفاع قمة الكنيسة كما دوّنها بيترمان Petermann ، سبعة الاف ومئتان وخمس واربعون قدماً[٢] . وارتفاع جبل صنين كما دوّنه مارشال مارمونت Marshal Marmont نحو ثمانية الاف وثلاثماية قدم انكليزي[٣] . وقد سجل الدكتور دي فورست قمة فم الميزاب فوق الارز ، في العام ١٨٥٣ ، بتسعة الاف ومئة وخمس وثلاثين قدماً . وقدر ارتفاع ظهر القضيب المجاور لفم الميزاب بتسعة الاف وثلاثماية وعشر اقدام ، اي بزيادة مئة وخمس وسبعين قدماً عن فم الميزاب . وهذه اعلى قمة في لبنان[٤] . وهذه القمم ترتفع نحو ستة الاف قدم فوق البقاع ومقلب الماء فيه[٥] ، ولكن ارتفاع السلسلة العام فوق الوادي اقل من ذلك بكثير .

١ راجع الصفحتين ٥٣٠ و٥٣١ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ راجع خريطة بيترمان عن ارتفاع جبل الكنيسة في المصدر الآتي :
Petermann, Physical Map. 1851.

٣ ان الثمانية الآف والثلاثماية قدم انكليزية تعادل الفين وخمساية وخمسة وعشرين متراً فرنسياً ، او سبعة الآف وسبعماية واثنتين وسبعين قدماً باريسية . (راجع رحلة الدوق دي راغيز) :
Voyage du Duc de Ragus, ll, p. 225.
Ritter, XVll. p. 192.
The observation was made with boiling water.

٤ يقول ويلدنبرغ ان ارتفاع فم الميزاب تسعة الآف وستماية واحدى وعشرون قدماً انكليزية . ويعتبر الدكتور دي فورست ان هذا جد عال .
اما سائر القياسات المذكورة فانا مدين بها لمخطوطات الدكتور دي فورست التي اتلقاها منه .

٥ راجع الصفحات ٤٩٩ و٥٠٦ و٥٣١ من المجلد الثالث للمؤلف .

اما اعلى قمم انتي لبنان ، فهي في الجنوب في جبل الشيخ ، ويقدر علوه بتسعة الاف قدم[1] . ومع ان جبل الشيخ يعتبر مفصولاً تقريباً عن انتي لبنان ، إلا انه يخص السلسلة نفسها . شمالي جبل الشيخ ، يشتمل انتي لبنان على سلاسل متوازية ، وطيئة في اولها ، ولكنها ترتفع الى قمم عالية قبالة الزبداني وابعد منها الى الشمال[2] . وهذه السلاسل الجبلية تنفرج اكثر فاكثر باتجاه الشمال الشرقي ، فتنتهي اخيراً في الصحراء بين حمص وتدمر حيث تذوب فيها ، تاركة السلسلة الرئيسية الواقعة الى شمالي اللبوة تمتد وحدها حتى تنتهي في السهل الكبير الواقع جنوبي حمص . رأينا سابقاً ان المنحدر الشرقي في انتي لبنان يتكون من هذه السلاسل الجبلية ، وبينها سهول او جلالي . والانهر القليلة التي تنبع في اعالي الجبل تشق مجاريها وسط هذه السلاسل الجبلية في مضايق سحيقة . اما المنحدر الغربي فاكثر انحداراً ، وله مضايقه التي تنحدر فيها الطرق . واذا استثنينا جبل الشيخ ، يكون انتي لبنان في كل مكان منه اقل ارتفاعاً من لبنان . ويظهر انه يرتفع اقل منه فوق الوادي الكبير .

جئنا سابقاً على وصف الينابيع والانهر التي تنبجس في البقاع على سفح لبنان وانتي لبنان ، خلا نهر البردوني الذي يتفجر من وهدته الجبلية بالقرب من زحله وينضم الى الليطاني . ونهر البردوني هذا يكوّن الخط الفاصل بين ولايتي البقاع في الجنوب وبعلبك

١ راجع الصفحة ٤٣٢ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ تقع اعلى نقطة من انتي لبنان نفسه فوق بلودان، وترتفع الى علو ستة الاف وثمانماية قدم .

راجع الصفحة ٤٨٦ من المجلد الثالث للمؤلف .

في الشمال .

في انتي لبنان ، العديدُ من السهول او احواض الارض وبعضها خصب ، وعدة بحيرات صغيرة او برك من الماء ، منها بحيرة الرام عند كفرقوق ، بالقرب من دير العشاير . وخلا هذه ، توجد كما يقال ، ثقوب بلاّعة يختفي فيها الماء حال نزوله فيها ، ويغور في الجبل فيغذي الخزانات الهائلة الكائنة تحت الارض ، وهي بدورها تغذي الينابيع الغزيرة . اما في لبنان فالامر على العكس من ذلك ، اذ لا يوجد فيه سوى بحيرة واحدة هي بركة ليمون Limûn او يمونة بالقرب من قرية يمونة ، على المنحدر الشرقي . تقع هذه البركة في اسفل بعض اعلى المرتفعات غربي دير الاحمر ، على بعد ساعة ونصف الساعة من قرية عيناتا . وهذه البركة الجميلة يبلغ طولها في حزيران ميلاً كما يقول الدكتور دي فورست ، ولكنه يتضاعف في الربيع . اما في الخريف فينضب ماؤها للشح الذي يطرأ على الينبوع الرئيسي الذي يتغذى من الثلوج التي تتراكم في المضايق فوقها . تجاهه الينبوع ، هنا ، اطلال هيكل طوله ست وخمسون قدماً وعرضه ست وثلاثون ، وهو يقوم على دكة مرتفعة طولها مئتان وخمس وستون قدماً وعرضها مئتان وخمس اقدام [1] .

اما تراكيب الاحجار الرملية واحراج الصنوبر التي تنمو فيها ،

[1] راجع ما كتبه الدكتور دي فورست في الجريدة اليومية للجمعية الاميركية الشرقية ، المجلد الثالث ، الصفحة ٣٥٥ .

قابل مع زيارة هوغ لدمشق الخ .

Hogg's Visit to Damascus etc. I. p. 241. sq.
Ritter, XVII. pp. 301-306.

فهي كثيرة في لبنان ويندر وجودها في انتي لبنان . وكذلك الحصب في لبنان عموماً اكثر منه في انتي لبنان . ويقول المستر تومسون ان صخور انتي لبنان الكلسية لا تحوي سوى القليل القليل من المتحجرات بالنسبة الى صخور لبنان ، وهي غالباً اقرب الى الرخام نصف الشفاف . حقاً ان الادلة على الفاعلية البركانية عموماً في انتي لبنان كثيرة تستلفت الانظار ، ليس في طبيعة الصخر وخلوه من الاصداف فحسب ، بل في تكسر الطبقات وتقلقلها الغريب ، والشقوق والفلوع ، وحقول الحمم المسامية الشاسعة ، والصخور البركانية الهشة ، والحجر الاخضر ، والحجر البركاني الاسود العادم الشكل والهيئة . فالقسم الشمالي من سهل الحولة ، وسائر امتداد وادي التيم من شمالي راشيا القصي ، والسهل المتسع شرقي دمشق والجنوب الشرقي منها ، والجانب الجنوبي الشرقي من جبل الشيخ وطرفه الجنوبي ، كلها بركانية تقريباً . وقد رأينا التركيب البركاني عينه عند نصب الهرمل بالقرب من لبنان ، وسنلتقي به ايضاً حول الطرف الشمالي من « هذا الجبل الكبير » .

اذا حولنا انظارنا شمالاً على طول سهل العاصي وواديه ، نرى نهر العاصي يتابع مجراه الملتوي باتجاه الشمال حتى خط عرض انطاكية ، حيث يتحول غرباً ، ويمر وسط مضيق في الجبل الى البحر .

يحد نهر العاصي من الشرق ، السهلُ المتسع الذي يمتد نحو الشرق والجنوب الشرقي والشمال الشرقي الى مسافة لا تحد تقريباً . وهذا الحد يبدأ من نهاية انتي لبنان على نحو ثلاث ساعات ونصف الساعة جنوبي حمص ، حتى تعود الاكام الى ارتفاعها ، على مسافة

اربع ساعات شمالي حمص . اما في الغرب فتحده جبال النصيرية التي تبدأ منخفضة . يشق النهر مجراه وسط حرف صخري بالقرب من سيجار ، على مسافة اربع ساعات شمالي حماه ، ويدخل واديه الخاص ، فتظل جبال النصيرية غربيه ، وصفٌ من الآكام المنخفضة الى الشرق . امـا عرض هذا الوادي الذي يدخله النهر فهو ساعتان تقريباً ، بعض اجزائه سبخة ، وفيه عدة بحيرات صغيرة [1] .

بحيرة قدس

بحيرة صناعية . طولها . عرضها . بعدها عن حمص . رأي ابي الفداء . السد الكبير . اثار اقنية .

يتدفق نهر العاصي في بحيرة قدس الصغيرة التي تسمى احياناً بحيرة حمص ، الواقعة على نحو ثلاث ساعات شمالي ربلة . يبلغ طول هذه البحيرة نحو ساعتين وعرضها نحو ساعة ، ويبعد طرفها الشمالي نحو ساعتين عن حمص . والبحيرة صناعية باكثرها ان لم تكن كلها ، فقد تكونت من سد قديم او عرمة عبر النهر . اما طول السد او العرمة فهو من اربعماية الى خمسماية يرد ، ولا يتجاوز ارتفاعه في اي مكان منه اثنتي عشرة او اربع عشرة قدماً ، وتظهر

١ راجع ما يقوله بركهاردت في رحلته في سوريا ، الصفحة ١٣٥ وما بعدها : نهر العاصي وواديه .

وراجع ايضاً و. م. تومسون في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٨٦ وما بعدها .

عليه اثار الترميم او اعادة البناء . على طرف السد الغربي برج صغير ، وفي جزء البحيرة الجنوبي جزيرة صغيرة عليها تل [١] . يخرج النهر من البحيرة ويجري وسط منخفض من الارض عريض وقليل الغور ، وفي اقترابه من حماه ينخفض واديه الى مئتين او ثلاثمائة قدم تحت الريف الذي يجاوره [٢] .

يسمي ابو الفداء هذه البحيرة بحيرة قدس ويعتبرها صناعية بقوله « لو تهدم السد لتدفق الماء واختفت البحيرة واصبحت نهراً [٣] » . عزي بناء السد في زمن ابي الفداء الى الاسكندر الكبير ، ولم يرد ذكر للبحيرة في عهد ابكر من ذاك [٤] ، ولا يعرف لماذا سميت قدس . ليس في الجوار قرية او مدينة ، قديمة كانت ام حديثة ، اسمها قدس . من المرجح ان السد من عمل الاقدمين ، كان الغرض منه رفع مستوى مياه النهر الى علو يكفي لجريانه في اقنية لري السهول الواسعة المجاورة للنهر . ولا تزال بعض هذه الاقنية في

١ راجع ما يقوله ج. ل. بورتر في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحات ٦٧٥ و٦٧٦ و ٦٧٨ ، عن بحيرة قدس والجزيرة الصغيرة والتل الذي عليها .

٢ راجع ما يقوله و. م. تومسون في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٨٤، عن خروج نهر العاصي من بحيرة قدس وانخفاض واديه عند اقترابه من حماه .

٣ راجع ما يقوله ابو الفداء عن السد في بحيرة قدس في المصدر الآتي :
Tab. Syr, ed. Kohler, p. 157.

قابل ذلك مع المصادر الآتية :

Annal. Mosl. IV. p. 218.
Wilken Gesch. der Kr. VI. p. 55.

٤ يتحدث بوليبيوس عن بحيرة ومستنقعات بالقرب من لاوديسيا ، ولكنه لا يسميها . راجع المصدر الآتي :
Polyb. 5. 45. 10.

عالم الوجود تبترد بالماء وتنقله لري الحقول والجنات المجاورة ، ولكن العدد الاكبر منها اطلال دائرة [1] .

١ راجع ما يقوله ج. ل. بورتر في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٧٦،عن الترع التي كانت تروي الحقول والبساتين ، وقد اصبح اكثرها خراباً.

المدن القديمة بين انطاكية وربلة

ليس في هذا المؤلف متسع للخوض في وصف المدن القديمة القائمة على هذا الجانب من العاصي . فقد رأيت حمص من بعيد ، وكان بودي زيارة حماه وافاميا Apamea ، ولكن الوقت ضن علي بذلك . لم تذكر التوراة غير حماه من المدن الواقعة بين انطاكية وربلة .

يخص دليل انطونيني بالذكر المدن الاتية الواقعة بين انطاكية وحمص[1] ، ويذكر المسافات التي تفصلها :

Apamea		
Larissa	m. p.	XVI
Epiphania (Hamath)	«	XVI
Arethusa	«	XVI
Emesa	«	XVI

ومما تجدر ملاحظته ان هذه المسافات المذكورة اعلاه تتناسب

١ راجع دليل انطونيني ، الصفحة ١٨٧ ، عن المسافات بين انطاكية وحمص. وراجع ايضاً الصفحة ١٩٤، وقابل بين الصفحتين .

مع معدل السفر على الخيل في الوقت الحاضر، على اعتبار اربعة اميال رومانية في الساعة، كما ذكرنا اعلاه، بين بعلبك وحمص[١]. فالمسافة بين حماه وحمص هي ثماني ساعات، وكذلك المسافة بين قلعة المضيق وحماه[٢]. اما سائر المدن المعينة في الدليل فهي معروفة الان.

افاميا

فاميا او افاميا . قلعة المضيق . اطلال فخمة .

تقع افاميا السورية على الاكام شرقي وادي العاصي الاسفل. كانت افاميا مدينة هامة ومقر اسقف مسيحي، وقد ظلت معقلاً حصيناً طيلة احقاب الحروب الصليبية[٣]. يتحدث ابو الفداء عن

١ راجع الصفحة ٥٣٠ من المجلد الثالث للمؤلف عن معدل السفر على الخيل في الوقت الحاضر.

٢ استغرق سفر اربي ومانغلز من حماه الى حمص ثماني ساعات. (راجع الصفحة ٢٥٤ من رحلتها).

سافر بركهاردت من قلعة المضيق الى حماه، فبقي عشر ساعات على الطريق، ولكنه تباطأ في سيره (راجع الصفحة ١٤٢ من رحلته).

٣ راجع ما تتحدث به المصادر الآتية عن افاميا:

Cellarius, Notit. Orbis ll. p. 354.
Mannert Geogr. der Gr. and Rom. VI. i. p. 360.
Le Quien Oriens Christ. ll. 910.
Wilken Gesch. d. Kreuzz. ll. pp. 272, 274. lll. ii. pp. 3. 5.

افاميا فيسميها فاميه او افاميه [1]، ولكن اسمها هذا تنوسي في تلك الاقاليم منذ عهد بعيد، وحل محله اسم حصن حديث قائم بالقرب من موقع افاميا، هو قلعة المضيق. سمع نيبوهر بهذا التغيير وهو في حلب. وفي العام ١٨١٢ قدر بركهاردت ان الحصن هو موقع افاميا، ولكنه لم يشاهد خرائب [2]. كان المستر تومسون اول من اكتشف الخرائب الشاسعة في العام ١٨٤٦ ووصفها مع عرصاتها العديدة واروقتها الفخمة. تقوم تلك الاطلال شرقي الحصن، والى الشمال الشرقي منه تماماً، على نحو ثلاثمائة قدم فوق وادي العاصي[3].

لريسا

مقر اسقف. نقودها. موقعها. حصن سيجار او شيزار.
آثار قديمة. تيجان واعمدة.

تقع لريسا السورية بين افاميا و ابيفاميا. لم تكن لريسا

١ يتحدث ابو الفداء عن افاميا باسم فاميا او افاميا؛ راجع المصدر الاتي:
Tab. Syr. pp. 26, 114.

٢ راجع ما يقوله نيبوهر عن تغيير الاسم من افاميا الى قلعة المضيق، وعن زيارة بركهاردت، في المصدرين التاليين:
Niebuhr Reisebeschr. III. p. 97.
Burckhardt Trav. in Syria, p. 138.

٣ راجع وصف المستر تومسون للخرائب الشاسعة والاروقة الفخمة ذات الاعمدة، وهي كل ما تبقى من افاميا. راجع ذلك في المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٨، الصفحة ٦٨٥ وما بعدها. قابل ذلك مع العام ١٨٤٧، الصفحتين ٤٠٤ و ٤٠٧.

مشهورة كثيراً . كانت مقر اسقف ، ولا تزال بعض نقودها موجودة الى الان [١] . يطابق مركز لريسا كل المطابقة موقع حصن سيجار او بالحري شيزار كما يكتبها ابو الفداء [٢] . يحتل هذا الحصن مكاناً مثلثاً عالياً حيث يخترق نهر العـاصي الحاجز الصخري من مرتفعات حماه ، ويدخل سهل افاميا الرطب . تقع لريسا على مسـافة اربع ساعات من افاميا وعلى المسافة نفسها من حماه . اما الدليل على ان هذا المكان هو موقع مدينة قديمة فهو قِطعُ الاعمدة ، والتيجان الكورنثية والدورية ، وناووس وغير ذلك من الخرائب والاثار [٣] . كان البرت شلتنز Albert Schultens السبّاق الى القول ان هذا

١ راجع ما تحدثت به المصادر الاتية عن لاريسا :

Cellarius, ib. II. p. 354.
Mannert, ib. VI. i. p. 360.
Le Quien Oriens Christ. II. p. 917.
Eckhel Doctr. Nummor. III. p. 321.
Mionnet Med. V. p. 264.

٢ راجع في المصدر التالي ما يقوله ابو الفداء عن موقع لاريسـا الذي يوافق موقع حصن سيجار او شيزار كما يكتبه ابوالفداء :

Tab. Syr. Kohler. pp. 26. 110.

٣ ان قطع الاعمدة المحطمة والتيجان الكورنثية والدورية ، والناووس وغـير ذلك من الاطلال والخرائب ، تدل على ان البقعة موقع مدينة قديمة . راجع المصدرين التاليين:

رحلة بركهاردت في سوريا ، الصفحة ١٤٣ وما بعدها .

ما كتبه و. م. تومسون في المكتبة المقدسة،العام ١٨٤٨،الصفحة ٦٨٨ وما بعدها.

الموقع هو موقع لريسا [١] .

حماه

ذكرها في التوراة . مقر ملك سوري . مركزها .
الدواليب الايرانية (النواعير). حصنها القديم . مسقط
راس ابي الفداء.

هي مدينة عريقة في القدم ، ورد ذكرها في التوراة باسم « حماه العظيمة » . كانت حماه مقر ملك سوري ، وكان حليفاً لداود ، وبعد ذلك كان على راس مملكة او مقاطعة تشمل ربلة [٢] . كان اليونانيون

١ راجع ما ورد في المصادر الاتية عن لاريسا :
Albert Schultens', index Geogr. ad Vit. Saladin, art. Sjaizarum.
Pococke, ll. i. p. 143.
Gesenius, Notes to Burckhardt's Trav. in Syr. l. p. 514. Germ.

٢ راجع في المصادر الاتية ما ذكرته عن حماه وعظمتها وامتداد سلطان ملوكها:
سفر عاموس ، الاصحاح السادس ، العدد الثاني .
سفر صموئيل الثاني ، الاصحاح الثامن ، العدد التاسع وما بعده .
سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الثالث والعشرين ، العدد الثالث والثلاثين .
Reland Palaest. pp. 119. 120.
Mannert, l. c. p. 359.

قابل مع :
Raumer Palaest. p. 113, ed. 3.
حيث يخطيء في قراءة Hamath فيقرأها Hammath «حمة» كما ورد في سفر يشوع ، الاصحاح التاسع عشر ، العدد الخامس والثلاثين .

والروماں يسمون حماه ابيفانيا [١] . ولكن اسمها القديم هذا ظل متعارفاً بين عامة والشعب . اما الان فتعرف بحماه فحسب . تقوم حماه على جانبي العاصي ، في الوادي ، وعلى المرتفعات . لا يقدر عدد سكان حماه باقل من ثلاثين الف نفس .

اما احدى الغرائب في حماه فهي الدواليب الايرانية الضخمة ، التي يسمونها ناعورة ، لرفع الماء الى المدينة العليا . يبلغ قطر بعض هذه النواعير سبعين او ثمانين قدماً ، وهي ترفع الماء الى هذا الارتفاع تقريباً ، تحركها وتديرها قوة المجرى . اما موقع الحصن السابق فهو اكيمة او تل عال كمواقع حصون حلب وحمص . ليس في المدينة آثار قديمة ، وان وجدت فقليلة [٢] . وحماه هذه مسقط رأس ابي الفداء ، الجغرافي والمؤرخ العربي ، وهو من سلالة صلاح الدين ، وزعيم

١ راجع المصدرين الاتيين عن النقود التي كانت متداولة في ايفانيا :

Eckhel Doctr, Nummor. lll. p. 312.
Mionnet Med. V. p. 231.

٢ راجع المصادر الاتية عن الاثار القديمة في حماه :

Pococke, ll. i. p. 143.
Burckhardt. Trav. p. 146.
W. M. Thomson in Biblioth. Sac. 1848, pp. 680-682.
Miss. Hearld, 1841, p. 362 sq,
Le Quien Oriens Christ. ll. 915.
Abulfeda, Tab. Syr. ed. Kohler, pp. 108, 149, 191.

ومن المؤلفين من لا يميز بين حماه وحمة. راجع: Adrichomius, p. 107.

والبعض يعتبرون ان حماة الحالية هي افاميا ، منهم :

P. della Valle, ll. p. 134.
Le Quien Oriens Christ. ll. p. 910.
Busching, in part. XI. i. p. 333.

العائلة المالكة الحموية [1].

اريثوذا ARETHUSA

مقر اسقف . الرستن . اجزاء من الاسوار القديمة .
رسوم الشوارع القديمة .

كانت اريثوذا هذه مقر اسقف ، وقد ذكرها استرابو وغيره [2]. اما موقعها بين ابيفانيا واماسا فيطابق موقع قرية الرستن الحديثة القائمة على ضفة العاصي الشرقية ، حيث الطريق بين حماه وحمص تعبر جسراً قائماً على ثلاث عشرة قنطرة . في هذا المكان ينعطف النهر بجانب هوة . اما موقع القرية فهو على اكمة فوقه . لم يبق من المدينة القديمة سوى اجزاء من الاسوار والممرات ، ورسوم الشوارع ، وبعض قواعد الاعمدة وقليل من السكك [3]. ويقول

١ راجع ما يقوله المصدر الاتي عن ابي الفداء، وعن تحدره من صلاح الدين ، وزعامته لبيت المالك في حماه :
De Guignes, Hist. de Huns, Introd. pp. 503. 504. Germ.

٢ راجع ما تذكره المصادر الاتية عن اريثوذا : Cellarius, ib. p. 357.
Mannert. l. c. p. 358.
Le Quien Oriens Christ. II. 915.

٣ راجع ما تذكره المصادر التالية عما بقي من المدينة القديمة اريثوذا :
اربي ومانغلز ، الصفحة ٢٥٤ .
و. م. تومسون في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٤٨ .
وراجع ايضاً ما جاء عن نقودها في المصدرين التاليين:
Eckhel Doctr. Nummor. III. p. 309.
Mionnet Méd. V. p. 225.

ابو الفداء ان خرائبها كانت متسعة في عهده [1] . وقد عرف بها بو كوك موقع اريثوذا [2] .

اميسا

مستعمرة رومانية . هيكلها الفخم . عبادة الشمس . مقر اسقف مسيحي . ملاحظة تاريخية . حمص الحالية . سكانها. تزويدها بالماء . شوارعها. اسوارها . ارتفاعها عن سطح البحر .

اميسا هي حمص الحالية . والظاهر انها ليست جد عريقة في القدم . لم يرد ذكر حمص في التوراة . وابكر اشارة اليها هي ما كتبه استرابو وبلني عن الحمصيين كشعب او قبيلة [3] . ويقول بطليموس ان حمص تابعة لمقاطعة افاميا . ويرد ذكرها كثيراً في مؤلفات المؤرخين والكتاب في القرنين الثالث والرابع [4] . يفهم من

١ يقول ابو الفداء ان خرائب اريثوذا كانت جد متسعة في عهده . راجع المصدر التالي :
Tab. Syr. ib. p. 22.
قابله مع المصدر ادناه :
Not. 96. in Add. et Corr. prefixed.

٢ عرف بو كوك ان هذه الخرائب هي اطلال اريثوذا . راجع الصفحة ١٤٢ من المجلد الثاني للمؤلف .

٣ لم يرد ذكر حمص في التوراة ، وابكر ما وصل الينا عنها هو ما ذكره استرابو وبلني في المصادر الاتية:
Strabo, 16. 2. 10. p. 753.
Pliny «Emesenos», 5. 19. or 23.

٤ يقول بطليموس ان حمص في ايالة افاميا ، ولا يفوت ذكر حمص مؤرخي

نقود كراكلا وهيليوغابالوس Heliogabalus انها منحت حقوق مستعمرة رومانية في عهدهما [١] . وكانت سابقاً مشهورة بهيكلها الفخم وعبادة الشمس . اعتلت جوليا دومنا ابنة رئيس الكهنة العرش الامبراطوري ، ونعم هيليوغابالوس الكاهن الشاب بصيرورته امبراطوراً بلقب سكيردوس دي سوليس Sacerdos Dei Solis [٢] . كانت حمص في عهد باكر مقر اسقف مسيحي . واستشهد اسقفها سيلفانوس Silvanus في عهد ديوكليسيانوس Diocletian في اواخر القرن الثالث [٣] . وفي عهد الامبراطور

القرنين الثالث والرابع . راجع المصادر الاتية :

Ptol. Geogr. 5. 14.
Herodian. 5. 3.
Ammian. Marcell. 14. 26.
Ib. 26. 18.

١ كانت حمص في عهد كاراكلا وهيليوغابالوس مستعمرة رومانية ، كما يظهر على النقود المتداولة فيها في عهديها . راجع ما يأتي :

Eckhel Doctr. Numm. III. p. 311.
Mionnet Med. V. p. 227.

٢ اشتهرت حمص بهيكلها الفخم الذي شيد لعبادة الشمس . راجع الصفحة ٥٢١ من المجلد الثالث للمؤلف .

٣ كانت حمص مقر اسقف مسيحي ؛ وكان نصيب الاسقف سيلفانوس الاستشهاد في عهد الامبراطور ديوكليسيانوس . راجع المصدرين التالين :

Euseb. H. E. 8. 13.
Ib, 9. 6.

وورد ذكر العديد من اساقفة حمص في المصدر التالي :

Le Quien Oriens Christ. II. 837 sq.

قسطنطين شيدت كنيسة فخمة في حمص [١] .

في العام ٦٣٦ م. سقطت حمص مع غيرها من المدن السورية تحت السيطرة الاسلامية [٢] . وفي القرون التي تلت سقطت تحت سلطة السلالات المتعــاقبة ، وهي : الاموية ، والطولونية ، والسلجوقية ، وغيرها [٣] . كان اسمها في ذاك العهد حمص ، والارجح ان اليونان لطفوه او ألانوه فاصبح اميسا [٤] . بعد ان استولى جند الصليبين على انطاكية في العام ١٠٩٩ م. زحف في وادي العاصي ، فاستولى على شيزر ، وحماه ، وحمص التي اشرعت له ابوابها ، وواصل سيره على طول شمالي لبنان الى عرقا فالساحل [٥] . في العــام ١١٣٠ م.

١ في عهد الامبراطور قسطنطين شيدت كنيسة فخمة في حمص. راجع المصدر الاتي:
Sozomen. H. E. 3. 17.
اما عن حمص عموماً فيمكنك مراجعة المصدرين التاليين:
Cellarius, I. c. II. p. 357. sq.
Mannert, I. c. VI. i. p. 356.

٢ في العام ٦٣٦ خضعت حمص مع غيرها من المدن السورية للسلطة الاسلامية . راجع الصفحة ٥٢٣ من المجلد الثالث للمؤلف .

٣ ثم خضعت تباعاً للامويين والطولونيين والسلجوقيين وغيرهم . راجع :
See Index to De Guignes, Hist. des Huns, Art. Hemesa, Germ.

٤ اصبح اسمها الان حمص ، والارجح ان اليونانيين لطفوه او الانوه فاصبح اميسا. راجع المصدر الاتي :
Constantin Porphyrogen, de admin. Imperio, c. 25, p. 59.
وهكذا اصبحت الكلمة العربية : خلصة ، اي ألوصــا ، وهي مدينة في الصحراء باتجاه سينا ، جنوبي حبرون .

راجع المجلد الاول للمؤلف ، الصفحتين ٢٠١ و٢٠٢ (٢٩٦ وما بعدها ، ٥٦٥) .

٥ راجع ما يذكره المصدر الاتي عن استيلاء جيش الصليبيين على حمص في العام ١٠٩٩ م:
Wilken Gesch, der. Kr. I. p. 240. sq.

حاصر حمص الزعيم الاتابكي زنكي وتوالت هجماته ، ولكن المدينة قاومته وكان النجاح حليفها . وبعد اربعين يوماً من الحصار سحب قواته [١] . في العامين ١١٥٧ م. و١١٧٠ م. اجتاحت سوريا زلازل راعبة ، فدمرت الكثير من معالمها وعمرانهـــا ، وكانت حمص على وشك الخراب التـام [٢] . وفي العام ١٢٨١ م. حمي وطيس معركة هائلة ، فاصلة ، بين العرب والمغول . فحالف النصر العرب ، وانهزم المغول ، وتقلصت سلطتهم عن سوريا زمنـاً [٣] . كانت تورطوزا (طرطوس) ميناء حمص طيلة هذه القرون [٤] .

في منتصف القرن السادس عشر مرّ بيلون Belon على بعلبك وحمص ، بطريقه من دمشق الى حلب . وجاء في كلامه عن حمص ان اسوارها قديمة وصالحة ، ولا تزال بعض اقسامها قائمة ، ولكن اكثر البيوت خيم عليها الخراب [٥] . في اوائل القرن السـابع عشر

١ راجع المصدر الاتي عن المقاومة التي ابدتها حمص في الحصار الذي ضربه عليهـا زنكي الزعيم الاتابكي في العام ١١٣٠ م :
Wilken Gesch. der. Kr. II. p. 585.

٢ راجع المصادر الاتية عما احدثته الزلازل من الخراب والدمـار في حمص في العامين ١١٥٧ و ١١٧٠ :
De Guignes, Hist. des Huns, II. pp. 495, 527, Germ.
D'Herbelot, Biblioth. Or. art. Hems.
Wilken Gesch. der. Kr. III. ii. pp. 134. 135.

٣ راجع ما ذكرته المصادر الاتية عن المعركة الفاصلة التي حمي وطيسهـا بين العرب والمغول في العام ١٢٨١ م . وعن اندحار المغول وتقلص حكمهم في سوريا :
Wilken, ib. VII. p. 667 sq.

٤ راجع ما يقوله الادريسي عن طرطوس ميناء حمص في ذلك الوقت :
Edrissi, par Jaubert, I. p. 359.

٥ راجع ما يذكره المصدران التاليان عن اسوار حمص ومـا كنها في منتصف القرن

زار حمص بيترو ديلا فالي Pietro Della Valle [1] . ولا بد من ان يكون الرحالون الذين جاؤوا بعده قد مروا على حمص بطريقهم من دمشق الى حلب .

اما حمص في الوقت الحالي فهي مدينة يقطنها عشرون الف نفس ، منهم سبعة آلاف مسيحيون ، اكثرهم روم ارثوذكس . تقع حمص وسط سهل متسع خصب يمتد في بعض الجهات الى الافق البعيد . وهي تبعد ثلاث ساعات ونصف الساعة عن اول نتوء من انتي لبنان باتجاه الجنوب بغرب . اما نهر العاصي فيبعد عنها نحو ميل الى الغرب . والماء يجلب اليها على ظهور الحيوانات او الرجال[2] . ويبعد سد البحيرة القديم ساعتين عن المدينة ، ولا تمكن رؤيته ولا رؤية النهر . اما اكثر الشوارع فمبلطة بحجارة بركانية سوداء مربعة ، واكثر المساكن مبنية من المواد نفسها ، وهي من انظف المدن السورية . ليس في حمص اطلال ابنيـــة قديمة ، ولكن الحجارة الكبيرة المنحوتة ، وقطع الاعمدة الغرانيتية والرخامية السوداء والكلسية منتشرة في كل مكان ، وهي شهادة ناطقة بقدمها في فن البناء . اما الاسوار الحديثة التي تحيط بالمدينة

السادس عشر : P. Belon, Observat. 4 to. Par. 1555, p. 155.
Paulus' Samml. Th. ll. p. 9.

١ راجع ما يقوله بيترو ديلا فالي عن حمص في اوائل القرن السابع عشر ، في المجلد الثاني للمؤلف ، الصفحة ١٣٣ .

٢ راجع ما يقوله ي. سميث عن تموين حمص بالماء من نهر العاصي في المجلد الثالث ، الطبعة الاولى ، الصفحة ١٧٤ من الملحق .

فلا فائدة منها الا لصد غارات البدو[1] . وقد وجد الدكتور دي فورست ان حمص تعلو الفاً واربعمائة وست وتسعين قدماً انكليزية فوق البحر[2] .

التل المشيدة عليه قلعة حمص

قطر التل . ارتفاعه . خندق يحيط بالتل . الاثار الباقية من القلعة .

تقوم الاكيمة او التل الذي شيدت عليه قلعة حمص جنوبي المدينة ، وقد ظل رفيق انظارنا عدة ساعات بعد خروجنا من ربلة . يقدر المستر بورتر قطر هذا التل بثلاثمائة يرد[3] . ويقول الدكتور دي فورست ان ارتفاعه مئة قدم وقدم . كانت الاكيمة محاطة بخندق متسع[4] ، وكانت جوانبه المنحدرة مرصوفة

١ راجع ما يقوله ج. ل. بورتر عن الابنية القديمة في حمص والاسوار الحديثة ، في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، من الصفحة ٦٧٧ — ٦٨١ .
وراجع ايضاً المستر و. م. تومسون في الكتاب نفسه، العام ١٨٤٨ ، الصفحتين ٦٨٣ و ٦٨٤ .

٢ راجع ما يذكره الدكتور دي فورست عن ارتفاع حمص عن سطح البحر في رسالته الارسالية .

٣ راجع ما يذكره ج. ل. بورتر عن التل المبنية عليه قلعة حمص ، في المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٦٧٩ وما بعدها .

٤ يقول بوكوك « ان عمق الخندق الذي كان يحيط بالتل هو نحو عشرين قدماً ، وعرضه نحو ثلاثين خطوة » ، وفوق الخندق جسر يستند على عدة قناطر : Pococke, II. i. p. 141.

سابقاً بقدر صغيرة مربعة من نوع من الرخام الاسود ، وهذه كانت بمثابة منحدر حول الحصن ، فلم يبق سوى اجزاء منها[١] . اما قمة التل فكانت محاطة بسور وطيد منيع ، بنيت جبهته بقطع ضخمة من الحجارة الكلسية ، ومُلِئ وسطه بحجارة غير منحوتة (دبش) زملت بالملاط (الاسمنت) . لم يبق من القلعة في الوقت الحاضر سوى بضعة اقسام من الابراج الخارجية على السور الشمالي ، وقمة التل ترزح تحت اكوام من الردم والخراب . وانك لترى العديد من القطع الكبيرة من الاعمدة الغرانيتية الحمراء والسنجابية بين هذه الخرائب ، قد تكون اطلال هيكل قديم ربما شيد لعبادة الشمس . ويقال ان قلعة حمص هذه تشابه كثيراً قلعة حلب في موقعها وخاصياتها . والقمة الان متوجة بمقام ولي بني حديثاً ، تعلوه قبة بيضاء ، وهو جلي ظاهر للعيان من سائر الجهات .

لاوديسيا LAODICEA

لاوديسين . بارادیسس . جبرودا . مستعمرة رومانية ممتازة . كرسي اسقفية . موقع لاوديسيا . تل النبي مندو . خرائب على التل . ينبوع عين التنور . حرق الاعمدة لاستخراج الكلس .

يقول بطليموس ان لاوديسيا كانت على رأس مقاطعة اسمها

١ يقول بوكوك ان هذه الجهة المنيعة كانت لا تزال سليمة في زمانه ، ويقول ان الحصن « كان قلعة كبيرة خربة » : Pococke, II. i. p. 141.

لاوديسين Laodicene ، تشتمل على لاوديسيا وباراديسس Paradisus وجبرودا Gabruda[1]. وقد ورد في بطليموس وجداول بوتنجر Peutinger انها ملقبة بسكابيوزا لاوديسيا Scabiosa[2] Laodicea . اما السبب في اعطائها هذا اللقب فغير معروف . ويقول بوليبيوس ان لاوديسيا هي بالقرب من بحيرة ومستنقعات[3]. ويقول استرابو وبليني انها « من لبنان او بالقرب منه » . ويقول استرابو انها في الطرف الشمالي من سهل مارسياس او البقاع[4] . وهذا اللقب نفسه يظهر على نقود انطونيونس بيوس Antoniuns Pius وكراكلا Caracalla [5] . كانت لاوديسيا مستعمرة رومانية ممتازة « جوس ايتاليكم[6] » ، وصارت كرسي

١ راجع ما يذكره بطليموس عن لاوديسيا وما اشتملت عليه في المصدر التالي :
Ptol. Geogr. 5. 14.

٢ لا ريب ان اللقب لاتيني ، لاوديسيا Laudicia سكابيوزا Scabiosa ، كما ورد في الجداول . راجع:
Segm. X. ed. Scheyb.

٣ Polyb. 5. 45. 10.

٤ Strabo, 16. 2. 18.
Plin. H. N. 5. 19. or 23. " Laodiceni qui ad Libanum cognominatur".

٥ E. g.
Eckhel Doctr. Numm. III. p. 336.
Mionnet Méd. V. p. 241.

٦ Leg. I. Dig. de C ensib. Par. 3. "Est etLaodicen a colonia in Syria Coele, cui divus Severus et imperator noster jus Italici ob belli civilis merita concessit."
See Smith's Dict. of Antt. art. Colonia p. 317.

اسقف مسيحي[1] . وهذه المعلومات تستنفد كل ما نعرفه عن هذه المدينة القديمة .

عرفنا سابقاً ان دليل انطونيني يضع لاوديسيا على مسافة ثمانية عشر ميلاً رومانياً جنوبي حمص ، واثنين وثلاثين ميلاً رومانياً شمالي (فوتّا) كوتّا او الراس . امـا جداول بوتنجر فتضعها على مسافة عشرين ميلاً من حمص . ويقول بطليموس انها على ١٥ درجة من العرض جنوبي حمص[2] . واذا رجعنا الى النسبة التي ذكرناها سابقاً ، وهي ان اربعة اميال رومانية تساوي ساعةً سفراً ، تكون المسافة بين المدينتين اربع ساعات ونصف او خمس . ويذكر الدليل ايضاً انها تبعد ثماني ساعات عن كوتّا او الراس .

اين كان موقع لاوديسيا هذه اذن ؟ ان المسافة المشار اليها سابقاً تدل دلالة قطعية على انها لم تكن بالقرب من جوسية القديمة كما يقول Lapie وغيره[3] ، لان جوسية تبعد عن حمص سبع ساعات او ثمان على الاقل ، ولا تبعد عن الراس اكثر من اربع ساعات[4] . وقد بحثت في سائر الاقليم شمالي ربلة عن بقعة

١ Reland Palaest. p. 217.
Le Quien Oriens Christ, II. 841.

٢ راجع الصفحة ٥٣٥ من المجلد الثالث للمؤلف عن المسافات بين لاوديسيا وحمص والراس في دليل المسافرين لانطونيني وبوتنجر .

٣ See Itin. ed. Parthey et Pind. Index p. 350.
و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ،العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٩٤ .

٤ قابل مع ج. ل. بورتر في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، ص ٦٧٢ .

تلائم موقع لاوديسيا فلم اعثر على موقع جدير بالانتباه ، الا الاكيمة العالية المسماة تل النبي ميندو Tell Neby Mindou الواقع على ضفة العاصي اليسرى على بعد نحو اكثر من ساعتين شمالي ربلة . على جانب هذه الاكيمة قرية حديثة ، يتوّج قمتها مقام ولي ابيض يُرى من كل الجهات . والتل هذا يُرى من ربلة . وما زلنا نراه بعد ان تركنا المكان بعدة ساعات . وقد تساءلنا ألا يمكن ان يكون هذا التل موقع لاوديسيا ؟

سافر المستر بورتر في العام ١٨٥٣ من ربلة الى حمص بجانب ضفة النهر الشرقية ، فترك ربلة حوالى الساعة السادسة صباحاً ، فوصل قبالة تل النبي ميندو الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة . وبعد ان تأخر قليلاً على الطريق ، وتحول عنها لزيارة السدود على البحيرة ، وصل الى حمص الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة عشرة . فتكون المسافة بين تل النبي ميندو وحمص نيفاً واربع ساعات ونصف ، وهي تنطبق على المسافة بين لاوديسيا وحمص[1] . وهكذا لا يكون موقع تل النبي ميندو

١ ج. ل. بورتر في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤، الصفحات ٦٧٤-٦٧٧.
وفيما يلي تقدير آخر للمسافات المذكورة في المتن ، الصفحة ٥٥٥ من المجلد الثالث للمؤلف :

من حمص الى البحيرة : ساعتان .
طول البحيرة: ساعتان .
من زاوية البحيرة الجنوبية الغربية الى التل : ساعة .
فالمسافة اذاً خمس ساعات ، ولكن الطريق دائرية نوعاً .

راجع الصفحة ٥٤٩ من المجلد الثالث للمؤلف عن المسافتين الاولين. وراجع ما كتبه المستر و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٨، الصفحة ٦٩١ عن المسافة الاخيرة .

مخالفاً لموقع المدينة السالفة .

فحص المستر بورتر التل بمنظاره من جهة النهر التي تقابله « فرأى بوضوح خرائب متسعة منتشرة على سفحه[1] » . ينضم الى العاصي ، في هذا المكان ، رافد يأتي من ينبوع عين التنور ، ومن بحيرة صغيرة في الجنوب الغربي . ويشغل التل والخرائب التي على سفحه الزاوية المتكونة من اتصال الرافد بالعاصي . في العام ١٨٤٦ سافر المستر تومسون من حماه الى ربلة بجانب ضفة النهر الغربية . وزار تل النبي ميندو ، وهو السائح الاول والوحيد الذي تحدث عنه . يقع التل على لسان من الارض ينبسط بين العاصي وبين رافده المسمى المقدية ، فوق نقطة اتصالها . وقد حفر خندق بين هذين النهرين فاصبح التل جزيرة . على سفح هذا التل الكبير الجنوبي ، تنتشر خرائب مدينة قديمة متسعة . تشتمل الخرائب على العديد من الاعمدة ، والاسس ، واجزاء صغيرة من السور الاول ، وتدل اعمال الرضم (الدبش) فيها على انها من الآجر الروماني . وهذا ما يقوله المستر تومسون : « رأيت سكان التل يكسرون الاعمدة ليحرقوها ويحولوها الى كلس . وبما ان الحجارة الكلسية تندر في هذا الاقليم ذي الحجارة البركانية ، فقد تكون اعمال التخريب متواصلة منذ نحو الف سنة . ومن الغريب ان هذه الاعمدة الكثيرة نجت من مطارقهم البربرية[2] . »

١ راجع ما كتبه ج. ل. بورتر في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٦٧٥ .

٢ راجع ما كتبه المستر و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٨،

فموقع هذا التل اذاً وقربه من البحيرة والخرائب لا تدع مجالاً للشك في ان تل النبي ميندو هو موقع لاوديسيا القديمة في لبنان .

بقي علينا الآن ان ننظر في امر الاطلال التي عند جوسية القديمة[1] . والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو : هل بالامكان ان نتعرف بها الى مدينة قديمة معروفة ؟ فلنجرب ذلك على الاقل .

رأينا سابقاً ان لاوديسين ، التي يذكرها بطليموس ، اشتملت على المدن الثلاث : لاوديسيا ، بارادیسس ، وجبرودا[2] . اما الاولى فقد حققنا موقعها في ما سبق ، والاخيرة كما يظهر جلياً هي يبرود الحديثة الواقعة على المنحدر الشرقي في انتي لبنان ، على بعد نحو عشر ساعات او احدى عشرة ساعة شمالي دمشق ، وعلى ساعة ونصف الساعة من النبك ، باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي . ولا تزال فيها كنيسة قديمة ، مشهورة بجمال بنيانها ومتانته[3] . فيتضح من ذلك ان مقاطعة لاوديسين كانت تمتد من لاوديسيا

الصفحتين ٦٩٢ و ٦٩٢ ، عن تحطيم الاعمدة .

ويؤيد الدكتور دي فورست شفهيا ما كتبه المستر تومسون .

١ راجع بيان هذه الخرائب في الصفحة ٥٤٤ من المجلد الثالث للمؤلف .

وراجع ايضاً ما كتبه ج. ل. بورتر في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٥٤ ، الصفحتين ٦٧١ و ٦٧٢ .

٢ راجع الصفحة ٥٥٤ من المجلد الثالث للمؤلف.

٣ This is doubtless the " Clima Jambrudoum," of the ecclesiastical Notitioe; Reland Palaest. p. 217.

زار المستر بورتر هذين المكانين ، في خريف العام ١٨٥٢ ، وزارهما ثانية في العام

باتجاه الجنوب الشرقي عبر انتي لبنان الى جبرودا ، وان بارادیسس تقع بين ذينك المكانين . ويقول بطليموس ان بارادیسس على عشر درجات من خط العرض جنوبي لاوديسيا ، وعلى خمس درجات من خط الطول شرقي المدينة عينها . وهذا ينطبق تماماً على موقع جوسية القديمة من تل النبي ميندو[1] . وقد سجل بطليموس موقع جبرودا على خمس درجات فحسب من خط العرض جنوبي بارادیسس . والخطأ في تسجيله هذا جلي ، بينما يضع جبرودا على خمس عشرة درجة من خط الطول شرقي بارادیسس . وهذا الموقع الاخير يتفق مع موقع جوسية ويبرود القديمتين . من المؤكد ان المواقع التي يعينها بطليموس لا يمكن ان تؤخذ على علاتها تماماً ، ولكنها تدل على مراكز المدن الواقعة في مجموعة ما ، ونسبتها الى بعضها كما يتصورها العالم الجغرافي . اما في الحالة الحاضرة فانها تدل بوضوح على ان جوسية القديمة هي موقع بارادیسس الاقدم منها .

لم يذكر بارادیسس سوى استرابو وبلني[2] ، ولم يذكر احد انها

١٨٥٣ .

راجع كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٥٤ ، الصفحة ٤٤١ وما بعدها والصفحة ٤٤٦ وما بعدها ، والصفحة ٦٣٩ وما بعدها.

١ Ptol. 5. 14; e. g.

Scabiosa Laodicea	69.49	33.45
Paradisus	69.45	33.35
Jabruda	70.	33.30

٢ Strabo, 16. 2. 19. p. 756.
Plin. H. N. 5. 19 or 23.
Cellarius, l. c. p. 374.

كانت كرسي اسقفية .

بين ربلة والضريح الغريب

العدول عن زيارة حمص وحماه وانطاكيه . طبيعة الارض .
عين التنور . زيته . البويدة . الحارتين . ام الحارتين .
الكنيسة . حنيدر . وادي خالد . ابعد ينابيع النهر
الكبير . حربعانا . ضريح غريب . اوصافه .

بعد ان اكملنا ملاحظاتنا في ربلة هذا الصباح ، اعددنا العدة للسفر الى الحصن ، بطريقنا الى بيروت . تكدرتُ كثيراً لعدولي نهائياً عن زيارة حمص وحماه وانطاكية . اما رفيقي المستر روبصن فكان على استعداد للقيـــام بتلك الرحلة . ولكن حر الصيف الدائم ، وصحتي التي كانت معلقة بخيط اوهى من نسيج العنكبوت ، واضطراري الى السفر على الباخرة التي ستقلع من بيروت في الثاني والعشرين من حزيران ، كي لا اتأخر شهراً او اسبوعين ، كل هذه العوامل مجتمعة اكرهتني على توجيه خطاي الى الغرب . وقد تبين لي ، فيما بعد ، ان عدولي عن فكرة زيارتي تلك لم يكن تسرعاً .

رحلتنا لهذا اليوم تدور حول الطرف الشمالي من لبنـان ، الى الحصن الكبير المعروف سابقاً بحصن الاكراد . اما اليوم فهو يعرف بالحصن فحسب .

اما احدى الغايات الرئيسية من هذه الزيارة ، فهي البحث عن طبيعة البقعة الواقعة بين لبنـان وجبال النصيرية في الشمال . لا

تتعدى المسافة ، بين ربلة والحصن ، الثاني ساعات ، هذا اذا سرنا في خط مستقيم ، ولكن طبيعة الارض السبخة والصعوبات التي صادفناها في بعض الاماكن على الطريق اجبرتنا على السير في دورة طويلة اطالت الرحلة الى تسع ساعات ونصف الساعة .

عبرنا النهر عند المعبر[1] الذي وصفناه في سياق كلامنا اعلاه ، وخلّفنا الشاطيء الشمالي وراءنا الساعة التاسعة . كان اتجاهنا اولاً الى الشمال . بعد خمس عشرة دقيقة شاهدنا الحصن ، فاذا موقعه شمالاً ثلاثين درجة غرباً . الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين وصلنا الى احد تعوجات العاصي ، فحولنا اتجاهنا اكثر الى الشمال الغربي . السهل جد مطمئن ، والتربة صلبة وحصِبة ، ولكنها خصبة بجوار الترع الجارية فيها المسحوبة من النهر ، وقد عبرنا الكثير منها . كان معظم سيرنا بادىء الامر وسط حقول محروثة على طرق ناشطة (قادومية) يعرفها الدليل حق المعرفة . الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين وصلنا عين التنور ، وهو ينبوع في السهل جد غزير . الى الشمال منه بحيرة متعرجة وهي التي يخرج منها نهر المقدمية الذي ينضم الى نهر العاصي عند تل النبي ميندو . موقع هذا التل الان بين الشرق والشمال الشرقي ، على مسافة نحو ساعة من هنا . اما قرية زيته فتقع في الجهة المقابلة باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي على نحو المسافة عينها .

الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين كان على طريقنا حجر نصب للدلالة على مسافة ميل ، عليه نقوش يونانية طامسة . بعد خمس

١ راجع الصفحة ٣٤٥ من المجلد الثالث للمؤلف .

دقائق عبرنا جدولاً جميلاً ، جالب من ينبوع يبعد بعض المسافة الى اليسار ، ويجري على الجانب الشرقي من بقعة اكثر انخفاضاً ، تشبه المرجة الخضراء ، يتعوج وسطها جدول صغير . يكوّن هذا الوادي الطرف الغربي من السهل ، لا تلبث الارض بعده ان ترتفع سراعاً . على جانب هذا الوادي الغربي تماماً ، تقع قرية البويدة الخربة التي وصلناها الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة ، فالفيناهـا مخيماً للعرب ساكني المظلات والخيام المغطاة بالحصر .

هنا في البويدة عثرنا ثانية على الحجارة والصخور الشبيهة بالرخام الاسود . وهذا التركيب البركاني الاسود رافقنا في رحلتنا كلها حول الطرف الشمالي من لبنان حتى الشيخ محمد . تبدأ الارض بالارتفاع تدريجاً بعد البويدة في بادىء الامر . الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين ، بدت لنا بحيرة حمص ، وبدت لنا جزيرتها الواقعة في جزئها الجنوبي كأنها تل مبتور . بدت لنا ايضاً قلعة حمص الشامخة . الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين خيل الينا اننا خرجنا الى نجد . والساعة الثانية عشرة رأينا الجزيرة التي في البحيرة وقلعة حمص في خط موقعه الى الشمال الشرقي بشرق . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة ، كنا امام خرائب قرية ام الحارتين . زرائب القرية هذه او اكواخها مبنية بحجارة سوداء شبيهة بالرخام الاسود ، ووراءها تماماً مخيم عرب . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثلاثين ، وصلنا الى قرية اخرى خربة هي قرية الكُنَيْسة ، اكواخها من حجارة سوداء كالتي خلفناها وراءنا . في هذه القرية بناء كبير نوعاً ، لم نعرف عنه شيئاً . جلسنا تحت احد المداخل في حائط فاصل ، فاسترحنا وتناولنا طعام الظهر في

خلله ، وهو المكان الوحيد الظليل الذي وجدناه .

استأنفنا السير الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والاربعين . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة مررنا على مجرى ماء ينحدر الى الشمال الشرقي باتجاه البحيرة . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة مررنا على قرية حنيدر السوداء الخربة . بالقرب منها ضرب العرب خيامهم . الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين وصلنا الى قمة الارض ، فاذا بها نجد عريض نوعاً ، تكثر فيه نجوم السنديان .

الى هنا كنا نصعد تدريجاً المنحدر الشرقي ، في الاحدور الوطيء العريض ، الذي كنا نراه من سائر الجهات خارجاً من طرف او ختام الكتل الضخمة في لبنان ومنحدراً الى الشرق ، والشمال الشرقي ، والشمال . والاحدور هذا ينحدر بتدرج بطيء . كانت نجوم السنديان وخلافها من الاشجار تغطي بقاعاً كبيرة منه بالقرب من لبنان ، فتكسبه منظراً مخضوضراً ترتاح اليه العين . وبينما كنا نرى الطرف الشرقي من لبنان ينتهي على يسارنا ، كنا نرى سلسلة اكثر انخفاضاً تخرج من هذا الجزء وتتجه الى الشمال الغربي ، منبسطة امام القسم الممتد اكثر الى الغرب . وسنرى فيما بعد ان الطرف الشمالي الغربي في هذه السلسلة هو النقطة الواقعة في اقصى الشمال من لبنان . وهذه السلسلة هي الى يسارنا الان ، وعلى جانبها الشمالي الشرقي يمتد واد عميق هو وادي خالد ، يجري فيه نهر هو ابعد ينابيع النهر الكبير . كنا نشرف عن يميننا على ارض اكثر انخفاضاً من الاحدور المار ذكره ، واقعة غربي بحيرة حمص ، فكنا نراها ارضاً مطمئنة واجود حرثاً . والحق يقال اننا منذ تركنا البويضة لم نر على طول الطريق التي سلكناها الا نزراً يسيراً من الارض المحروثة .

الى هنا ، يظهر ان سائر الاقليم ينزح الى الشرق ولكن على قمة الارض التي نحن عليها الان ، نتمكن من النظر الى الغرب فنرى قلعة الحصن ، والجبال الواقعة الى الشمال الغربي وراءها ، على طول الشاطئ شمالي طورطوزا[1] .

بعض بضع دقائق ، وصلنا رأس واد جانبي يجري غرباً الى وادي خالد ، وتابعنا سيرنا عالياً على حاجبه الشمالي نسترق النظر احياناً في اعماقه . الساعة الثانية والدقيقة الاربعين كنا امام قرية اخرى خربة ، هي حربعانا ، اكواخها مبنية بحجارة سوداء . لم نمش سوى خمس دقائق وراءها حتى وقفنا امام ضريح بسيط بدائي .

ضريح غريب نادر

شكل هذا الضريح يشبه حواطة مربعة الاضلاع بعيدة عن الاناقة والدقة . ارتفاعه خمس اقدام او ست ، وسمك جدرانه اربع اقدام . في الجهة الجنوبية منه باب يؤدي الى فسحة او ممر عريض . على جانبي الممر ، وعلى طرفه المقابل للباب ، طبقتان من التجاويف او الفجوات ، الواحدة فوق الاخرى ، لوضع جثث الموتى ، والاطراف تتجه الى الفسحة . في كل من الطبقتين الجانبيتين عشر فجوات ، وثماني فجوات في كل طبقة على طرف الممر ، مجموعها ست وخمسون فجوة . يفصل بين هذه الفجوات حواجز من

[1] طرطوس . — المعرب .

الحجارة الرخامية السوداء الدقيقة ، نحتت نحتاً خشناً ، وبنيت على حواشيها . ارض الضريح مغطاة بحجارة رخامية سوداء ، بينما حجارة السقف مستطيلة ، ولكنها من الجنس نفسه ، موضوعة فوق كل فجوة من الفجوات العليا بانحدار قليل الى الخارج . اما الملاط والطين فلا اثر لها . عمق الفجوات نحو ست اقدام ، وعرضها قدمان ، وارتفاعها ثلاث اقدام ونصف القدم . لم يبق من الفجوات سليماً الا التي على الجهة الشرقية . اما البقية فاكثرها مهدم . على حجر خشن عن يمين الباب من الخارج تظهر بقية نقش يوناني محفور حفراً لا دقة فيه ، طمسته العوامل الجوية ، فهو غير واضح للقراءة . ولكنا تمكنا من قراءة الكلمات الاتية Tic Tinwn في سطر واحد . اما المستر روبصن الذي كان قبلا في تدمر ، فقد لفت نظره الشبه الشديد بين هذا البناء والاضرحة الفخمة حول المدينة . اما الرسم العام في الاثنين فواحد[١] .

بين الضريح الغريب النادر وسهل البقيع

السير في وادي خالد. مخيم عرب . الطرف الشمالي الغربي من لبنان . سهل البقيع . النهر الكبير .

بعد توقف بضع دقائق استأنفنا السير فاصبح بامكاننا الآن الاشراف على الوادي الجانبي وموضع اتصاله بوادي خالد ، ورؤية

١ راجع رسم الاضرحة في كتاب وود ، عن اطلال تدمر ، اللوحات ٣٦-٤٢ ، ٥٥-٥٧ .

النهر الجاري فيه ، اي في وادي خالد ، وهو الرافد الرئيسي للنهر الكبير ، على مسافة ثلاثمائة او اربعمائة قـــدم تحتنا . انحدرنا على ضفة وادي خالد الشماليـة المنحدرة فاكتنفتنا المناظر الجبليـــة الساحرة من سائر الجهات . كانت آخر سلاسل لبنان عن يسارنا وهي خضراء بنجومها ، وكذلك الضفة العالية عن يميننا وهي لا تقل عنها خضرة ووعورة وانحداراً . الساعة الثالثـــة والدقيقة الثلاثين وصلنا النهر عند مطحنة ، حيث الوادي ينفسح ويمتد الى الشمال الغربي ، وقد توفرت له وسائل الري والاخصاب . هنـا ينضم اليه من الشمال الشرقي واد آخر عريض وخصب ، تملأه الان حقول الحنطة . لم نتمكن من رؤية طرفه الشمالي الشرقي ، ولكن الصعود منه في تلك الجهة الى النجد الذي نزلنا منه لم يبد شاقاً .

تابعنا طريقنا منحدرين في وادي خالد باتجاه الشمال الغربي . الساعة الرابعة وصلنا الى مخيم عرب ، ومررنا على مقبرتين يؤمها هؤلاء العرب الرحل من مسافات قصية من تلك النواحي لدفن موتاهم . الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة كانت قرية المشيرفة الصغيرة الى يميننا ، وكنا قد اقتربنا من طرف الوادي حيث يفضي الى السهل الجميل او حوض الارض المعروف بالبقيع . هنا عن يسارنا تماماً ، يقوم الطرف الشمالي الغربي من السلسلة الخارجة من لبنان كما ذكرنا اعلاه . وهذه السلسلة تكوّن الطرف الشمالي من لبنان كله . انها خضراء وجميلة ، تكسوها النجوم والشجيرات ، وتبرز قائمة في مكانها حيث ينتهي لبنان ، ولا تقل عظمة وجمالاً عن هذا الجبل الكبير الاشم .

لم اكن اتوقع مطلقاً وجود هـذا السهل الجميـل ، البقيع ،

تحتضنه الآكام[1] . فهو يمتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، الى مسافة ثلاث او اربع ساعات طولاً . اقصى عرضه بين فم وادي خالد والحصن نحو ساعتين . شكله بيضي ، وكان الاولى به ان يكون مسطحاً مربعاً متوازي الاضلاع المتقابلة . اما الجانب الشمالي الغربي فمستقيم تقريباً ، يحده من الجنوب الشرقي نتوءات لبنان الاخيرة وآكامه القائمة في تلك الناحيـــة ، وهي واقعة جنوبي اقصى نقطة في شمالي لبنان حيث نقف الآن . في الشمال الشرقي يحجبه الجزء الغربي من الاحدور الكبير المنحدر شمالاً من لبنان ، كما ذكرنا اعلاه . ولكن في هذا المكان تماماً تفصل هذا الاحدور عن لبنان هوة وادي خالد العميقة . ابعد الى الشمال ، تقوم سلاسل جبال النصيرية . من هذه الجبال تمتد سلسلة او صف من الآكام الى الجنوب الغربي على طول جانب البقيع الغربي كله ، فتشكل الحد الفاصل والخطوة العريضة الواقعين بين البقيع والسهل الكبير الاخفض منه بجانب الشاطىء . ينحدر هـذا الصف تدريجاً الى الجنوب الغربي . وعلى طول ذلك الجزء

[1] لا يذكر بركهاردت كلمة واحدة عن السهل . راجع رحلته ، الصفحة ١٥٨ وما بعدها .

ويذكر بكنغهام السهل باسم وادي الحصن ويمتدحه ، ولكنه لا يعطي فكرة عن طبيعته او مركزه . راجع القبائل العربية ، الصفحة ٥٠٣ .

وفي العام ١٨٣٤ يتحدث الدكتور سمث عن السهل فيقول : « بين هـــذا الجبل (الحصن) والطرف الشمالي من لبنان، يتوسط سهل اسمه البقيع ، يأهل بعدة مساكن للتركمان . » راجع الصفحة ١٨١ من ملحق المجلد الثالث،الطبعة الاولى،من بحوث توراتية للمؤلف .

Bibl. Res. Ist. ed. III. App. 181.

من البقيع يقل ارتفاعه كثيراً فوق السهل .

يدخل النهر الكبير الى البقيع من وادي خالد ، ويجري منحدراً الى طرفه الجنوبي الغربي حيث يشق مجراه في مضيق وسط السلسلة الغربية الوطيئة الى السهل الغربي الاكثر انخفاضاً . ويقال ان هذا المضيق ضيق وصخري في بعض الاماكن منه ، وفي غيرها متسع ومحروث . في البقيع نفسه ، ينابيع عدة وبعض المستنقعات ، ولكن النهر الكبير هو النهر الدائم الوحيد الذي يدخله من كل الجهات . تصب في النهر الكبير كل مياه السهل ، وهو النهر الوحيد الذي يخرج منه ، اي من السهل . البقيع مفرط في خصبه ، وجد محروث . اصحابه ، او على الاقل الذين يحرثون ارضه ويستغلونها ، هم من المسيحيين التابعين للكنيسة الارثوذكسية .

ان الطريق التي سرنا عليها حتى الان تمر بجانب ضفة النهر الكبير اليسرى ، حتى الجسر الاسود الكائن في القسم الجنوبي من السهل . على هذا الجسر تعبر الطريق النهر وتضرب فوق صف الاكام الوطيء الى السهل الغربي ، ثم بعد قليل تعبر النهر الكبير ثانية على الجسر الابيض الذي يقال انه يبعد ثلاث ساعات ونصف الساعة او اربع عن الجسر الاسود . نحن الان في فم وادي خالد ، نسرح ابصارنا في السهل امامنا ، فنرى بوضوح الطريق المباشرة التي تعبره الى الحصن . اما المسافة التي تفصلنا عن سفح الاكام الغربية فلا تتجاوز الساعتين . ولكن الدليل والبغالين ترددوا ولم يغامروا بالسفر على هذه الطريق في هذا الفصل من السنة ، لئلا تتعرض الحيوانات للغرق في تلك الارض المستنقعة .

لذلك قرّ رأينا على السير في دورة حول القسم الشمالي من السهل ، فنسير اولاً مع الاكام الشرقية . هذا ما عملناه ، فوصلنا الى المكان الذي قصدنا الوصول اليه بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة . وهو على بعد ساعتين فقط من النقطة التي بدأنا منها .

بين سهل البقيع وحصن الاكراد

جسر القمر. جسر الابيض. وادي رويد. قرية تل حنا. اربعين بيضة بقرش. طلل من العصور الوسطى. مضارب عرب. المشيرفة.

تابعنا سيرنا فعبرنا النهر الكبير الذي رافقناه مسافة طويلة، على جسر قنطرته عالية اسمه جسر القمر. طريقنا الان تسير فوق اطراف الاكام الوطيئة البارزة من الاحدور الكبير فوقها. مررنا على بعض القرى الخربة المبنية بالحجارة السوداء، ولكننا لم نستعلم عن اسمائها. صادفنا على الطريق ايضاً قطيعاً من الابقار وآخر من الجواميس. وهذه الاخيرة كانت تسرح وتمرح في هذا السهل المستنقع كما تفعل في الحولة. الساعة السادسة قطعنا الطريق المباشرة التي تسير بين حمص وطرابلس، وهي منحدرة من الاحدور الواقع عن يميننا، فتمر بالبقيع، وتعبر الاكام في الناحية الجنوبية الغربية، وتصل الجسر الابيض في السهل الجنوبي. قبل ان نقطع الطريق المذكورة، مررنا على ينبوعين غزيرين في سفح الاكام عن يسارنا، يخرج منها عدة انهر غزيرة تجري الى النهر الكبير. وقد عملنا تلك الدورة لنتحاشى هذه الانهر. لم تلبث طريقنا ان تركت الاكام وتحولت عبر القسم الشمالي من السهل وهو اعلى قسم فيه. ومن هنا تسير مباشرة الى الحصن. كانت الطريق تسير وسط اراض غنية خصبة، وبين حقول من الحنطة هي من اجود ما

رأيت حتى الساعة ، تضاهي في جودتها ما رأيته في الجليل او الغور . عبرنا مجاري ماء عديدة ، ولم يعترضنا نهر جار . على موازاة سفح السلسلة الغربية وعلى بعض المسافة منه ، مجرى ماء جاف ، اظنه ات من وادي رويد الطويل في الشمال ، وهو الذي يذكره ويصفه بركهاردت [1]. وصلنا اخيراً اسفل الاكام الغربية الواقعة تحت الحصن ، وضربنا خيمتنا الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين بالقرب من ينبوع صغير .

لم يكن الحصن منظوراً من خيمتنا ، مع اننا تحققنا من اتجاهه وهو غرب بشمال . على جانب الاكمة فوقنا ، كانت قرية تلة حنا البائسة على بعد خمس عشرة دقيقة . اشترى جرجس مؤونة منها ، فاخذ ثلاثين بيضة بقرش واحد . ولكنه حنق واعتبر نفسه مخدوعاً عندما علم ان الاربعين بيضة تباع بقرش واحد .

الى الجنوب الغربي من خيمتنا تماماً طللُ بناء كبير ، يظهر انه من العصور الوسطى ، لا يزال احد جدران اطرافه قائماً ، له من جهته الداخلية شكل قنطرة حادة ، كأنه كان قبلاً مختصاً بقاعة كبيرة ، وفيه ايضاً كوى . في قسم آخر من الطلل سرداب كبير وطيء . كل هذه تبدو انها بقايا حصن صغير ، او ربما بقايا دير . كان اتجاه النقطة الشمالية من لبنان وفم وادي خالد المجاور لها الى الجنوب بشرق . ويرى ايضاً قسم من انتي لبنان باتجاه ربلة .

مررنا على عدة مضارب للعرب في طريقنا هذا اليوم ، ولكن

[1] رحلة في سوريا ، الصفحة ١٥٧ .

لم نرَ قرية مأهولة سوى المشيرفة . ولولا هذه الخيام والقرية لكان الريف على طول طريقنا مهجوراً . ومما يستلفت الانظار الفرقُ البادي بين المنحدرات الشرقية والغربية الواقعة عند مقلب الماء . ففي المنحدرات الشرقية ، رأينا التربة صلبة وصخرية وحصبة ، والنبات قليلاً ، والغلال طفيفة . ولكن التربة كانت تتحسن كلما خطونا خطوة صعداً ، حتى وصلنا النجد الاعلى ، فاذا بنا بين النجوم والعشب . وهذه الظاهرة رافقتنا في انحدارنا الى هذا الحوض الكبير . وقد بدا لنا انه يشبه اقليم الزبداني اكثر من اي اقليم آخر .

الاحد ١٣ حزيران . — هذا اليوم هو بالتأكيد يوم الاستراحة ، وهذا ما احتاجه اكثر من اي كان من الرفاق . بالقرب منا ينبوع وعدة اشجار صغيرة لا ظل لاوراقها . الهواء خانق ، واشعة الشمس لاهبة عنيفة . اما خيمتنا فلم تجدنا نفعاً ، بل شعرنا فيها بكل شيء خلا الراحة .

حصن الاكراد

مركزه . انعزاله . ممر يجاوره . طريق طيطس. قرية داخلـه . قلعة داخله . ابراج القلعة . مركز حكومة القضاء . عدد القرى . المشهد من ابراج الحصن. زراع. برج صافيتا. دير مـار جرجس . حارة التركمان . برج عناز . عناز . قرية الحصن . تلة حنا . خربة . كفرة . مار مرينا. زويتينة . تل حنا .

الاثنين صباحاً ، ١٤ حزيران . — نهضنا باكراً للصعود الى قلعة الحصن ، فتسلقنا الاحدور الطويل المنحدر . وبعد خمس وخمسين دقيقة من براحنا المخيم وصلنا الى القمة حيث يربض الحصن .

ان الحصن كبير جداً ومنيع ، ويربض على قمة مشرفة عالية فوق سلسلة الآكام ، وهو يرمي بابصاره الى الشمال . اما القمة الرابض عليها فهي مفصولة تقريباً بواد عميق ، او فرض يمتد عرضاً من الشرق الى الغرب وسط سلسلة الآكام المذكورة ، ويشق طريقه الى سفحها تقريباً . عندما اقتربنا من الحصن يوم السبت ، استرعى انتباهنا واد عن يميننا بدا لنا منحدراً من ورائه ، ولكننا لم نقدر اهميته يومئذ . اما الان فقد ادركنا ان هذا الوادي يسهل المرور وسط السلسلة . في هـذا الوادي او الممر سار طيطس عندما خيم على النهر السبتي[١] . وفيه ايضاً تسير ، في الوقت الحاضر ، الطرق الكبيرة بين حماة وطرابلس ، وبين حمص وطورطوزا التي

١ Jos. B. J. 7. 5. 1. See the next Section, near the beginning.

كانت ميناء حماة سابقاً . اما مقلب الماء في هذا الوادي فهو تحت الحصن في الجهة الشمالية . ان المرتقى من البقيع لطيف وقصير ، بينما الوادي باتجاه الغرب اطول كثيراً كما عرفنا بعـــد ذلك عندما سرنا فيه بعض الوقت . ومن الواضح ان قلعة الحصن انمـــا شيدت في هذا المكان كي تتسلط على هذا الممر الهام .

الحصن من الخارج مربع تقريباً ، ومتمماته المعهـــودة من الابراج والمتاريس تعلو جـــداره الخارجي . اما حجارته فغير منحرفة الزوايا . دخلناه من الشرق راكبين وسط ممرات معقودة ومنحدرة ، وطرق مسقوفة . وبعد ان صعدنا بعض الوقت ، ترجلنا في فسحة طليقـة . في داخل الحصن بنى الفلاحون اكواخهم ، واسموا قريتهم قلعة الحصن تمييزاً لها من قرية اخرى في الخارج اسمها الحصن . داخل الحواطة الخارجية المربعة ، قلعة اخرى اكثر ارتفاعاً ، تشغل القسم الواقع في منتصف الحواطة ، تحيط بقسم منها حفرة لجمع ماء المطر من الآكام الاكثر ارتفاعاً في الغرب والجنوب الغربي . جوانب هذه القلعة مبنية كلها بانحدار كأنها تحيط باكمة او صخر . ولا ينحصر هذا الانحدار باسس الابراج فحسب كما هو في القدس والشقيف ، ولكنه يتعداها صعداً الى ما بين الابراج حتى اعلاها تقريباً . والبناء المنحدر والابراج كلها مبنية بحجارة ملساء منحوتة ، لا اثر لانحراف الزوايا فيها ، ويقول رفيقي ، الذي رأى ما يحيط بالمتاريس في حمص وحلب ، انها تشبه هذه الجوانب المنحدرة .

على الجانب الجنوبي من القلعة ، برج مربع مبني بحجارة خشنة محكمة الوضع ، يتصل بالقلعة بجدار مستند على الجوانب المنحدرة ، ولكنه غير

داخل في بنائها . حجارة هذا البرج منحرفة الزوايا انحرافاً عريضاً مائلاً ، عمقه قيراطان . على جانبه الغربي باب ذو قنطرة حادة محكمة ، وفوق الباب اسدان منحوتان ضمن الجدار . وهذا البرج هو بدون ريب من اعمال الصليبيين .

ان الحصن الان هو مركز حكومة قضاء الحصن . يسكن حاكم القضاء او المتسلم في القلعة ، ولكن ليس لديه جنود . احصى الدكتور سمث في لوائحه اكثر من ستين قرية في قضاء الحصن . ولا ريب ان العدد الحقيقي اكثر من ذلك . اكثر سكان القرية نصيرية . والروم الارثوذكس يسكنون قرى عديدة . اما سكان الحصن والذين يسكنون حوله فهم مسلمون . وتوجد ايضاً بعض القرى الآهلة بالتركمان[١] . يصف بركهاردت القلعة فيقول : عرضها سبعون خطوة ، وطولها مئة وعشرون ، يدخل اليها بممر عال معقود ، وهي تضم عدة مقاصير وقاعة من احسن البناء القوطي هندسة" . سقفها قناطر متقاطعة[٢] .

يسرح الطرف طليقاً من ابراج الحصن في جهات مختلفة ، فيقع على مشهد فخم مديد . ترتاح العين حين تنظر ، نحو الجنوب وبين الجنوب والجنوب الشرقي ، الى السلاسل والنتوءات الاخيرة من ذلك « الجبل الكبير الاشم ، لبنان الهادىء المطمئن » ، وقد تغير منظرها من هنا تماماً عما كان عليه قبلاً . نحن الان بين الناحية الشمالية والشمالية الغربية من هذه السلاسل ، نرى السلسلة العالية

١ E. Smith in Bibl. Res. Ist. edit. III. App. p. 181.
٢ Trav. in Syr. p, 158.

فوق الارز من اتجاه جديد . وهذه السلسلة تبدو من هنا بشكل قوس فسيحة ، يتجه جانبها المقعر الى الغرب . وقد وضح لنا بعد ذلك اكثر مما هو الآن .

المنظر من الشرق يشمل بحيرة حمص وسهل العاصي من حولها ، وكذلك الجزء الشمالي من انتي لبنان كله . كنا نرى البحيرة كلها خلا طرفها الشمالي ، والجزيرة كانت ترى بوضوح . اما حمص فلم تقع تحت نظرنا لان بعض الاكام ، في مؤخرة جبال النصيرية الممتدة في تلك الناحية ، كانت تحجبها عنا . وبلة نفسها لم تكن منظورة ، ولكن اشجار زراع الواقعة شرقيها تماماً كانت واضحة امامنا . بين الاحدور الكبير المنحدر من لبنان الذي قطعناه قبلاً واكام النصيرية في الشمال ، كنا نرى بقعة مطمئنة ، لا اكمة فيها كما يبدو ، ولا وعث عام ، تمتد غرباً الى المنحدر التدريجي القصير نحو البقيع تحتنا على مسافة ثلاثماية او اربعماية قدم .

اما المنظر من الغرب فتحجبه الاكام العالية القريبة من موقعنا والقائمة في الغرب والجنوب الغربي ، واكام ابعد منها في الشمال الغربي ، فلم نتمكن اذاً الا من الاشراف على الوادي ، ومنه وسط الثغرة باتجاه الغرب بشمال الى اتجاه بين الغرب والشمال الغربي . هنا استقر النظر على امواج المتوسط المتلألئة بالقرب من طرطوزا كما قيل لنا . نحن بالقرب من برج صافيتا مع انه يبعد عنا مسافة خمس ساعات . وهذا البرج يحمي احد الممرات بين حماه وطورطوزا [١] . في الوادي تحتنا ، على مسافة اربعين دقيقة ، دير مار

١ Rohaed. Vita Saladini, ed. Schultens, Exc. p. 4.

جرجس وقد ذهبنا اليه بعدئذ .

اما المنظر الذي لم اكن انتظره وقد استرعى انتباهي ، فهو اننا من ناحية واحدة كنا نرى بحيرة حمص ، ومن الناحية الاخرى ، البحر المتوسط .

تتجمع قرى كثيرة تحت الحصن او ترى على مسافة منه . ففي الجنوب الشرقي ، على مسافة ربع ساعة ، تقع حارة التركمان . اكثر الى الشرق وابعد الى تحت ، برج عناز . وفي اتجاه بين القريتين وابعد الى تحت ، تقع عناز ، ولكنها غير منظورة . في الشمال الشرقي تحت الحصن تماماً ، تقع قرية الحصن . وابعد الى تحت فوق خيمتنا تماماً ، تقع تلة حنا ، ولكنها لا ترى من الحصن .

على الاكمة وراء الثغرة ، على مسافة ساعة او اكثر شمالي الحصن ، تقع قرية الحريبة . على الاكمة نفسها ، لكن ابعد الى الغرب وعلى الارتفاع نفسه تقريباً ، قرية كفرة الصغيرة . الى الجنوب الغربي منها ، ولكن على ارتفاع اكثر ، تقع قرية مار مريتا[1] فوق الحصن مباشرة . تحت مار مريتا ، باتجاه الحصن ، تقع قرية زويتينة الصغيرة ، على ارتفاع اكثر من كفرة[2] .

في العام ١٨٤٦ زار المستر تومسون برج صافيتا ووصفه :
Biblioth. Sacra, 1848, p. 243 sq.
Comp. Ritter, XVII. p. 826.
Burckhardt, p. 160.
بني برج صافيتا في عهد الحروب الصليبية على اسس فينيقية قديمة .

١ وردت خطأً في لائحة الدكتور سمث باسم مارتيتا . راجع الصفحة ١٨٢ من ملحق المجلد الثالث من كتاب بحوث توراتية للمؤلف .

٢ المواقع ، من قلعة الحصن ، الطرف الشمالي من انتي لبنان ، شرقاً . جزيرة في بحيرة حمص جنوباً ٦٠ درجة شرقاً . زراع ، جنوباً ٣٠ درجة شرقاً . الحد الشمالي من لبنان ، جنوباً ١٢ درجة شرقاً . فم وادي خالد المجاور ، جنوباً ١٦ درجة شرقاً .

في آذار ١٨١٢ ، كان بركهاردت[1] هنا وهو اول من زار الحصن ووصفه في العصور الحديثة . في مجيئه من حماه ، ارسل خيله الى الدير وسط الممر ، اما هو فصعد الى الحصن ماشياً . وفي ايار من العام ١٨١٦ سافر بكنغهام في الممر بطريقه من حمص الى طورطوزا ، وبات في الدير ، ولكنـــه لم يصعد الى الحصن[2] . ونحو العام ١٨٢٨ كان لابورد هنا ، فاعطى صورة عن الحصن[3] . ومرّ الدكتور سمث والمستر تومسون من هنـا بطريقهما من حماه الى طرابلس ، الاول في العام ١٨٣٤ ، والثاني في العام ١٨٤٠ ، والظاهر انهما لم يزورا الحصن[4] . في تشرين الاول من العام ١٨٥٢ ، اي بعد بضعة اشهر من زيارتنا ، سافر الدكتور دي فورست على هذه الطريق من حماه الى طرابلس ، ولكنه عوضاً عن المرور في الممر تابع طريقه بجانب سفح صف الآكام ، حتى

موقع خيمتنا شرقاً بجنوب . تلة حنا ، شرقاً ٥ درجات جنوباً . حارة التركمان ، الجنوب الشرقي بشرق ، المسافة ربع ميل . قرية الحصن ، الشمال الشرقي بشمال ، المسافـة ربع ميل . الخربة ، شمالا ، مار مريتا شمالا ٣٥ درجة غرباً . زويتينة ، شمالا ٥٠ درجة غرباً تقريباً . دير مار جرجس ، شمالا ٦٠ درجة غرباً ، المسافة ميل ونصف الميل . برج صافيتا ، شمالا ٦٠ درجة غرباً ، المسافة خمس ساعات .

واجع حديث بركهاردت عن حصن الاكراد في كتابه.

١ رحلة في سوريا ، الصفحة ١٥٧ – ١٥٩.

٢ القبائل العربية ، الصفحتان ٥٠٣ و ٥٠٤ .

٣ Laborde, Voyage en Orient, fol. Paris 1835, Livr. IV. Pl. el-Hossn.

٤ E. Smith في بحوث توراتية . Bibl. Res ، الطبعة الاولى ، المجلد الثالث ، الصفحة ١٨١ من الملحق .

Thomson في المشنري هرالد ، العام ١٨٤١ ، الصفحة ٣٦٥ .

وصل الى الطريق الاتية من حمص الى طرابلس كما يظهر ، وهذه الطريق تعبر الآكام شمالي هوة النهر الكبير . في مكان ما شمالي مخيمنا جسر وطاحونة خربة ، واكيمة وطيئة اسمها الدكتور دي فورست تل حنا . قاس الدكتور ارتفاع السهل بالقرب من المكان الذي تتحول عنده الطريق الاتية من حماه الى الممر ، فوجده تسعمائة قدم فوق سطح البحر . اما ارتفاع الارض حيث عبر خط الاكام ، وهي نفس الارض القائم عليها الحصن ، فكان الفاً ومئة وقدمين[١] . وعليه يكون المنحدر من حمص الى سهل البقيع ست مئة قدم تقريباً[٢] .

اما الحصن الكبير الذي يعرفه الصليبيون بحصن الاكراد ، ويعرف الان بالحصن ، وقلعة الحصن فقط[٣] ، فليس من دلائل تنبيء على انه يرقى الى اقدم من العصور العربية ، مع ان اهمية الموقع الذي يتربع عليه تشير الى انه ، اي الموقع ، لم يترك بدون حراسة في عصور ابكر من العصور العربية . يقول المؤرخ العربي ، ابن الفرات ، ان اسم الحصن الابكر من ذلك كان حصن الشفة ، ولكنه استبدل باسم حصن الاكراد ، لان فصيلة من الجند الكردي كانت متمركزة فيه لحمايته[٤] . وقد دعاه الصليبيون ايضاً حصن

١ رسالة الارسالية Ms. Letter

٢ راجع الصفحة ٥٥٣ من المجلد الثالث من بحوث توراتية المؤلف .

٣ المستر سميث في بحوث توراتية ، الطبعة الاولى ، المجلد الثالث ، الصفحة ١٨١ من الملحق .

وبركهاردت الصفحة ١٥٧ .

٤ Reinaud, Extraits des Hist. Arabes, etc. Par. 1829,

الكراك Crac او كراش Crach [1] .

ملاحظات تاريخية

في العام ١٠٩٩ كان الجنود الصليبيون يصعدون مع مجرى العاصي الى حمص ، ولكنهم تحولوا وانحدروا على هذه الطريق الى عرقا والبحر في زحفهم الى القدس . وصلوا هنا الى وادٍ خصب تحيط به الآكام، فهوجموا من قلعة قائمة على جانب جبل . كانت هذه القلعة ، ولا ريب ، الحصن ، ولكن لم يذكر احد اسمه [2] . في العام ١١٠١ م. اي بعد ان احتل الصليبيون القدس بسنتين ، ورد ذكر الحصن صراحة ، وهي ابكر مرة جيء فيها على ذكره . في ذلك الوقت ، حاصره ريمون ، كونت تولوز ، ولكنه تراجع عنه مع

١ p. 525.
Wilken Gesch. der Kr. VII. p. 589.
Will. Tyr. 22. 2.
Hugo Plagon, p. 616.
Marin. Sanut. 3. 14. 2. p. 245.
Wilken, III. ii. p. 199. VII. p. 593.
وقد يكون هـذا الاسم Crach او Crac محرفا عن كلمة اكراد ، Akrad، واحيانا لم يميز بينه وبين كرك Kerak الواقعة الى الجنوب الشرقي من البحر الميت . راجع المجلد الثاني للمؤلف ، الصفحة ١٦٦ (ii. 569.) .

٢ Raim. de Agil. in Gesta Dei per Francos, pp. 162, 163.
Wilken, I. pp. 251-253.

جنوده كي يتسنى له الزحف الى حمص[١] . اما متى اخذ الفرنجة الحصن ، فهذا غير معروف ، ولكن الارجح انهم اخذوه في تاريخ مبكر . في العام ١١٥٧ م . عانى الحصن كثيراً من الزلزال الهائل ، وشاركته في عنائه عدة مدن سورية[٢] . وفي العام ١١٥٩ م . اي بعد الزلزال بسنتين ، احدق نور الدين ، ابن زنكي ، بالحصن ، ولكنه اهمل مشروعه هذا ليتسنى له مقابلة جيش الفرنجة قبل اقترابه[٣] . في العام ١١٨٠ م . نجد الحصن بيد فرسان المستشفى او كما يسميهم البعض « المضيفين » الذين واصلوا استيلاءهم عليه[٤] . في العام ١١٨٨ م . ركز صلاح الدين معسكره بجوار الحصن ، فسلب راحة حامية القلعة وازعجها ، ولكن يظهر انه لم يحاصرها جدياً[٥] . في العام ١٢٣٦ م . اضرم فرسان المستشفى نار الحرب ضد امير حماه ، فجيشوا جيوشهم من الفرسان في وادي البقيع تحت الحصن[٦] . وسيروا حملة على بارين Bârîn ، لم تلبث ان ارتدت الى خيامها بعد بضعة ايام[٧] . في العام ١٢٦٨ م . طلب بيبرس المقحام من الحامية الف قطعة من

١ De Guignes, Hist. de Huns, II. p. 411. Germ.

٢ De Guignes, ib. p. 494.
Abulfarag. Hist. Dynast. ed. Pococke, Oxon 1663, p. 257.

٣ De Guignes, ib II. p. 498.

٤ Will. Tyr. 22. 2.
Wilken, III. ii. p. 199.

٥ Wilken, IV. pp. 234. 236.

٦ "La Boquée dessus le Crac." Hugo Plagon, p. 616.
"La Bochea." Will. Tyr. 18. 17. ib. 19. 8.
Wilken, VI. p. 556.

٧ Wilken, VI. pp. 555-557.

الفضة دية المسلمين الذين ذبحوا، فدفعتها [١] . وفي العام ١٢٧١ م. اي بعد ثلاث سنين، ضرب بيبرس الحصار على الحصن فاستسلم له الفرسان الذين كانوا لا يزالون مستولين عليه، بعد خمسة عشر يوماً من الحصار [٢] . تحدث عنه ابو الفداء بعد ذلك باسم حصن الاكراد . اما مارينوس سانوتوس فيسميه كراش [٣] . والظاهر انه لم يعرج عليه احد من السياح الفرنجة قبل زيارة بوركهاردت له .

يشير بطليموس في مؤلفه الجغرافي، عندما يذكر انتارادوس Antaradus [٤] ، الى موضعين آخرين باتجاه الجنوب الشرقي، هما مريام Mariamme ومموغا Mamouga [٥] . ويقول اريان Arrian ان

١ De Guignes, l. c. IV. p. 154.

٢ Wilken, VII. pp. 589, 590.

٣ Abulf. Tab. Syr. ed. Kohler, pp. 19. 102.
Marin. Sanut. 3. 14. 2. p. 245.
See also Schulten's Index in Vit. Salad. art. Curdorum Castrum.

٤ تكتب انتارادوس Antaradus في اللغة العربية انتارتوس Antartus .
راجع جوبير، نقلا عن الادريسي، الصفحة ٣٣٠، ٣٥٩ .
ابو الفداء، الصفحة ١٧ .
اما اسمها الحالي في اللغة العربية فهو طرطوس .
وهكذا يقول ابو الفداء، الصفحة ١٠٢ .
وهي في الايطالية طورطوزا Tortosa .

٥ Ptol. 5. 14. Gr.
The following is Ptolemy's specification :

Antaradus	68.15	34.15
Mariamme	69.20	34.
Mamouga	69.20	33.45

مريام هذه عينها كانت موجودة في عصر الاسكنـــدر الكبير . ويتحدث بلني ايضاً عن شعب في هذا الاقليم يسمى مريامينــاني Mariammitani [١] . ومريام هذه كانت كرسي اسقف مسيحي حتى القرن الخامس او السادس [٢] . واما مموغا فلم يذكرها سوى بطليموس كما يظهر . فاذا رجعنا الى خطوط العرض التي يذكرهـا بطليموس ، يكون موقع مريام موافقاً لموقع برج صافيتا الذي نعرف انه موقع قديم . اما مموغا فتوافق موقع الحصن . يـدل خط الطول من مموغا ، كما يعينه بطليموس ، دلالة واضحة على موقع الحصن من طورطوزا وحمص . كل هذه الاعتبارات اذاً ، على قدر ما نتمكن من تطبيقها ، تثبت ان موقع مريام هو عند برج صافيتا ، وان موقع مموغا هو عند حصن الاكراد [٣] .

١ Arrian, Exp. Alex. 2. 13.
Plin. H. N. 5. 19 or 23.

٢ Le Quien Oriens Christ. ll. p. 919.

٣ Comp. Mannert Geogr. d. Gr. u. Romer, VI. i. p. 335 ; where however there is some confusion.
ولكنها مع ذلك لا تخلو من التشويش .

ويقول ريتر ان مريام هي بالقرب من الحصن ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن مموغا .
راجـع : Erdk. XVll. pp. 53, 55, 841.

مقلب الماء

قرية تنوني. تحويل مجرى العاصي . مد خط حديدي من
حمص الى شاطىء البحر .

ان البقعة الواقعة بين سهل العاصي الاعلى والبقيع ، تكوّن مقلب الماء بين نهر العاصي والبحر المتوسط ، وقد بدت لنا بكل وضوح من قلعة الحصن . رأينا سابقاً ان الاقليم الواقع شمالي طريقنا ، عبر الاحدور الكبير ، في خط مباشر بين القسم الشمالي من بحيرة حمص والقلعة ، هو الاكثر انخفاضاً . حقاً ان احسن طريق ، يمكن منها البحث عن مقلب الماء عن كثب ، هي الطريق من حمص او بالحري من بحيرة حمص الى الحصن ، وهي التي تعبر الجزء الادنى من البقعة المتوسطة ، او المتداخلة . في ايار من العام ١٨١٦ ، سار بكنغهام على هذه الطريق ، ولكن حديثه عنها لا يغني فتيلاً [١] . ان القرية الوحيدة على هذه الطريق هي تنوني ، القرية النصيرية الصغيرة ، على نحو ساعتين من البقيع . ولا اعلم اذا كان غيره من السياح الفرنجة مرّ على تلك الطريق .

ان هذا القسم الادنى من مقلب الماء ، كما يرى جلياً من القلعة ، هو ولا ريب بقعة مطمئنة بين الاحدور الممتد من لبنان في الجنوب واكام النصيرية في الشمال . فالآتي من الشرق يرى مرتقى جد متدرج ، حتى يقترب من البقيع ، ثم ينحدر اليه في احدور

١ القبائل العربية ، الصفحة ٥٠٢ .

اقصر واكثر سرعة [1] . اما الطريق من البحيرة الى الحصن فهي اكثر استواء من الطريق التي سرنا عليها . والاودية التي تنحدر الى القسم الشمالي الشرقي من البقيع هي اودية قصيرة ، وليست سوى انخفاضات اذا قيست بوادي خالد . اما خط مقلب الماء فيقع على طول رؤوس هذه الاودية . ومقلب الماء هذا هو اقرب الى البقيع منه الى سهل العاصي ، ولكنه اقرب جداً الى سهل العاصي منه الى البحر .

ولا ريب ان تحويل ماء العاصي من فوق ربلة ، على طول الناحية الغربية من السهل ، يسهل تحويله كله عبر مقلب الماء الى البقيع ، ومنه بواسطة النهر الكبير الى البحر [2] . اما مد خط حديدي من حمص الى شاطىء البحر فهو اقل صعوبة من تحويل ماء النهر. واذا استثنينا المنحدر الى البقيع ، يسير الخط في ارض مستوية نوعاً ، او على جانب ضفاف النهر الكبير . اما هل بالامكان التغلب على هذا الاحدور الاكثر انحداراً على هذا الخط المباشر من البحيرة الى الحصن ، او في احد شعب وادي خالد ، فهذا امر يُنظر فيه فيما بعد .

١ راجع الصفحة ٥٦٤ من المجلد الثالث من كتاب البحوث التوارتية للمؤلف.
٢ هذا الرأي يقول به المستر تومسون ايضا . راجع كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ٢٢ .

مدخل حماه

معنى العبارة . ارض الميعاد . حد ارض الميعاد الغربي
وحدها الشمالي . صدد . البحر الميت .

يتضح من هذه العبارة ، اي مدخل حماه [١] ، انها تشير الى مكان ما او بقعة في اقصى التخم الشمالي لارض الميعاد ، في ابعد مراميه كما عيّنه موسى في سفر العدد . ليس المقصود في هذه العبارة حماه نفسها بل « بلاد حماه » ، اي القطر او المملكة التي استمدت اسمها من مدينة حماه ، والتي اتسعت كثيراً حتى شملت ربلة في الجنوب [٢] .

أن البحر المتوسط هو التخم الغربي لارض الميعاد . واما التخم الشمالي فيمتد من البحر الى جبل حور ، ومن هناك « الى مدخل حماه » ، ومنها الى صدد على بضع ساعات جنوب شرقي حمص [٣] .

واحتفل سليمان بعد ذلك احتفالاً عظيماً « ومعه جميع اسرائيل ، من مدخل حماه الى نهر مصر [٤] . » اما بعض اقسام ارض الميعاد التي لم يتمكن يشوع من اخضاعها ، وعجز عنها من اتى بعده ،

١ راجع سفر العدد ، الاصحاح الرابع والثلاثين ، العدد الثامن الخ .

٢ راجع ما ذكرته التوراة عن حماه ، وامتداد سلطتها ، في سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الخامس والعشرين ، العدد الواحد والعشرين .

٣ راجع ما ذكرته التوراة عن حدود ارض الميعاد ، في سفر العدد ، الاصحاح الرابع والثلاثين ، العددين السابع والثامن .

٤ راجع ما ذكرته التوراة عن العيد الذي عيده سليمان وكل شعب اسرائيل في: سفر الملوك الاول ، الاصحاح الثامن ، العدد الخامس والستين .
وراجع ايضاً سفر الايام الثاني ، الاصحاح السابع ، العدد الثامن .

فمن بينها كل لبنان في الشرق « من بعل جاد تحت جبل حرمون (او من بعل حرمون) حتى مدخل حماه[1] » ، اي كل لبنان من اقليم دان وبانياس الى اخر طرف لبنان الشمالي [2] . وقد ذكرت التوراة ان يربعام الثاني « رد تخم اسرائيل من مدخل حماه الى بحر العربة » ، او البحر الميت [3] . ان ما يقودنا الى الاستنتاج ان العبارة لا تعدو معناها العادي هو ما ذكرته التوراة في المكان نفسه من ان يربعام « استرجع دمشق وحماه الى اسرائيل[4] . »

تدل سائر هذه العبارات بوضوح على ان « مدخل حماه » كان عند طرف لبنان الشمالي . ولما استولى ابناء اسرائيل على ارض الميعاد اصبحت هذه العبارة اسماً جغرافياً يطلق على المسافة الكبيرة او المنخفض الواقع بين طرف لبنان الشمالي وجبال النصيرية . ومن الواضح ان جبل حور كان بين شاطىء البحر والبقيع . « فمدخل حماه » اذاً يعني من وجهة عامة كل

١ راجع ما جاء في التوراة عن عجز يشوع ومن جاء بعده عن اخضاع لبنان الى سلطة اسرائيل في :
سفر يشوع، الاصحاح الثالث عشر ، العدد الخامس.
سفر القضاة ، الاصحاح الثالث ، العدد الثالث .

٢ راجع ما ذكره المؤلف في الجزء الثالث، الصفحة ٤٠٩ ، عن بعل جاد، وعن حدود لبنان التي لم يتمكن يشوع من اخضاعها .

٣ راجع ما ذكرته التوراة عن يربعام الثاني في :
سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الرابع عشر ، العدد الخامس والعشرين .
قابله مع الاصحاح الثالث، العدد السابع عشر ، من سفر التثنية .

٤ راجع ما ذكرته التوراة عن دمشق وحماه في :
سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الرابع عشر ، العدد الثامن والعشرين .

المنخفض الذي يسهل المرور من ساحل البحر الى سهل العاصي ، أو من وجهة خاصة هو الممر الواقع وسط الحرف القائم تحت الحصن ومقلب الماء الوطيء شرقي البقيع ، او على نطاق أضيق الى مقلب الماء الوطيء الذي يتاخم العاصي . وفي اي من هذه الاعتبارات فان العبارة واضحة وتحديدها كافٍ .

ويبدو ان هذه العبارة استعملت مرة واحدة فحسب في تاريخ أبكر ، مشيرة الى ان الاقتراب من حماه هو من الجنوب بطريق البقاع ووادي التيم[1] . ولكن هذا التفسير يتوقف على معرفة ما اذا كانت رحوب التي زارها الجواسيس هي نفسها بيت رحوب الواقعة بالقرب من دان[2] .

١ راجع سفر العدد ، الاصحاح الثالث عشر ، العدد الواحد والعشرين .

٢ راجع الصفحتين ٣٧١ و ٣٧٢ ، المصدر الاول من المجلد الثالث للمؤلف .

من الحصن الى بيروت بطريق الارز

بين قلعة الحصن ودير مار جرجس

صعوبة الطريق. الجسر الاسود. الجسر الابيض . موقع دير مار جرجس . بناؤه . شهرته بالعجائب . اضافة السياح . جمع الحسنات . الحج الى الدير . تاريخ بنائه .

اعتزمنا السفر رأساً من الحصن الى الارز بطريق شمالي لبنان وعكار ، ولكن من الصعب استقاء المعلومات عن احسن طريق نسلكها . وقد بدا لنا ان اقوم طريق واسهلها هي ان نعبر الجسر الاسود الكائن في القسم الجنـوبي من البقيع ، ونتسلق نتوءات لبنان الواقعة وراءه . ولكن ليس من شخص في الحصن او حوله او في الدير الذي وصلنا اليه بعدئذ ، يعرف طريقاً في تلك الجهة ، او سبيلاً للوصول الى عكار ، الا عبور النهر الكبير عند الجسر الابيض الذي يبعد اربع ساعات عن الجسر الاسود . وقد افادنا الرهبان ان الطريق الوحيـدة الى الارز هي بطريق طرابلس . لم نكن قد عرفنا بعد ان المستر تومسون اراد في تشرين الاول من العام ١٨٤٥ ان يذهب من عكار شمالاً الى برج الصافيتا[١] الذي كنا نراه بوضوح ، فاضطر الى هبوط الجبل غرباً

[١] كذا اوردها المؤلف . — المعرب .

على مسافة ساعتين ونصف الساعة ، ثم عبر النهر الكبير نفسه عند الجسر الابيض . كانت الطريق التي سار عليها منحدرة انحداراً متواصلاً فوق اكوام من البلاط والحجارة البركانية السوداء المغطاة بغابات شاسعة من السنديان القزم المتكاثف والمعقد . وقد ارغم على قطع تلك المسافة الطويلة غرباً كي يتفادى السير في الهوي ذات الحجارة البركانية والمراقي التي تقطع الاقليم كله من الشرق الى الغرب ويستحيل شق طريق فيه . اما الانهر فتشق طريقها او تغتصبها الى السهل وسط هذه الهوي المظلمة[1] . عزمنا على تلافي هذه العراقيل بان نسير الى الجسر الابيض ومن هناك نغتنم اول فرصة لتسلق الجبل .

دير مار جرجس

الاثنين ١٤ حزيران . — تركنا قلعة الحصن الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة ، ونزلنا بانحدار الى الوادي او الفرضة في الشمال الغربي. ان هذا الجزء من الوادي او السرج الوطيء الذي انحدرنا اليه متسع وخصب . اما ابعد الى الشمال الغربي حيث يقوم دير مار جرجس ، فانه يتقلص ويضيق . يقوم الدير على ارتفاع قليل على المنحدر الشمالي ، تحيط به كروم الزيتون ، وتمر الطريق فوقه ومن حوله . وقبالة الدير في الجنوب آكام عالية مكسوة بالسنديان

١ راجع ما كتبه المستر و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحتين ٢١ و٢٢ ، عن طبيعة الارض والصعوبات التي اعترضته في طريقه من عكار الى برج صافيتا .

الصغير . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين وصلنا الدير .
توقفنا برهة نستعلم من اعرابي عن بعض الاشياء ، فاذا بثلاثة او اربعة رهبان خرجوا الينا ورجونا ان نترجل وندخل الدير . لم نتردد لحظة في الدخول . وفي الحال قدمت لنا المرطبات والقهوة في الغرفة المعدة للاستقبال . وقد اظهر الرهبان اسفهم الشديد لاننا لم ندعهم يحضرون لنا طعام الصباح . حقاً انهم كانوا جد لطفاء . الدير مبني بحجارة كبيرة ، ضخمة وصلبة . يُدخل اليه من باب صغير لا يكاد يرتفع اربع اقدام وهو المدخل العمومي . لم يكن فيه يومئذ سوى نحو عشرين راهباً ، ولكن قيل لنا ان البعض منهم غائبون[1] . لم نتوقف في الدير سوى خمس وعشرين دقيقة استأنفنا بعدها السير نزولاً في الوادي المسمى وادي مار جرجس .

اسم هذا الدير مار جرجس الحميرا . وهو اهم واشهر دير في شمالي سوريا . وقد اشتهر بين العامة بالعجائب التي يقال ان مار جرجس يعملها هناك . يملك هذا الدير كروماً واسعة من العنب والزيتون في جواره . دخل الدير الخاص وفير . وهو يجمع الحسنات من سائر انحاء سوريا والاناضول والجزر اليونانية . ولقاء ذلك يستقبل السياح والحجاج من كل الاجناس ويضيفهم مجاناً . واكثر ما يقدم لضيوفه الارز والخبز والزيتون . يكثر زائرو الدير لوقوعه على الطريق الكبيرة بين حماه وطرابلس وبين حمص

١ في اذار من العام ١٨١٢ زار بر كهاردت دير مار جرجس الحصن ، ولم يكن يسكنه في ذاك الحين سوى اربعة اشخاص هم : رئيس الدير ، وثلاثة رهبان . راجع رحلته في سوريا ، الصفحة ١٥٩ .

وطرطوس[1] . زاره بكنغهام في العام ١٨١٦ . فالفاه يضيق بالزوار الذين توافدوا اليه من الاقاليم المجاورة ، ومن دمشق وحلب ، يحجون ، ويحتفلون بعيد مار جرجس . وفي الوقت نفسه يقام معرض سنوي لمشترى وبيع سائر الاصناف ، برعاية القديس جاورجيوس[2] .

اخبر رئيس الدير بركهاردت ان الدير بني في الوقت نفسه الذي بني فيه الحصن[3] . واني لارتاب بوجود وثائق اقدم من ذلك او موثوق بها اكثر من قول رئيس الدير[4] .

١ رحلة بركهاردت في سوريا ، الصفحتين ١٥٩ و ١٦٠ .

٢ القبائل العربية ، لبكنغهام ، الصفحة ٥٠٤ .

٣ رحلة بركهاردت في سوريا ، الصفحة ١٦٠ .

٤ يظن ان الدير الكبير الذي ذكره الواقدي والذي يسميه Ockley دير ابيعل قدس Abi'l Kodos ، ليس سوى دير مار جرجس الحالي .
راجع تاريخ العرب لاوكلي ، طبعة بوهن ، المجلد الاول ، الصفحات ١٦٤–١٦٨ .
Ockley's, History of the Saracens, Bohn's edit. I. pp. 164-168.
Lord Lindsay's, Letters, 4th. edit. p. 347, and note page 436.
Ritter, XVII. p. 844.
يقول اوكلي ، نقلا عن الواقدي ، انه في عهد الخليفة عمر ، حوالى منتصف القرن السابع ، اقيم في الدير معرض عظيم . وفي الوقت نفسه حضرت ابنة والي طرابلس مع عريسها ، يصحبها حرس كبير ، ليتقبلا بركة الاكليل على يد كاهن محترم من الدير . فشن عليهم خمساية خيال عربي هجوماً . ولكن حرس العروسين شددوا الخناق على المهاجمين ، فارسل هؤلاء يطلبون النجدة من دمشق ، فوصلتهم في اليوم نفسه ، فاحتلوا الدير ، ونهبوا السلع المعروضة ، واسروا العروس . وقيل ان الدير كان قائماً بين طرابلس وحران Harran ، وهذا الموقع غير المحدود يوافق موقع مار جرجس كل

بين دير مار جرجس والنهر السبتي

فوار الدير . ينبوع متقطع . مدة انقطاعه وجريانه .
النهر السبتي .

تركنا الدير الساعة التاسعة والدقيقة العشرين ونزلنا في الوادي فكنا بعد عشرين دقيقة على الينبوع المتقطع المسمى فوّار الدير . والينبوع ينبجس من مغارة صغيرة ذات مدخل ضيق على سفح المنحدر الشمالي . الصخر هنا كلسي ، والينبوع الآن هادىء ، ولكنه كان يتفجر في اليوم السابق . فحصنا مجرى الماء في الوادي والقنوات التي تروي بساتين الدير ، فوجدنا ان الماء كان لوقت جد قريب يجري غزيراً فيها . دخلنا المغارة فاذا جدول صغير لا يزال يجري فيها ، ويخرج منها ليصب تحتها تماماً ، وسمعنا صوت ماء قليل ينحدر وراء الصخور . تنخفض ارض المغارة ثلاث اقدام او اربع عن مدخلها . اخبرنا الرهبان ، وسمعنا من الاهالي هنا ، ان الينبوع غير منتظم في تبجسه ، وتتوقف فترات انقطاعه على كثرة المطر او انحباسه مدة السنة فهو يجري احياناً ثلاث مرات او اربعاً في الاسبوع ، ويستمر جريانه في فصول كهذه ساعتين او ثلاثاً ، واحياناً ينقطع عشرين يوماً او ثلاثين عن الجريان ، ثم يعود الى الجري مدة اكثر من ذلك . ويدل مجرى الماء في

الموافقة .

ولكن عندما يقال ان النجدة وصلت من دمشق في اليوم نفسه ، فلا بد لنا من ان نفتش عن موقع الدير في مكان آخر ، او نعتبر الحادثة كلها اسطورة من الاساطير .

الوادي على غزارة النهر الذي يجري فيه ، وهـذا طبعاً يختلف باختلاف تقلب ينبوعه [١] .

سمع بركهاردت بهذا النبع في الدير ، ولكن يبدو انه لم ينتبه انه مر رأساً عليه [٢] . ومر بكنغهام ايضاً من هنا ، ولكنه لم يسمع بالينبوع [٣] . وفي العام ١٨٤٠ كان المستر تومسون هناك ، وهو اول من وصفه وذكر علاقته مع نبع يوسيفوس السبتي [٤] .

يقول يوسيفوس [٥] ان طيطس ، في طريقه من بيروت الى انطاكية ، رأى نهراً بين عرقا (اركويا Arcœa) الكائنة في مملكة اغريبا ، ورافانويا Raphanœa ، جديراً بالملاحظة ، وحرياً بتسجيل كيفية جريه . ومع انه كان نهراً غزيراً ويسرع في جريانه ، ولكن في وقت معين تشح الينابيع ، فيجف النهر وينقطع ستة ايام عن مجراه . ثم يعود الى جريه في اليوم السابع كأن لم يحدث شيء . وهكذا اعتبرت حالته هذه دائمة فسمي بالنهر السبتي . والارجح ان بلني يعني النهر نفسه ، ولكنه يعكس الترتيب فيجعله يجف يوم

١ لم ير بكنغهام مجرى الماء في الوادي الا في وقت جفافه ، فاستنتج من ذلك « اما ان يكون النبع الاساسي قد نضب ، او ان الميـاه تحولت من رأس الينبوع الى جهة اخرى . » راجع كتابه القبائل العربية ، الصفحتين ٥٠٥ و ٥٠٦ .

٢ رحلة بركهاردت في سوريا ، الصفحة ١٦٠ .

٣ بكنغهام في كتابه القبائل العربية ، الصفحة ٥٠٥ .

٤ W. M. Thomson in Silliman's Journal of Science, Second Ser. Vol. II. Nov. 1846, pp. 305-310.

٥ Jos. B. J. 7. 5. 1.

السبت اليهودي [1] .

رافانيا

موقعها . تاريخها . حصارها . استلامها . استبدال اسمها.
حصن مونتفيراندوس . بارين . حل الشرانق .

ان اركويا هي عرقا المشهورة التي وصلناها في اليوم التالي . اما رافانيا فيقول بعض المؤرخين القدماء انها تقع بين انتارادوس Antaradus والعاصي [2] ، ويذكرونها مع حماه وافاميا . وقد ظلت كرسي اسقف مسيحي حتى عهد جوستينيانوس Justinian [3] . كانت في عهد الصليبيين لا تزال موقعاً هاماً . وهي واقعة على

١ Plin. H. N. 31. 18. " In Judaea rivus Sabbatis omnibus siccatur."
يظن موفرز ان هذا الاسم لا يشير الى السبت اليهودي، بل بالحري الى اسم زحل في اللغة العبرية ، او على الاقل الى اسطورة فينيقية تتعلق به :
Die Phonizier, I. p. 666.

٢ Ptolem. 5. 15.
Hieroclis Synecd. p. 712 Wess.
Tab. Peut. Segm. X. ed. Scheyb.
Josephus likewise speaks of Raphanea as the station of a Roman legion. B. J. 7. 1. 3.
يقول يوسيفوس ان رافانيا كانت مقر «لجيون» من الجيش الروماني(اللجون كتيبة رومانية تتألف من ثلاثة الاف الى ستة الاف جندي . – المعرب) .
Comp. Cellarius. ll. p. 357.
Ritter, XVll. p. 940.

٣ Le Quien Oriens Christ. ll. 921.

الحد الشرقي لولاية طرابلس، في اقليم افاميا [1] . في العام ١١٢٦م. شرع بونتيوس Pontius ، كونت طرابلس ، في اخضاعها . فبنى حصناً على اكمة مجاورة . وبعد مدة قصيرة جاء الملك بولدوين الثاني لمساعدته ، فاستسلمت لقواتها المتحدة بعد ثمانية عشر يوماً [2] . وقد سمي الحصن الذي شيده مونسفيراندوس Monsferrandus ، وسمي ايضاً بارينوم Barinum ، وبالعربية بارين Bârin . وبلغ من عظم شأنه ان طوى صفحة رافانيا من التاريخ ونسخ ذكرها واصبحت تعرف ببارين ، كما طويت صفحة افاميا التي اصبحت تعرف بقلعة المضيق [3] . وهذا الحصن وهبه ملك اورشليم الى فرسان المستشفى [4] . وفي العام ١١٣٧ م. استسلم لزنكي المروع [5] .

١ Will. Tyr. 13. 19.

ويكتب وليم الصوري الاسم Rafanea .

٢ Will. Tyr. 13. 19. ib. 14. 25.
Wilken, II. p. 527.

٣ راجع الصفحة ٥٥٠ من المجلد الثالث للمؤلف .
تقع افاميا السورية على الاكام شرقي وادي العاصي التحتاني . وقد كانت مدينة هامة، وكرسي اسقف مسيحي ، وظلت معقلا حصيناً طيلة العصور الصليبية . ويتحدث عنها ابو الفداء باسم فاميه او افاميه . ولكن الاسم لم يلبث ان تنوسي في تلك الاقاليم وحل محله اسم قلعة حديثة بالقرب من موقع افاميا، هي قلعة المضيق . سمع نيبوهر بهذا التغيير عندما كان في حلب. وفي العام ١٨١٢ ظن بركهاردت ان القلعة هي موقع افاميه،ولكنه لم يشاهد خرائب. والمستر تومسون هو السباق لاكتشاف هذه الخرائب المتسعة الفسيحة، وقد اجاد في وصف عرصاتها العديدة وحناياها الفخمة في العام ١٨٤٦.وهذه الخرائب واقعة شرقي القلعة ، والى الشمال الشرقي منها ، على نحو ثلاثمائة قدم فوق وادي العاصي .

٤ Sabast. Pauli, Codice Diplomatico, I. p. 428.

٥ Wilken, II. pp. 645-652.

ويظهر انه استمر في حوزة المسلمين . وبعد قرن ، اي نحو العام ١٢٣٥ م. زحف فرسان المستشفى في حملة عسكرية من حصن الاكراد فنهبوا المدينة ودمروها جزئياً ، ولكنهم لم يتمكنوا من اخضاع الحصن[١] .

كانت بارين في ايام ابي الفداء بلدة صغيرة وحصنها خرباً . وهي على مسافة يوم الى الجنوب الغربي من حماه . وكانت خرائب رافانيا واركان الابنية لا تزال باقية فيها ومن حولها[٢] . في العام ١٨١٢ سافر بركهاردت من قلعة مصياد باتجاه بين الجنوب والجنوب الغربي الى الحصن ، فرأى ، في طريقه على بعد ساعة عن يساره ، حصن بارين الخرب على قمة سلسلة جبلية تشرف على السهل الشرقي[٣] . ويظهر ان المستر تومسون شاهد الحصن نفسه من الشرق في طريقه من حماه متجهاً الى الجنوب ، بجانب سفح الجبال الشرقي في العام ١٨٤٠ م.[٤]

وهكذا يظهر ان طيطس كان سائراً على الطريق الكبيرة التي كانت تمر على عرقا ورافانيا الى حماه ، وتهبط الى وادي العاصي ومنها الى انطاكية . وقد قادته هذه الطريق للمرور وسط

١ Wilken, VI. p. 557.

٢ Abulf. Tab. Syr. ed. Kohler, pp. 20. 107.
Comp. Schulten's Ind. Geogr. in Vit. Sal. art Barinum.

٣ راجع بركهاردت في كتابه سياحة في سوريا، الصفحتين ١٥٥ و١٥٧.

٤ راجع ما كتبه و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٨، الصفحة ٦٨٩.
قابل مع المشتري هرالد ، العام ١٨٤١ ، الصفحة ٣٦٥ .

الممر تحت الحصن ، واوصلته رأساً الى الينبوع المتقطع . فاذا اخذنا بعين الاعتبار كل هذه الخصائص الجوهرية ، فمن المرجح ان الينبوع باق الآن كما كان عليه قبلاً . فالجريان المنتظم او الهدوء يوم السبت ناشيء عن ايمان الجمهور او سذاجته . وهذه السذاجة لا تزال متسلطة عليه . وقد افاد المستر تومسون ان احد شيوخ النصيرية ، الذي يبعد حوالى العشرين ميلاً عن الينبوع ، اخبره ان النهر لا يزال يجري مرة واحدة في الاسبوع ، يوم الجمعة ، وهو يوم عطلة عند المسلمين ، السبت الاسلامي [1] .

شاهدنا على الينبوع عدة اشخاص يستظلون خيمة ، منهمكين بسحب الحرير من الشرانق ، ولفه على دولاب كبير يديره صبي . هذه هي طريقتهم الاولية الوطنية العادية .

Silliman's Journal, ib. p. 310.

بين الينبوع وعرقا

قرية شلوح . برج منفرد . تل الحوش . نبع العروس . كفر ويش . الحد الفاصل بين الحصن وصافيتا . قرية مسيده . قرية البرج المكسور . كفرسويد . ست العفريت . سميكة . نبع الشارة . القريه . مقام الولي الشيخ عياش . هيطلا . جورة برشا . شر احمرين . سرار . سعدين . جامع . جبل عكار . خربية الجندي . نهر الخربية . قرية الحيصا . نهر الحيصا . الشيخ محمد . القليعات . السموينة . حلبا . الشيخ طابا . الزواريب . منياره . جون عكار .

تركنا الينبوع الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والخمسين وبدأنا النزول في الوادي . الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة ، بدأنا نصعد المنحدر الجنوبي ، وخلفنا الوادي يواصل امتداده بين الشمال والغرب حتى السهل الكبير . اشرفنا من الحرف الجبلي العريض الذي وصلنا اليه ، فاذا امامنا منظر فسيح من الشاطيء حتى طرابلس ، ونحن بعد على ثلاث ساعات او اربع من البحر .

ان الحرف الجبلي الذي عبرناه منذ هنيهة يتاخم البقيع من الشمال الغربي ، وينخفض في الشرق (كما رأينا سابقاً) بانحدار شديد الى ذلك الوادي ، ولكنه في الجهة الغربية ينحدر تدريجاً ، وينخفض الى حروف جبلية وطيئة وآكام متموجة . والسهل الغربي ينخفض ستمابة او سبعمابة قدم عن سهل البقيع . اصبحت طريقنا الان باتجاه الجنوب الغربي فوق قمم حروف جبلية وطيئة ، تمتد غرباً ، بينها اودية قليلة الغور . الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين كانت

قرية شلوح على مسافة نصف ميل عن يسارنا . وبعد عشر دقائق رأينا برجاً منفرداً على اكمة عن يسارنا على بعد ميل منا .

عبرنا وادياً قليل العمق قرب مصبه ، وخرجنا منه الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة الى حرف جبلي ، ينتهي في غربيه بنتوء او تل وطيء تقوم عليه قرية اسمها تل الحوش . تحت هذه القرية الى الشمال ينبوع جد غزير وبركة . اسم الينبوع نبع العروس ، يخرج منه جدول خفيف يجري الى السهل ، ومن ثم يجري (كما رأينا بعدئذ) الى الجنوب الغربي ويصب في النهر الكبير . درنا صعداً حول جانب التل الغربي ، فخرجنا الى سهل مرتفع يمتد الى الجنوب ، على طرفيه الغربي والجنوبي الغربي سهل رسابي اقل ارتفاعاً منه ، يمتد الى النهر الكبير . والى غربي النهر الكبير باتجاه البحر اكام وطيئة ونتوءات . تابعنا اتجاهنا الجنوبي الغربي الى يمين صف الاكام . الساعة الحادية عشرة كانت قرية كفر ريش على نحو نصف ميل الى يميننا . وقد افادنا دليلنا انها تدل على الحد الفاصل بين حكومتي الحصن وصافيتا . الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين وصلنا الى جدول خفيف ، ومن هنا رأينا برج صافيتا الواقع شمالاً على خمس عشرة درجة غرباً ، على بعد نحو ثلاث ساعات .

الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين نزلنا الى سهل منخفض ، وهو من اغنى السهول التي رأيتها الى الان واخصبها . تربته من التراب الاسود الناعم الخصيب . الغلال الوافرة من القمح والدخن[1] والقطن تغطي السهل ، والعشب الاخضر لا يزال يملأ عدة بقاع فيه .

[1] الدُخن : حب صغير املس جداً كحب السمسم . واحدته دخنة . — المعرب .

الساعة الثانية عشرة ، كان الى يسارنا على بعد ميل جدول ، وقرية مسيدة[1] . وبعد خمس عشرة دقيقة كان الى يسارنا ، على مسافة ربع ميل ، جدول آخر ، وقرية البرج المكسور . وصلنا الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين الى جدول غزير في السهل يجري في قناة عميقة ، يزين ضفتيه الدفل وشجر الدردار . توقفنا ساعة نستظل بها ، فتناولنا طعام الظهر واستسلمنا للراحة . كان الدفل هنا وعلى ضفاف سائر الجداول في ابان إزهاره . في اذار من العام ١٨١٢ اجبر طمو النهر بركهاردت على المبيت ليلة في هذا المكان الذي نحن فيه الان وهو على مسافة ساعة وربع الساعة من الجسر الابيض[2] . عرض السهل في هذا القسم ، ميل ونصف الميل ، ومياهه تنزح باتجاه بين الجنوب والجنوب الغربي الى النهر الكبير . الى الغرب من هذا السهل ، باتجاه البحر ، سهل اكثر ارتفاعاً منه . على منحدر الاكام الى يسارنا على مسافة ميل ، قرية كفرسعريد . وعلى مسافة نصف ساعة بعدها في الاتجاه نفسه ، قرية ست العفريت كما قيل لنا ، على مرتفع بين الاكام ، ولكنها غير منظورة من هنا . لقد خرجنا الان من اقليم صافيتا ودخلنا في اقليم الشارة الواقع بين صافيتا وعكار .

تابعنا السير الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثين . وفي الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والخمسين كانت قرية سميكه على ميل ونصف الميل الى يسارنا . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة

١ قد تكون بيصيدا المدرجة في لوائحنا السابقة التي يسكنها تركمان . راجع : الطبعة الاولى ، المجلد الثالث ، الصفحة ١٨٢ من الملحق .

٢ راجع بركهاردت في كتابه سياحة في سوريا ، الصفحة ١٦١ .

كان الى يميننا ينبوع صغير رائق اسمه نبع الشاره . كان الحصاد على قدم وساق في هذه الحقول الشاسعة . وقد تكوم الحصيد بانتظار دراسه . شاهدنا البعض يحمّلون الجمال والحمير من تلك الاكداس . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة ، اتصلت طريقنا بالطريق الاتية من حمص ، مارة وسط البقيع ، ومنضمة الى الطريق الاتية من الجسر الاسود . بعد قليل تركنا السهل الرسابي ، وعبرنا بقعة متموجة ، فوصلنا الى النهر الكبير الخارج من الاكام ، وهو يجري بعض الوقت على موازاة طريقنا . تقع قرية العريضة على ضفة النهر اليسرى ، على نحو ساعة فوق الجسر . يكوّن الجسر الابيض زاوية مستقيمة مع الطريق على كلا الجانبين . عبرنا الجسر الابيض الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين بعد ان اجتزنا قافلة من الجمال توقفت طلباً للراحة . الجسر حديث يشبه طرفي سقف منحدر ، ويستند الى قنطرة عالية [1] . الطريق الى طرابلس تواصل السير بعض المسافة بجانب ضفة النهر اليسرى . هنا مقام الولي الشيخ عياش وخان كبير خرب على مسافة نصف ميل من الجسر .

يعرف الجسر الابيض باسم جسر الشيخ عياش والجسر الجديد . مجرى النهر عريض وعميق . ومع ان الماء فيه قليل في هذا الوقت فالادلة واضحة على جموح السيل في فصل الامطار وجريانه بقوة الى البحر . وقبل بناء الجسر [2] كانت القوافل مجبرة على التوقف

١ لم يوجد هنا في ايام بركهاردت سوى جسر مهدم . راجع كتابه ، ص ١٦١ .
٢ بركهاردت ، الصفحة ١٦١ .

على ضفة النهر بضعة اسابيع . والنهر الكبير هو الحد النهري الكبير الذي يفصل لبنان وفينيقيا عن الاقليم الابعد الى الشمال ، وهذا ينطبق تماماً على نهر اليوثيروس الذي يذكره القدماء ، والذي يقول عنه استرابو انه الحد الشمالي لفينيقيا وكوليسيريا (سوريا المجوفة [١]) .

كنا نسير حتى الان على الطريق الكبيرة الاتية من حماه الى طرابلس ، وقد انضمت اليها الطريق الاتية من حمص مارة وسط سهل البقيع ، بعد ان انضمت الى الطريق الاتية من الجسر الاسود كما ذكرنا سابقاً . تتبع سائر القرى ، التي رأيناها على الطريق ، قضاء الحصن . ولا يزال النهر الكبير ، كما كان عليه من قبل ، يفصل قضاء الحصن في الشمال عن قضاء العكار [٢] في الجنوب . يضم قضاء عكار القسم الشمالي من لبنان ويمتد الى البحر . والى جنوبي قضاء الحصن يقع قضاءا صافيتا والشاره .

١ Strabo, 16. 2. 12. p. 753.
Comp. Plin. H. N. 5. 17. "Tripolis... Orthosia, Eleutheros flumen."
The same Eleutherus is probably meant in I Macc, 12, 30.
Comp. Ritter, XVII. p. 819 sq.
يرتأي Movers ان الاسم الحالي « الكبير » قد يكون مشتقاً من كبيري cabiri الذي كانت عبادته مألوفة في فينيقيا . راجع :
Movers' die Phonizier, I. p. 666.
Comp. 651 sq.
ويبدو ان هذا الرأي مما يؤخذ به لان لقب « الكبير » جد ملائم له .
ويقول بلني ان النهر اليوثيروس يمتلىء بالسلاحف في فصل معين من السنة . راجع :
Plin. H. N. 9. 12.

٢ هكذا في الاصل . – المعرب .

عزمنا على متابعة السير الى قرية هيطلا ، ومنها قد نجد طريقاً تؤدي بنا الى الجبل كما قيل لنا . واصلنا السير على طريق طرابلس حتى الساعة الثالثة ، ثم تحولنا جنوباً على الطريق المباشرة الى الشيخ محمد . كانت جورة برشا الان على بعد عشرين دقيقة الى يسارنا . وصلنا حالاً الى مفترق الطرق ، فتحولنا نحو اليسار ، باتجاه بين الجنوب والجنوب الشرقي ، الى هيطلا حتى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة ، ثم تحولنا جنوباً . الساعة الثالثة والدقيقة العشرين كانت قرية شر احمرين الى يسارنا ، والساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين قرية سراو ايضاً . والقريتان تقعان على الاكام بين قريتي جورة برشا وهيطلا ، وتبعدان نحو عشرين دقيقة عن طريقنا . نزلنا في منحدر الى سهل ضيق ، فكانت قرية هيطلا امامنا على المنحدر المقابل . وصلنا الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين الى بيدر في السهل حيث الكثيرون من القرية يشتغلون ، وقد اكد لنا الجميع عدم وجود طريق من القرية الى الجبل . فلم يكن لنا بد من مواصلة السير الى الشيخ محمد . تقع هيطلا على نحو عشرين دقيقة من هنا باتجاه بين الجنوب والجنوب الشرقي .

تحولنا الى الجنوب الغربي وسط السهل الضيق وفي الحقول ، على غير هدى ، حتى وصلنا الى الطريق التي تسير من هيطلا الى الشيخ محمد . الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة كانت قرية سعدين الى يميننا على اكمة تبعد ميلاً . وبعد عشر دقائق كانت قرية جامع الى يسارنا على مسافة نصف ميل . هنا وصلنا الى الطريق المباشرة التي تؤدي من الجسر الى الشيخ محمد وكنا صدفنا عنها قبلاً . اتجاهنا الان بين الجنوب والجنوب الغربي . الساعة الرابعة والدقيقة

الخامسة والاربعين كان تل عباس عن يميننا ، وهو رابية في السهل على بعد نصف ميل ، عليه خرائب كما تبين لنا . تسير الطريق ، كما يظهر ، من النهر الكبير جنوباً مع سفح الاكام ، او بالحري النتوءات الجبلية التي تسمى هنا جبل عكار . ويقع السهل الكبير عن يمين هذه النتوءات .

الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والخمسين وصلنا الى نهر عكار الذي ينبع من شعب في الاكام الى يسارنا ، وينعطف هنا الى الشمال ، وقد سحبت منه ترعة الى الشمال لاجل الري . تابعت طريقنا صعداً الضفة اليسرى قليلاً ، فوصلنا الى سد صغير في النهر اعد لتحويل المياه الى الترعة . هنا ايضاً مؤسسة لسلخ الحرير عن الشرانق ، ولكن الدولاب يدار بواسطة الماء . وهذا الدولاب مصنوع من الواح خشبية بدون حاشية ، على طريقة اولية . تقع قرية خربة الجندي ، وقلعة قديمة في فم الشعب ، على نحو ميل الى يسار طريقنا ، على ضفة النهر اليسرى ، ومنها سمي النهر هنا نهر الخربية ، ويسمى نهر الحيصا ايضاً من قرية بهذا الاسم ابعد قليلاً الى الغرب[1] . وقد قيل لنا ان هذا النهر يروي الحقول والبساتين حول عكار على مسافة خمس ساعات او ست في الجبال[2] .

تابعنا طريقنا كالسابق بجانب سفح الاكام ، فوصلنا الساعة

١ تقع قرية الحيصا على بعد ساعة على الطريق المباشرة من الجسر الابيض الى طرابلس . راجع رسالة الدكتور دي فورست الى الارسالية .

٢ في العام ١٨٤٦ زار المستر تومسون مدينة عكار المهدمة . ووصفها في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحات ١٩–٢١ .
وينبع نهر عكار من جوار المدينة ، ويجري اولا وسط مضيق قفري .

الخـــامسة والدقيقة الثلاثين الى قرية الشيخ محمد الكبيرة الواقعة جنوبي الشعب الصغير على اكمة او صعيد . ضربنا خيمتنا في الشعب تحت القرية ، على ينبوع صغير رائق اذ لا داع لصعودنا الى القرية. ها البحر امامنا على بعد اربعة اميال او خمسة . تقع القليعات في السهل امامنا . موقعها من خيمتنا شمالاً خمسين درجة غرباً . وهي بناء مربع له ابراج على الزوايا ، على بعد نصف ساعة او اكثر من البحر كما يظهر . وتبعد القليعـات [1] ساعتين شمـالي نهر البارد . وتقع قرية السموينة شمالاً سبعين درجة غرباً على نحو ساعة منا .

اما بيوت سائر القرى التي مررنا بالقرب منهـا اليوم فمبنية بالحجارة البركانية السوداء ، وهي تدل على طبيعة الاقليم . ولكن من هذه النقطة الى الجنوب تبدأ الحجارة الكلسية . على جـانب الطريق ، بين البساتين تحت خيمتنا ، شجرة دفل بيضاء جد جميلة في ابان إزهارها . وقد رأينا شجرة اصغر منها في فناء بيت القنصل الانكليزي في دمشق ، تحرص زوجته جد الحرص عليها ، اذ يندر وجودها ويصعب الحصول عليها . ولكن ازهار الشجرة التي شاهدناها هنا الطف منها واوفر غزارة ولا تضاهيها ازهار اخرى .

الخميس ١٥ حزيران . — لقد خاب املنا في الذهاب من الحصن رأساً بطريق شمالي لبنان الى الارز . لم نتمكن من الاهتــداء الى

[1] ذكر ابو الفداء القليعات مع حلبا وعرقا بين المدن التي افتتحها بيبرس بالقرب من طرابلس ، في العام ١٢٠٦ م. راجع :
Annales, ed. Reiske, V. p. 17.
Comp. Tab. Syr. p. 204.
Wilken de Bellor. cruc. Hist. p. 223.

طريق ، ولم يرشدنا احد . وقد ايد ما قاله لنا الرهبان عن الطريق كلُّ من سألنا في سفرنا . ان الطريق الوحيدة المعروفة الى الارز هي التي تسير عن طريق طرابلس .

كان بامكاننا الذهاب من الشيخ محمد الى عكار بطريق جبرايل ، وهي الطريق التي سار عليها المستر تومسون . ولكن اضطرارنا للوصول الى بيروت ، يوم السبت القادم ، ارغمنا على العدول عن فكرة السفر بطريق عكار الى الارز ، لان هذه المرحلة تستغرق ثلاثة ايام بينما الذهاب بطريق طرابلس لا يستغرق اكثر من يوم ونصف . وهكذا قررنا متابعة السير بجانب سفح الجبل نحو طريق طرابلس – الارز ، على ان نبتعد بقدر الامكان عن طرابلس نفسها ونختصر المسافة . ولكننا ندمنا على تسرعنا في اختيار هذه الطريق ، وعدولنا عن طريق عكار – الارز ، وتبين لنا اننا لم نختصر من المسافة الا القليل في ابتعادنا عن طرابلس .

تركنا مخيمنا تحت الشيخ محمد الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين ، وتابعنا السير الى الجنوب الغربي على سفح الاكام التي تنقوس قليلاً الى الداخل ، بين هذه النقطة وتل عرقا ، فتظهر بشكل مدرّج عن يسارنا . تقوم على هذه الاكام اربع قرى مررنا عليها وسجلنا المسافات بينها عند مرورنا عليها كما يلي: حلبا: وصلناها الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، المسافة ربع ميل [١] . الشيخ طابا: وصلناها الساعة السادسة والدقيقة الخامسة

١ ذكر حلبا ابو الفداء. راجع الصفحة ٥٧٧ من المجلد الثالث للمؤلف، المصدر الثالث .

والاربعين ، المسافة نصف ميل . الزواريب: وصلناها الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين ، المسافة ثلاثة اثمان الميل . منيـــاره : وصلناها الساعة السابعة والدقيقة الخامسة ، المسافة ثلاثة ارباع الميل . اما السهل الذي عن يميننا فيقع حول الخليج الكبير شمالي طرابلس ويطلق عليه اسم جون عكار[1] .

عرقا

موقع عرقا القديمة . خرائب المدينة . سطح التـــل .
مساحته . نهر عرقا . موقع عرقا الحالي . الخاكورة .
كرم عصفور .

الساعة السابعة والدقيقة العشرين وصلنـا موقع عرقا وتلها المرتفع . اما خرائب المدينة السابقة فجد قليلة . تقع البلدة تحت التل ، اكثرها الى الشمال ، على صعيـــد او مدرج يشرف على السهل والبحر . اما اكوام الردم الموجودة هنـــا في الاونة الحاضرة فاكثرها من الحجارة العادية ، مما يبعث على الاستنتاج ان البيوت العادية القديمة والبيوت الحاضرة بنيت من هذه المواد . عثرنا ، بين الاكوام في نقاط مختلفة ، على قطع عدة اعمـدة من الغرانيت . التل شديد الانحدار ويربو ارتفاعه على مئة قـدم .

[1] يمتد هذا السهل الكبير شمالا على طول الساحل ، الى مـا وراء نهر الابرص ، حتى قبالة برج صافيتا . راجع المصدرين اعلاه .
Pococke, II. i. p. 204.
تومسون في المشتري هرالد ، العام ١٨٤١ ، الصفحة ٩٨ .

سطحه باحة مستوية مساحتها فدانان او ثلاثة[1] ، وهي مفلوحة ومزروعة . في الجهتين الشرقية والجنوبية الغربية ، وربما في غيرهما ، آثار سور ، وقطعة من عمود نفيس من الغرانيت ، وحوض كبير ، وعميق ، مقدود في الصخر . لم نلاحظ شيئاً آخر على قمة التل سوى اكوام من الحجارة العادية كالتي شاهدناها عند اسفله . يجري نهر عرقا عند اسفل التل الجنوبي ، وهو ينبجس من الجبال فوقه ، ويندفع في اخدوده الصخري العميق الى البحر . اما جانب التل فوق النهر ، فقسم منه حالق منحدر . وقد احصى المستر تومسون على سفحه اربعة وستين عموداً يظهر انها القيت من علٍ لان اكثرها محطم . ثلث هذه الاعمدة تقريباً من الحجر السيناوي الاحمر ، والباقي من الغرانيت السنجابي[2] .

تقوم قرية عرقا الحالية شرقي التل . وتقع قرية الحاكورة على ضفة النهر اليسرى ابعد منها الى فوق . وابعد من الحاكورة الى فوق ، تقع قرية كرم عصفور على ضفة النهر اليمنى . تدور الطريق حول الناحية الغربية من التل وتنزل الى جسر عبر هوة النهر الصخرية الضيقة . هنا مطحنة وقناتها المقدودة وسط صخر عال على شكل نفق قصير ، ربما كانت من الاعمال القديمة . اما المشهد من التل فاخاذ . فالبحر من الامام ، والسهل من الشمال ، ومرتفعات لبنان المكللة بالثلج من الوراء . يبعد التل ساعة

١ الفدان الانكليزي مساحته ٤٣٥٦٠ قدماً مربعة . — المعرب .

٢ راجع ما كتبه المستر و.م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ١٥ .

ونصف الساعة او ساعتين عن البحر[1] .

تاريخ عرقا

موطن العرقيين . نفوذ عرقا . هيكل الاسكندر . العيد السنوي . مولد الكسندروس سفيروس وتسميته. حصار عرقا . الحربة المقدسة . رؤيا الراهب بيتر بارثولوميو . مشيه وسط النار . حماسة الجماهير . وفاته . استلام عرقا . تدميرها . خرابها المطلق .

يظهر ان عرقا مدينة فينيقية عريقة في القدم ، كانت موطن العرقيين الذين ورد ذكرهم في اقدم تاريخ لكنعان[2] . ظلت عرقا في زوايا النسيان حتى التاريخ المسيحي عندما جاء بلني وبطليموس على ذكر اسمها فحسب[3] . ويقول يوسيفوس ان اركا

١ المواقع من تل عرقا : الشيخ محمد شمالا ٤٠ درجة شرقاً . القليعات في السهل شمالا ٣٠ درجة غرباً . عرقا ، القرية شرقاً ، المسافة ربع ميل . كرم عصفور ، بين الشرق والجنوب الشرقي ، المسافة ميل ونصف الميل . الحاكورة جنوباً بشرق ، المسافة ميل واحد . دير دلوم الى الجنوب الغربي بجنوب .

٢ سفر التكوين ، الاصحاح العاشر ، العدد السابع عشر .
سفر الايام الاول ، الاصحاح الاول ، العدد الخامس عشر .
Comp· Joseph. Antt. I. 6. 2.
ويذكر يوسيفوس مدينة اخرى واقعة في القسم الذي اقطع لاشير . راجع:
Joseph. Antt. 5. 1. 22.

٣ Plin. H. N. 5. 16.
Ptol. Geogr. 5. 14.

Arca واقعة على الطريق التي سلكها طيطس من بيروت س الى رافانيا وانطاكية بطريق النهر السبتي [١] . ويضيف على قوله هذا ان اركا كانت تابعة مملكة اغريبا . وهذا الرأي لا يمكني تفسيره او تعليله ، الا اذا افترضنا وجود علاقات سياسية بين عرقا وربما ابيلا التي كانت تابعة مملكة اغريبا [٢] . ويأتي بلني على ذكر عرقا وابيلا معاً ، مع ان المسافة التي تفصل الواحدة عن الاخرى شاسعة [٣] . لا تزال نقود عرقا باقية الى الان ، وتدل على انها كانت تدعى قيصرية لبنان ، منذ عهد فاسبازيان Vespasian [٤] .

١ Joseph. B. J. 7. 5. 1

راجع الصفحة ٥٧٢ من المجلد الثالث للمؤلف .

Antt. 1. 6. 2.

Hierocles and Steph. Byzant.

٢ كان اغريبا في بادىء الامر يستولي على كلسيس . راجع :

Jos. Antt. 19. 9. 1. 2.

Ib. 20. 5. 2.

ثم في العام ٥٢ م. اعطي الولايات التي كان ابوه مستولياً عليها في بادىء الامر ، ثم ضمت مدن اخرى الى مملكته . راجع :

Antt. 20. 7. 1. ib. 20. 8. 4.

ولكنه لم يكن يملك اي اقليم بالقرب من الطرف الشمالي من لبنان ، ولم يكن له اي علاقة طوبوغرافية بعرقا .

٣ Plin. H. N. 5. 16.

٤ Caesaraea Libani, Eckhel Doctr. Nummor. III. p .360.

Mionnet Med. III. p. 683.

Gesen. Notes to Buckhardt, I. p. 520 sq.

Comp. Aur. Victor de Caes. 24. " cui duplex, Caesaraea et Arca, nomen est"

ويذكر مؤرخ روماني متأخر هيكلاً في عرقا كرّس للاسكندر الكبير، كان يقام فيه عيد سنوي لتكريمه. كان الهيكل على الارجح قائماً على التل، وهذا ما يفسر وجود الاعمدة الملقاة الان على سفحه الجنوبي. في هذا الهيكل ولد الامبراطور الكسندر سيفيروس، يوم عيد الاسكندر، وبهذه المناسبة سمي باسمه[1]. كانت عرقا ايضاً كرسي اسقف مسيحي. في عهد مبكر من القرن الخامس جعل ثيودوسيوس الاصغر Theodosius من بيروت عاصمة اكليريكية لولاية جديدة، يمتد سلطانها على بيبلوس (جبيل) وبوتريس[2] Botrys، وطرابلس، وارثوذيا، وعرقا، وانتارادوس. وظل تعيين اساقفة عرقا مستمراً الى نهاية ذلك القرن[3].

في بدء الحروب الصليبية كانت عرقا لا تزال حصناً منيعاً وموقعاً هاماً. في العام ١٠٩٩ م. زحفت اول حملة صليبية بقيادة

١ AEl. Lamprid Alexand. c. l. "Aurelius Alexander urbe Arcena genitus."
Ibid. c. 5. "Alexandri nomen accipit, quod in templo dicato apud Arcenam urbem Alexandro Magno natus esset; quum casu illuc die festo Alexandri pater cum uxore, patriae solemnitatis implendae causa, venisset."
Accroding to Macrobius Sat. 1. 21. a Venus Architis was worshipped by the Assyrians; but the name in Assyria could have no reference to ʻAraka,
يقول ماكروبيوس ان الاشوريين كانوا يعبدون الاهة باسم فينوس ارشيتيس، ولكن هذا الاسم في بلاد الاشوريين لا يمكن ان يكون له علاقة بعرقا.

٢ البترون اليوم. — المعرب.

٣ Le Quien Oriens Christ. II. 815. 823.

الكونت ريموند التولوزي Raimund of Toulouse من انطاكية ، وصعدت في وادي نهر العاصي الى حمص ، ومنهـــا الى الساحل بطريق الحصن ، فحاصرت عرقا ، ولم يكن النجاح حليفها ، لان مناعة الحصن قاومت كل ما بذلته الحملة من جهود للاستيلاء عليها[1].

وفي الوقت الذي كانت الجيوش ضاربة خيامها هنا ، قـام النزاع المشهور على الحربة المقدسة التي قيل انها الحربة التي ُطعن بهـا جنب المخلص[2]. اما القصة فهي ان راهباً اسمه بيــتر بارتولوميو Peter Bartholomew حلم ان هذه الحربة المقدسة موجودة في انطاكية ، وقد اؤتمن عليها الكونت ريموند[3]. ولكن حـــامت الشكوك حول حقيقة هذه الحربة وانتشرت كثيراً بين الجماهير ، فاقترح بيتر ان يعرّض نفسه لامتحان النار الصارم باسمها ، وذلك بان يقبض عليها بيديه ويمشي وسط النار . وهكذا كان . سار بيتر وسط النار والحربة في قبضة يده ، وخرج منهـــا ولم يصب باذى او اوذي قليلاً . ولكن الشعب المتوقد احتراماً لبيتر هجم عليه ومزق ثيابه ليحتفظ بها ذخائر مقدسة . فاصيب بيتر بجراح من جراء ذلك ، وتوفي متأثراً منها بعد اثني عشر يومـــاً . ولكن ،

١ Wilken Gesch. der Kr. I. pp. 253. 255.
Raimund d'Agiles, who was present, writes the name Archados, and says of the place: " castrum munitissimum et inexpugnabile viribus humanis."
Gesta Dei per Fr. p. 163.

٢ السيد المسيح . — المعرب .

٣ Raim. d'Ag. pp. 150-152.
Wilken, I. p. 214 sq.

هل كانت وفاته من تأثير الجراح التي سببتها النار ، او التي اصابته بها الجماهير، فهذا ما لم يقطع به احد[1] . اما النتيجة فكانت غير مستحبة ولم تعزز الثقة بالحربة المقدسة . بعد ان حاصر الكونت ريموند عرقا شهرين ونيفاً ، اضطرته رغبة القواد والجيوش الملحة للاسراع في الزحف الى المدينة المقدسة ، فنزل مكرهاً على الحاحهم وتخلى عن الحصار[2] .

استلمت عرقا الى الكونت وليم السرداني . William of Cerdagne العام ١١٠٨ م.[3] ولكن زنكي استولى عليها عنوة ودمرها العام ١١٣٨ م.[4] ولم يعرف الزمن الذي استرجعها الفرنجة ثانية. ففي العام ١٢٠٢ م. ترك الزلزال عرقا وطرابلس خراباً بلقعاً[5]. في العام ١٢٦٦ م. استولى بيبرس العنيف على الاقليم المحيط بطرابلس ومنه عرقا التي كانت سلطتها تمتد الى ست وخمسين قرية[6] . وقد

١ Raim. d'Ag. pp. 168-171.
Will. Tyr. 7. 18.
Wilken, ib. pp. 260-264.

٢ Will. Tyr. 7. 20. 21.
Wilken, I. p. 265 sq.

٣ Albert. Aq. II. 1.
Wilken, II. p. 202.

٤ De Guignes, Hist. des Huns. II. p. 474. Germ.
Wilken, II. p. 673.

٥ Wilken, VI. p. 7.

٦ Abulf. Annal. ed. Reiske, V. p. 17.
Wilken de Bellor, cruc. Hist. p. 223.
De Guignes, Hist. des Huns, IV. pp. 157. 158.

حدث هذا قبل استسلام الحصن ببضع سنين [١] .

يصف الادريسي عرقا في القرن الثاني عشر ، فيقول انها مدينة تزدحم بالسكان ، تجارتها متسعة ، وهي مبنية على سفح اكمة ، وفيها حصن شامخ ، وضواحيها متسعة ومكتظة بالسكان ايضاً . وكانت المياه تأتيها في ترع من النهر الذي يجاورها ، فتدير الطواحين وتروي العديد من الكروم ومزروعات قصب السكر [٢] .

ويتحدث ابو الفداء عن عرقا في اوائل القرن الرابع عشر فيقول انها موقع صغير ، وفيها حصن ضعيف ، وكانت وقتئذ ابعد نقطة في باشوية دمشق [٣] . اما متى اصبح الحصن والمدينة في حالة الخراب المطلق ، وكيف غمرها الدمار بامواجه ، فقد غابت عنا معرفته ، لان التاريخ لم يذكر شيئاً عنه . وكذلك لا ندري كيف نعلل اختفاء حجارتها . قد تكون الحجارة الكبيرة التي هي ذات قيمة نقلت الى طرابلس واستعملت في بناء المدينة وقلاعها . وتتناقل الجماهير حديثاً قديماً مآله ان عرقا ظلت عدة اجيال مقلعاً لطرابلس [٤] .

١ يعني المؤلف، بالحصن ، حصن الاكراد . — المعرب.

٢ Edrisi par Jaubert, 1. p. 357.

ان وصف الادريسي هذا يناقض الفكرة التي يقول بها شو Shaw وهي ان المدينة كانت تموّن بالماء بواسطة قناة من الجبل . ويتحدث شو عن قنطرة هذه القناة فيقول ان قطرها مائة قدم. وربما استند في قصته هذه على اسطورة متداولة بين الجمهور . راجع رحلات شو ، طبعة لندن، العام ١٧٥٧ ، الصفحة ٢٧٠ .

وراجع ما كتبه و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة، العام ١٨٤٨ ، ص ١٦ .

٣ Tab. Syr. ed. Kohler, p. 113.

٤ راجع ما كتبه و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ١٥ .

كان الدكتور شو Dr. Shaw اول من زار عرقا من السياح العصريين . فقد زارها في العام ١٧٢٢ ولفت اليها الانظار[١] . ومر بوكوك من هنا نحو العام ١٧٣٨ ، وهو يذكر فيما يذكره نهر عرقا ، ويظن ان المدينة كانت تقوم عليه . ويظهر من كلامه عنها انه لم يعرف شيئاً عن موقعها اكثر من ذلك[٢] . ويبدو انه لم يسمع بعرقا اي سائح غيرهما حتى زارها بركهاردت ، وقد سرنا على الطريق التي سلكها قبلنا ، ولكن حديثه عنها جد مختصر[٣] . في العام ١٨٤٦ زارها المستر تومسون وافاض في وصفها[٤] .

١ راجع رحلات شو ، طبعة لندن، العام ١٧٥٧ ، الصفحة ٢٧٠ .

٢ Pococke, II. i. p. 205.

٣ راجع رحلة بركهاردت ، الصفحة ١٦٢ .

لم يسمع بركهاردت من اسماء انهر عكار سوى نهر خريبه ، ويسمي نهر عرقا Nahr 'Arka وادي عكا Wadi 'Akka .

٤ راجع ما كتبه المستر تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحات ١٥ - ١٧ .

بين عرقا وينابيع عيون عشاش

الانهر الخمسة والمسافات التي تفصلها عن طرابلس . قرية
دير دلوم . وادي وقرية برقايل . وادي الجاموس .
بدنين . النبع المسحور . دير حالا . قرية تربل . كفريا .
قرية وينبوع عين عدوه . وادي حالان . قرية حالان .
ينابيع عيون عشاش . قرية عيون عشاش .

اما الانهر الخمسة الكبيرة التي تجري وسط السهل وتصب في البحر شمالي طرابلس ، فقد ذكر بوكوك ترتيبها وبعدها بدقة تامة[١]. فالاول نهر البارد وهو يبعد ساعتين وربع الساعة عن طرابلس . يقوم شمالي نهر البارد هذا ، خان ، وفوقه خرائب مدينة رحبة[٢] . وربما كانت هذه الخرائب ما تركته ايدي الدمار من اورثوذيا Orthosia التي لا يعين علماء الجغرافيا موقعها بالضبط ، ولكنها كانت تقع بين طرابلس وعرقا كما يظهر[٣].

١ Pococke, Vol. II. i. pp. 204. 205.

٢ W. M. Thomson, ib. p. 14.

٣ اما اسماء المدن الست التي خصصت لرئاسة اسقفية بيروت الجديدة التي أسست في عهد ثيودوسيوس Theodosius الاصغر ، فهي على الترتيب الآتي ابتداء من الجنوب : بيبلوس Byblus ، بوتريس Botris (البترون الحالية . - المعرب) ، تريبوليس Tripolis ، اورثوذيا Orthosia ، اركا Arka ، انتارادوس Antaradus . راجع : Le Quien Oriens Christ. II. 815. وراجع الصفحة ٥٨٠ من المجلد الثالث للمؤلف .

النهر الثاني هو نهر عرقا ، على بعد لا يتجاوز الساعة وراء نهر البارد .

النهر الثالث الذي يأتي بعده هو نهر عكار ، على بعد ساعة ونصف .

النهر الرابع هو النهر الكبير على مسافة ساعة .

النهر الخامس هو النهر الابرص على بعد ساعة ايضاً [1] .

الساعة الثامنة خلفنا جسر عرقا وراءنا ، وصعدنا الضفة المنحدرة العالية الى السهل الذي وراءه . وقد ظلت الطريق تسير بجانب السهل المتاخم للاكام . الساعة الثامنة والدقيقة العشرين كانت قرية دير دلوم على اكمة الى يسارنا على بعد نصف ميل . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين وصلنا الى مفترق الطرق . ان الطريق التي تسير الى اليمين تؤدي رأساً الى طرابلس . سرنا على الطريق اليسرى كي نعبر البقعة الاكثر ارتفاعاً الواقعة شرقي جبل تربل ، اي بينه وبين لبنان . موقع تل عرقا من مفترق الطرق بين الشرق والشمال الشرقي . يقع وادي برقايل الصغير والجدول الجاري فيه وراء المفرق تماماً . وقد سمي الوادي باسم القرية القائمة على بعد نصف ساعة في اعلى حافته ، ولكنها غير منظورة من هنا . برقايل هذه هي مركز حكومة القضاء . الساعة التاسعة كان امامنا واد آخر هو وادي الجاموس ، يجري فيه جدول اصغر

١ واجع ما كتبه و. م. تومسون في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة ١٤ . وراجع ايضا ما كتبه في الشتري هرالد ، العام ١٨٤١ ، الصفحة ٩٧ . وقد اخطأ موندريل في وضعه النهر الابرص جنوبي النهر الكبير . راجع جريدته اليومية ، الثامن من اذار .

من ذاك الجاري في وادي برقايل . انقطعتُ عن تدوين اسماء هذه الجداول لكثرتها ، وهي تجري من الآكام وتروي السهل . الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة كانت قرية بدنين قريبة جداً الى يسارنا . الطريق التي نسير عليها الان تؤدي الى طرابلس ايضاً . تركناها الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين واتجهنا جنوباً ، عشر درجات غرباً ، على تخوم الاكام . الساعة التاسعة والدقيقة الاربعين وصلنا حافة وادي النهر البارد العميق ، فهبطناه وعبرنا النهر الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين . كان المجرى عميقاً يندفع بسرعة زائدة على ارض صلبة ، فكاد يجرف حمار دليلنا الصغير ، ولكنه نجا من خطر الغرق ، وخرج من الماء اكثر شبهاً بالجرذ الغريق . يتكاثر شجر الدفل على ضفتي النهر . يقال ان النهر يغزر في هذا الفصل من السنة اكثر منه في سائر الفصول . وهو الان ضعفا النهر الكبير في غزارة مياهه . ويقال انه ينبع من سفح اعلى حرف في لبنان فوق قرية سو الكبيرة . هنا ينبوع غزير اسمه نبع المسحور ، يمده ذوبان الثلوج بالماء ، وهو جد غزير في الربيع واوائل الصيف . ادعى دليلنا ان بامكانه ان يرى النهر المزبد حال خروجه من الينبوع ، وهو يقدر ان يدلنا عليه . بعد ان تجري مياه هذا الينبوع الى نهر البارد ، تزداد مياه هذا النهر الى ضعفي ما تكون عليه في اواخر الصيف والشتاء . ونهر البارد هذا هو حدٌ لقضاء عكار الجنوبي[1].

[1] يعتبر شو خطأً ان نهر البارد هو نهر البوثيروس القديم . راجع رحلاته، الصفحة ٢٧١ .

بعد ان عبرنا النهر تحولنا قليلاً الى الضفة اليسرى وصعدنا تدريجاً الى اعلاها . الساعة العاشرة والدقيقة العشرين كانت قربة درحالا قبالتنا على ضفة النهر اليمنى . الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين خرجنا من الوادي الى صعيد او سهل اكثر ارتفاعاً يقع بين جبل تربل عن اليمين ولبنان عن الشمال . والسهل غير مطمئن ومتموج نوعاً ما ، ولكنه عموماً جد محروث . اصبح اتجاهنا الان الى الجنوب تقريباً . يقع جبل تربل بين لبنان والبحر ، ويمتد حرف آخر جنوبي طرابلس[1] ، وهو يشبهه ، لكنه اكثر انخفاضاً منه . يقع بين هذا الحرف ولبنان ، السهل الطويل الاكثر انخفاضاً ، وهو السهل الذي ندخل اليه الان . وهو يمتد كثيراً الى الجنوب ، ويقطعه نهر قاديشا قرب زغرتا . اما عرضه عموماً فهو بين ساعة ونصف وساعتين .

الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ، كنا نرى قرية تربل ، في الجنوب الغربي تقريباً ، قائمة على الطرف الشمال الشرقي من قمة جبل تربل العالية التي بدت لنا على بعد يقل عن الساعتين . اما جبل تربل فقد سمي باسم القرية هذه . وقيل لنا ان كفريا تقع في الاتجاه نفسه على سفح جبل تربل ، على نحو ساعتين ، ولكنها غير منظورة من طريقنا . الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين

١ يظهر ان جبل تربل هو مونس ليوبردورم Mons Leopardorum : ليوبرد مونتن Leopard Mountain (جبل النمير . — المعرب .) كما سمي في العصور التي اعقبت الحروب الصليبية . راجع :
Brocardus, c. 2. p. 171.
De la Roque, ll. p. 6.

كان امامنا ينبوع ، هو ينبوع عين عدوه بالقرب من قرية عدوه الواقعة على مسافة قصيرة الى الجنوب الغربي منه . تابعت طريقنا فوق البقعة المرتفعة التي تشغل مقلب المـاء بين نهر البارد ونهر قاديشا . الى يسارنا ، بجانب سفح الجبل الشرقي ، انخفاض او سهل اكثر انخفاضاً من سواه ، خصب ، جيّدة حراثته . يمتد من القسم الشمالي منه واد صغير يجري الى الشمال الغربي ويصب في نهر البارد . ويمتد من القسم الجنوبي منه واد كبير يجري الى الجنوب الغربي ويصب في رافد من روافد قاديشا . الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين وصلنا الى حاجب هذا الوادي الكبير وهو وادي حالان العميق الجاري الى الجنوب الغربي . هبطنا عرضاً فوصلنا بطنه الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين . الساعة الثانية عشرة كانت قرية حالان فوقنا على الضفة اليمنى . ينفرج الوادي تدريجاً عن سهل منخفض . توقفنا الساعة الثانية عشرة والدقيقة العاشرة على ينابيع عيون عشاش لتناول طعام الظهر تحت اشجار الدلب . تقع قرية عيون عشاش على بضع دقائق الى الجنوب الغربي .

بين ينابيع عيون عشاش وعين حيرونا

قرية اردة . زغرتا . كفرحاتا . وادي الخالدية . وادي جعيت . كفرياشيت . عرجس . بنشعين . داريا . دير مار يعقوب . كرم سدة . مطران بولس . سبعل . ايطو . مزيارة . حميص . وادي حيرونا .

استأنفنا السير الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين ، فاذا بنا على طريق كبيرة تؤدي الى طرابلس ، وتسير بعد قليل باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي . نحن الان على منبسط مطلق بمستوى قاديشا ، والى يسارنا احد روافده . الساعة الثانية كانت قرية ارده الى يسارنا على نحو اربعين ردآ ، على تل وطيء ، ومن ورائها رياض نهر رشعين . هنا ايضاً تحولنا عن طريق طرابلس كي نعبر رأساً الى زغرتا . الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين وصلنا نهر رشعين وعبرناه ، وهو الرافد الشمالي الكبير لنهر قاديشا ، يجري متعوجاً من الشمال الشرقي حيث ينبع من الجبل . الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين صعدنا الى قرية زغرتا الواقعة في منبسط على ضفته الجنوبية . ها نحن هنا على مسافة ساعة ونصف الساعة من طرابلس فحسب ، بعد كل ما بذلناه من الجهود .

زغرتا

زغرتا قرية كبيرة ، واقعة على الطريق الكبيرة بين طرابلس واهدن والارز . في زغرتا ســاحة عمومية فسيحة مطلقة ، وبعض

البيوت الحسنة . والكثيرون من سكان اهدن يملكون بيوتاً وبساتين في زغرتا ، يصرفون فيها اشهر الشتاء . وهذه البيوت مقفلة الان .

استئناف السير

ها نحن الان نسير على الطريق الكبير المؤدية من طرابلس صعداً في الجبل الى الارز . بعد ان توقفنا قليلاً ، استأنفنا السير الساعة الثالثة متجهين اولاً بين الجنوب والجنوب الشرقي ، في ريف مكشوف يمتد حتى سفح الجبل . الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين ، كانت قرية كفرحاتا على الطريق . هبطنا وادياً خصباً اسمه وادي الخالدية يجري فيه جدول قليل الماء . رجعنا الى الصعود فوصلنا بعد بضع دقائق الى ضفة وادي ُجعيت اليمنى . يجري في هذا الوادي جدول صغير بالاسم نفسه ، وهو الرافد الوسط والاصغر لنهر قاديشا . هنا ايضاً ترعة طويلة للري . الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة كنا قبالة قرية كفرباشيت ، القائمة على ضفة الوادي الجنوبية العالية المنحدرة ، على مسافة نصف ميل منا . عبرنا النهر وصعدنا عرضاً الصبب المنحدر . الوادي هنا يخرج من مضيقه السحيق الكائن في حرف لبنان التحتاني . الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين كانت قبالتنا قرية مرح كفرصغابيه[1] على الاحدور الصخري المنحدر على مسافة نصف ميل منا . جنوبي هذه القرية تماماً ، تتحول الهوة صعداً الى الشرق بزاوية مستقيمة ، وسط الحرف الاول من الجبل ،

١ لعل المؤلف يقصد كفر صغاب . — المعرب .

وهي بشكل اخدود ، اضيق منها في بدايتها واكثر انحداراً . ها نحن نخرج من الوادي ونبدأ بصعود حرف الجبل جنوبي الهوة فنرى الى يميننا قرية عرجس ، الساعة الرابعة والدقيقة الاربعين ، على اكمة وطيئة ، على مسافة ميل ونصف الميل ، يفصلنا عنها واد سحيق . الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين كانت بنشعين[1] على بعد ربع ميل تحتنا الى اليمين . الساعة الخامسة كانت قرية داريا الكبيرة عن يميننا على ميل ونصف او ميلين . يقوم دير مار يعقوب على قمة شرقي داريا تماماً . وابعد الى الشرق ، على منحدر الاكمة نفسها ، قرية كرم سدة . وابعد اكثر الى الشرق وعلى ارتفاع اقل تقع مطران بولس . ها نحن نخرج الى النجد الاول او المدرج في الجبل ، وهو ضيق وصخري ، وغير مطمئن . الى هنا ، كان اتجاهنا الى الجنوب تقريباً بعد ان عبرنا نهر جعيت .

من على هذه النقطة سرحنا ابصارنا في البحر واشرفنا على البقعة المستوية بين حرف الجبل المنخفض على طول الساحل المسمى جبل قلع وبين سفح لبنان[2] . لا يقل عرض البقعة هنا عن ساعتين ، ولكنها تضيق باتجاه الجنوب . وبعد ست ساعات او ثماني ، ينضم حرف الجبل المنخفض الى نتوءات لبنان ، ويمتدان معاً[3] . يعتقد السائح الذي يسير على الشاطىء جنوبي طرابلس ، انه يسير بجانب

١ لعل المؤلف يقصد بنشعي . — المعرب .
٢ راجع بركهاردت، الصفحتين ١٧٢ و ١٧٣ .
٣ يمتد هذا السهل جنوباً حتى اميون . راجع مذكرات الارسالية للدكتور دي فورست .
قابل مع بركهاردت ، الصفحتين ١٧٢ و ١٧٦ وما بعدهما .

سفح لبنان ، ولكنه على خطأ في اعتقاده هذا لان الحرف المنخفض يرتفع شمالي طرابلس وينتهي في جبل تربل الاعرض منه والاكثر ارتفاعاً . وبين جبل تربل هذا ولبنان تواصل البقعة المستوية المذكورة آنفاً امتدادها كما تبين لنا ، ولكنها هناك اقل عرضاً .

تحولت طريقنا الان شرقاً عبر النجد غير المطمئن . الى يميننا واد ، ووراء الوادي قرية سبعل . على مسافة ميل شرقي سبعل على الحاجب العالي في الحرف التالي تجثم قرية ايطو[1] . في الوقت نفسه كانت قرية مزيارة الى يسارنا على مسافة ميل ونصف ، وراء واد ، والى شرقيها قرية حميص على ارض اكثر ارتفاعاً[2]. الساعة الخامسة والدقيقة الخمسين وصلنا سفح المرتقى التالي ، فدخلنا في مضبق وحشي اسمه وادي حيرونا يمتد صعداً الى الجنوب الشرقي وسط الحرف . عبرنا مجرى مائه الجاف الذي يمتد نزولاً الى الغرب جنوبي طريقنا . وبدأنا نتسلق جانبه الجنوبي الغربي بجهد ومشقة . حقاً ان قسماً من الطريق يستحيل السير عليه تقريباً . وقد اتفقنا كلانا على القول انها اردأ طريق سرنا عليها في لبنان او في سائر انحاء فلسطين . كنا على وشك السقوط من شدة الاعياء بعد ان ظللنا اثنتي عشرة ساعة لا نبرح السرج . ادركنا اننا لا نتمكن من الوصول الى اهدن

١ المواقع الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة : داريا ، غربا بجنوب ، المسافة ميل ونصف الميل . مطران بولس ، بين الجنوب والجنوب الغربي ، المسافة ميلان . سبعل بين الجنوب والجنوب الشرقي ، المسافة ميل واحد .

٢ المواقع الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين : سبعل ، الجنوب الغربي ، المسافة ميل واحد . ايطو ، جنوباً بشرق ، المسافة ميل ونصف الميل . مزيارة ، شمالا ٤٠ درجة شرقاً ، المسافة ميل ونصف الميل . حميص ، شمالا ٦٠ درجة شرقاً ، المسافة ميل واحد .

كما قررنا سابقاً إلا في ساعة متأخرة ، فتوقفنا الساعة السادسة والدقيقة الاربعين ، بعد ساعة ونصف الساعة من التسلق الشاق المضني ، وتحولنا بضعة ردات عن الطريق الى اليمين ، وضربنا خيمتنا على ينبوع صغير لطيف اسمه عين حيرونا ، فيه فوّارة صغيرة تحتها جرن صغير . هنا ، في هذه العزلة الصامتة ، ابترد الكثيرون وانتعشوا بالماء النقي الصافي المتدفق من هذا الينبوع. شاهدنا اناساً كثيرين في الجوار ، وجاءت النسوة يستقين من الينبوع . قيل لنا ان هؤلاء الناس من ايطو ، جاؤوا يحرسون حقول الحنطة ، وقد حصل لنا خدمنا على حليب منهم .

ان تذكارات هذا المساء هي من ابهج تذكاراتي في رحلتي كلها . فقد سرنا النهار بطوله من الساعة الرابعة بخطى وئيدة متثاقلة في سهول الساحل العكة[1] ، تحت اشعة شمس الصيف السوري المحرقة . وها نحن الان على ارتفاع نحو اربعة الاف قدم ، نستنشق نسيم المساء العليل في لبنان ، فنستعيد نشاطنا وبهجتنا . بامكاننا الآن ان نشرف على المنحدرات في الجبل تحتنا ، ومن ورائها الخضم القاتم ، وان نتتبع مرفأ طرابلس والجزر الصغيرة الكثيرة الممتدة في البحر ، ولكن طرابلس نفسها مختبئة وراء الاكام .

غربت الشمس في هالة من الجلال . فجلسنا ، طيلة الغسق البهي والمساء الجليل ، نستمتع كل الاستمتاع بهذا المشهد الرائع[2] .

١ اي شديدة الحر مع احتباس الريح . — المعرب .

٢ المواقع من عين حيرونا ، طرابلس الينا ، شمالا ٢٥ درجة غرباً . زغرتا ، شمالا ٢٠ درجة غرباً .

بين عين حيرونا واهدن

وادي بشري . نهر ابو علي . اهدن. موقعها . ارتفاعها فوق البحر . غزارة مياهها . كثرة الكروم . لطف اهلها وثروتهم . جبرائيل الصهيوني. كفر صغاب . بان.

الاربعاء ١٦ حزيران . ـ اسبغ علينا هواء الجبل العليل نوماً هانئاً وليلة منعشة. استأنفنا السير الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين. امامنا مرتقى منحدر لا يقل عن خمس عشرة دقيقة . هنا في هذا المكان وتحته ، رأينا جانب المضيق الشمالي شاهقاً في صبب وهو من الصخر العاري ، طبقاته متقلقلة ، وتقرب ان تكون عمودية . لم نلبث ان خرجنا من الهوة وتابعنا الصعود تدريجاً على ارض طلقة ، فكان الى يميننا رأس عال صخري ومنعزل . الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والخمسين وصلنا الى ممر على اليسار يؤدي الى الدير الماروني : مار انطانيوس قزحيا [١] . بعد عشر دقائق خرجنا الى نجد مرتفع ، وهو بقعة من الارض غير مطمئنة ومنقطعة ولكنها محروثة . الى الجنوب منها وادي بشري العميق يجري فيه نهر ابو علي ،

١ يقال ان دير مار انطانيوس قزحيا يبعد ساعتين عن اهدن . في الدير مكتب صغير للطبع ، يطبع كتب الصلاة باللغة العربية بأحرف سريانية · راجع :

Seetzen in Zach's Mon. Corr. XVI. p. 555.
Burck. Trav. p. 22.
O. v. Richter, p. 110. sq.
Ritter, XVII. p. 654.

راجع المجلد الثاني للمؤلف الصفحة ٥٠٧ (iii 460) .

وهو الرافد الرئيسي لنهر قاديشا . وهذا الوادي يمتد ساعة او ساعتين الى الشمال . ويمكن القول ان البقعة الممتدة من الارز تخص هذا النجد . هنا وجدنا العديد من الجداول الخرخرة المجلوبة من ينبوع اهدن . كان اتجاهنا بين الجنوب والجنوب الشرقي . رأينا ان بعض حقول القمح لا تبشر بموسم جيد ، والبعض الاخر لا يقل جودة عن السهول تحتها . وعلى كل لم يحن وقت حصادها بعد ، ولا يحين قبل اسبوعين او ثلاثة . وكذلك انتاج الحرير في الجبل كان متأخراً عنه في السهول . عندما اقتربنا من اهدن وصلنا الى حقل من البطاطا وهو اول حقل رأيته في سوريا ، ولم اره الا على هذا الارتفاع في الاماكن العليا المحروثة في لبنان ، والبطاطا مزروعة صفوفاً وتروى بانتظام [١].

الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين وصلنا اهدن ، وهي تأنس بموقعها على الحافة الشمالية الغربية من الهوة السحيقة التي تجري الى الجنوب الغربي لتنضم الى هوة قاديشا . وتقوم القرية ايضاً على الطرف الخارجي الشمالي الغربي من مدرج الجبال العظيم الذي يحيط بالارز ، في نهاية الحيد المرتفع البارز الى الغرب ، من الحرف

١ في العام ١٨١٠ ، يتحدث بر كهاردت عن زراعة البطاطا في هذا الاقليم . راجع رحلته الصفحة ٢٢ .

ويقول سيتزن ان زراعة البطاطا بدىء بها قبل العام ١٨٠٥ بوقت قصير . راجع:
Reise, 1. p. 164.
ومما تجدر الاشارة اليه رؤية البطاطا وكيفية زراعتها ومعاملتها كأنها بقل شهي مما يزرع في البساتين .

راجع الصفحة ٥٩٦ من المجلد الثالث للمؤلف .

الكبير الواقع الى جهة فوق ، والذي يكوّن هذا المدرج . وهي قائمة ايضاً على منحدر يواجه الجنوب ، على ارتفاع اربعة الاف وسبعماية وخمسين قدماً انكليزية فوق البحر[١] . اما الماء هنا فجد غزير ، يكفي لكل شيء ، وهو يأتي من ينبوع غزير يبعد عشر دقائق شرقي القرية . اما كروم العنب فكثيرة ، والتين والمشمش يزدهر نمواً ، واشجار الجوز الكثيرة الفخمة ترسل ظلالها الناعمة ، وتبدو على الاهلين امارات النجاح والثروة . اما التسول فلا اثر له . وقد ذكرنا سابقاً ان عيالاً كثيرة تقضي فصل الشتاء في زغرتا . سكانها في منزلة رفيعة من اللطف والايناس . وهذا ما اختبرناه بانفسنا . اضطررنا للتوقف بعض الوقت لتبديل نعال الخيل . يقال ان اهدن هي مسقط رأس العالم الماروني غبريال سيونيتا Gabriel Sionita[٢]، مهذب الترجمة السورية[٣] في مجمع اللغات الباريسي Paris Polyglot . وكانت اهدن قبلاً كرسي اسقف

١ According to Schubert, lll. p, 356; i. e. 4454, Paris feet.

يقول شوبرت ان ارتفاع اهدن ٤٤٥٤ قدماً باريسية .

٢ هو جبرائيل الصهيوني اللبناني . ولد في اهدن في العام ١٥٧٧ . تلقى علومه في المدرسة المارونية برومه، ثم علم مدة في كلية سابيانس هناك حتى استدعاه لويس الثالث عشر الى باريس سنة ١٦١٤ ، واقامه ترجماناً له واستاذاً للغات الشرقية في الكلية الملكية (كلية فرنسا اليوم). وتوفي في باريس سنة ١٦٤٨ بعد ما نشر عدة مصنفات علمية ، ووضع كتاباً في القواعد العربية ، وساهم في نقل التوراة واخراجها ، ولا يزال اسمه محفوراً على مدخل الكلية في جملة اسماء الاساتذة الذين توالوا عليها . — المعرب .

٣ عن المؤلف، بالترجمة السورية، الترجمة السريانية. هكذا كانت تعرف من قبل. اما الان فيسمونها سيرياك Syriac تمييزاً لها عن لفظة Syrian التي تعني سوري. — المعرب.

ماروني . تقع قرية كفرصغاب جنوبي اهدن ، ووراء الهوة المجاورة . وعلى ارتفاع اقل منها ، تقع قرية بان على الجانب الابعد[1] .

بين اهدن والارز

دير مار سركيس . عين البقرة . خمس قرى . بشري .
ينبوع عين النبات .

تركنا اهدن الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة واتجهنا الى الجنوب الشرقي ، فكان الينبوع الى يسارنا . تابعنا السير على حافة الهوة التي تبتدىء من الشمال الشرقي تحت الجبل المجاور . الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين عبرنا الوادي والنهر الجاري فيه ، وما هو هنا سوى صفحة هائجة من الزبد الابيض ، يتدحرج الى الجنوب الغربي من ينبوع بالقرب من الدير الماروني ، مار سركيس ، القائم على سفح الجبل تماماً ، على مسافة خمس عشرة دقيقة او عشرين

١ Le Quien Oriens Christ. III. 91-93.

لا عجب اذا غاب عن معرفة واختبار الرهبان الموارنة الفرق بين اهدن وايدن ، وان يظنوهما اسمين لمسمى واحد ، ويعتبروها بارادیسوس Paradisus التي يتحدث عنها قدماء المؤرخين . راجع الصفحة ٦٥٦ من المجلد الثالث المؤلف.

ولكن ان يرتكب الخطأ نفسه عالم كجيسنيوس Gesenius فهو مما لا يُقدر عليه او يغض النظر عنه . راجع تعليقه على بركهاردت، الصفحة ٤٩٢.

Gesenius' notes on Burckhardt, I. p. 492; copied also by Ritter, XVII. p. 650.

اما الاسمان (واحدهما يبتدىء بحرف ع) فلا علاقة لاحدهما بالاخر .

الى يسارنا [١] . تابعنا الصعود تدريجاً بجانب هذا الحوض المرتفع ، فكان النتوء العالي الممتد من السلسلة الكبيرة العليا من لبنان عن يسارنا . وهذا النتوء يرتفع هنا الف قدم او اكثر فوق حوض الارض ، وتقوم على طول سطحه صخور هرمية منحدرة ، ويزيد ارتفاعه تدريجاً باتجاه الشرق . الى يميننا سلسلة وطيئة بيننا وبين هوة قاديشا . كنا نرى ، من خلال الثغرات ، السلسلة الظهرية العالية وراءها ، والثلج المنتشر عليها .

الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين ، وصلنا طرف هذا الحوض الشرقي ، فعبرنا سرجاً وطيئاً وتابعنا التفافنا بين آكام صخرية ، فمررنا على ينبوع بين هذه الاكام اسمه عين البقرة . الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين شاهدنا تحتنا شقاً سحيقاً في هوة قاديشا هو مضيق وحشي ، رأينا خمس قرى على حاجبه الجنوبي . اما بشري فتقع منخفضة على الجانب التالي . تابعنا السير بجانب الاكام تارة بينها وطوراً فوقها . الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة وصلنا الى ينبوع لطيف في اسفل صف من الصخور . تنبجس من احدى الفتحات في الصخور فوّارة من الماء فترتفع قدمين او ثلاثاً ، والى تحت قليلاً يغلي الماء غلياناً قوياً في الفوارات الكثيرة . اسم هذا الينبوع عين النبات ، يجري او بالحري ينقذف منه جدول

١ راجع ما كتبه سيتزن عن دير مار سركيس في :
Seetzen, Reizen I. 173.
اما انا فاظن انه الدير نفسه الذي ذكره بوكوك في العام ١٧٣٩ باسم دير القديس سيرجيوس St. Sergius وهو الذي يملكه الكرمليون اللاتين كما يظن هو.
راجع : Pococke, II. i. p. 104.

منحدراً الى قاديشا . ها نحن الان نرى الطريق من بعلبك منحدرة فوق سلسلة لبنان الصخرية العالية على مسافة قصيرة جنوبي الارز .

واخيراً ، اهتدينا الى الطريق الكبيرة الاتية من بشري ، وكنا كما اعتقد سرنا قسماً من الطريق على الاقل على طريق غير مألوفة . سرنا بعض الوقت على حافة الهوة العظيمة ، ثم تحولنا اكثر الى اليسار ، فوصلنا الارز الساعة الثانية عشرة ، وهو على ربع ميل شمالي الطريق . ها نحن نستسلم ثلاث ساعات للراحة الهانئة تحت هذه الظلال التي تشع عظمة وخشوعاً ، تحتضنها اعلى مرتفعات لبنان .

ارز لبنان

موقعه . شكل اشجاره ومصيرها . عادة صنع السلع من خشبه . استعماله للوقيد . حفر الاسماء على جذوعه . مقارنته بالارز الاميركي . نقص الاشجار القديمة . احصاء الاشجار . قدسية الارز والنهر . الحرم البطريركي . عيد التجلي .

ان الارز ، الذي لا يزال يحتفظ باسمه القديم ، يقوم اكثره على اربع اكيات صخرية متلاصقة ، في دائرة قطرها دون الاربعين رداً . يكوّن الارز غابة كثيفة ، لا انجم فيها . الاشجار القديمة ذات جذوع متعددة ، تنشر اغصانها على اتساع حولها ، ولكن اكثر الاشجار الاخرى مخروطية الشكل ، ولا تتفرع اغصانها جانبياً الى مدى بعيد . وترى بضع اشجار معزولة في طرف الغابة ، بينها في

الجنوب واحدة كبيرة وجد جميلة . واذا استثنينا هذه الشجرة فليس من شجرة سواها تملأ العين جمالاً لطيفاً تخيلته في ارز لبنان كالاشجار التي رأيتها سابقاً في حديقة النبات Jardin des plantes [١] . سارت بعض الشجرات الهرمة شوطاً بعيداً في طريق الفناء ، ولا تلبث ان تختفي آثارها .

تفشت عادة صنع السلع من خشب الارز لبيعها من السياح . وليس هذا فقط ، بل ان القليلين الذين يقضون فصل الصيف في هذا المكان يستعملون خشبه للوقود . مع ان هذه الاعمال تسبب افناءه تدريجاً ، إلا انها تؤول في اخر الامر الى افنائه المحقق ومحقه . اضف الى ذلك ان السياح في السنين السابقة (هذا اذا ضربنا صفحاً عن ذكر ما يفعله السياح في الوقت الحاضر) قد بلغت بهم الصفاقة حداً لم يتورعوا معه عن نحت بقع كبيرة ملساء على جذوع بعض الاشجار الفخمة الكبيرة لحفر اسمائهم عليها . اما ابكر اسمين رأيتها فيها فرنسيان [٢] ، يرجع واحد منها الى العام ١٧٩١ . ان خشب الارز Pinus Cedrus ابيض اللون ، ورائحته ذكية مستحبة ، ولكنها ليست قوية [٣] ، ولا يقاس بالارز الاميركي

١ هي حديقة للنبات في باريس ، اسست سنة ١٦٢٦ واضيف اليها في العام ١٦٩٧ متحف للتاريخ الطبيعي، ثم حديقة للحيوانات . — المعرب .

٢ لاحظ اري وماتغلز تاريخاً يرجع الى العام ١٦٤٠ . راجع رحلاتهما ، الصفحة ٢١٠ (٦٥) .

٣ يقول بو كوك « ان خشب الارز لا يختلف في مظهره عن الصنوبر (الشوح) الابيض» Pococke, II. i. p. 104.

الاحمر العادي Juniperus Virginiana من حيث الجمال والاريج.

على اني لم احاول احصاء الاشجار . ومن الراجح انه لم يتفق شخصان اتفاقاً تاماً على عدد الاشجار القديمة ، او على عدد كل الاشجار . اما انا فاني اميل الى الاتفاق مع بركهاردت ، فهو يقول : « احصيتُ احدى عشرة او اثنتي عشرة شجرة من اقدم الاشجار وافخمها واجملها منظراً ، وخمساً وعشرين شجرة كبيرة جداً ، ونحو الخمسين شجرة من الحجم المتوسط ، واكثر من ثلاثمائة شجرة دون المتوسط وصغيرة[1] » . ومع ذلك فلا ريب انه في خلال القرون الثلاثة الماضية ، نقص عدد الاشجار القديمة الى نحو نصف ما كان عليه ، ان لم يكن النصف كاملاً ، ونمت اكثر الاشجار التي كانت صغيرة ، ان لم تكن كلها .

لقد سرد بوشنغ Busching اسماء لا اقل من ستة وعشرين سائحاً ، بين العام ١٥٥٠ والعام ١٧٧٥ ، من ب. بيلون P. Belon الى ستيفن شلز ، ممن وصفوا الاشجار واحصوها[2] . وربما لا ينقص عدد البيانات الوصفية عن ضعفي هذا العدد منذ ذاك الحين . في

١ راجع رحلة بركهاردت، الصفحة ١٩ ، عن عدد اشجار الارز، في العام ١٨١٠ .
وفي العام ١٨٠٥ ،يقول سيتزن ان عدد الاشجار الكبيرة اربع عشرة شجرة .
راجع : Reisen, I. p. 169.
وفي العام ١٨٤٣ احصى الدكتور ولسن اثنتي عشرة شجرة من الاشجار القديمة، ولكنها لم تكن بجانب بعضها ، وثلاثمائة وخمساً وعشرين شجرة اصغر منها .
Lands of the Bible, II.p. 389.
اما الاحصاء الاخير في العام ١٨٥٣ فيجعل عدد الاشجار كلها اربعمائة شجرة ، منها اثنتا عشرة شجرة كبيرة . راجع : Ritter, XVII. p. 649.

٢ Busching Erdbeschr. XI. i. p. 314.

القرن السادس عشر تراوح عدد الاشجار القديمة ، كما وصل الينا ، بين الثاني والعشرين والثلاث والعشرين ، وفي القرن السابع عشر من اربع وعشرين الى ست عشرة ، وفي القرن الثامن عشر بين العشرين والخمس عشرة [1] . وبعد انصرام قرن اخر نقص عدد الاشجار القديمة ، كما رأينا ، الى حوالى اثنتي عشرة شجرة . فهذا النقص المتواصل يدل على ان عوامل الانحلال التدريجي تعمل عملها ، كما يدل على صعوبة احصائها . عزا كل من فورر Furer وداندیني Dandini – وهما على حق في ما ذهبا اليه – هذا الفرق في العدد الى ان الكثير من الاشجار ذات ساقين او اكثر ، فاختلف الاحصاء باختلاف الرحالين . فالبعض منهم حسبها شجرة واحدة والبعض الاخر شجرتين او اكثر . ولا يذكر سائر السياح [2] الذين زاروا

١ اختلف عدد اشجار الارز باختلاف سني احصائها كما يأتي : حوالى العام ١٥٥٠ احصى بيلون Belon ثماني وعشرين شجرة . وفي العام ١٥٥٦ احصى فورر Furer نحو خمس وعشرين شجرة . وفي العام ١٥٧٥ احصى روولف Rauwolf اربعاً وعشرين شجرة ، وشجرتين اخريين حطم اغصانهما مرور الزمن . واحصى دنديني Dandini في العام ١٥٩٦ ثلاثاً وعشرين شجرة . وفي العام ١٦٣١ احصى رودجر Roger اثنتين وعشرين شجرة . واحصى دارفيو ثلاثاً وعشرين شجرة في العام ١٦٦٠ . وفي العام ١٦٦٨ احصى دي لاروك عشرين شجرة. واحصى موندريل ست عشرة شجرة فحسب في العام ١٦٩٠ . واحصى كورت Korte في العام ١٧٣٨ ثماني عشرة شجرة جد قديمة وكبيرة . وحوالى العام ١٧٣٩ وجد بوكوك خمس عشرة شجرة ، وواحدة اقتلعتها الريح حديثاً ، بينما رأى ستيفن شلز عشرين شجرة .
Busching, I. c.

٢ Furer, p. 102 Lat, p. 294 Germ.
Dandini, Par, 1675, p. 83.
يقول دنديني انه احصى ثلاثاً وعشرين شجرة ، بينما احد افراد جماعته احصاها

الارز في القرن السادس عشر سوى الاشجار الكبيرة . اما الصغيرة فقد ضربوا صفحاً عن ذكرها . اما رووولف Rauwolf ، وهو العالم النباتي ، فقد صرح بلهجة لا تدع مجالاً للشك انه فتش عن اشجار صغيرة فلم يعثر على اي شجرة [1] . فاذا كان حقاً ما يقوله هذا العالم ، فان عمر اشجار غابة الارز الحالية لا يزيد على الثلاثماية سنة ، باستثناء الاشجار القليلة التي لا تزال قائمة [2] .

قدسية الارز

تحيط العامة غابة الارز والنهر وسائر الاقليم ، بجو من القداسة . فالاشجار القديمة مقدسة لانها رافقت الاجيال منذ عهد التوراة اليهودية وسليمان . والنهر الذي ينبع بالقرب منها مقدس ايضاً ويسمى

احدى وعشرين شجرة فحسب. لذلك كان الاعتقاد العام انه لا يمكن احصاؤها بالضبط، اي لا تكون نتيجة الاحصاء واحدة اذا عدها شخصان . راجع ما قـاله دنديني في الصفحة نفسها .

١ Rauwolf, p. 280: "So bin ich ferner auff dem Platz umbher gangen, mich nach andern jungen weiter umbzusehen; hab aber keine, die hernacher wachsen, finden mogen."

٢ اما بخصوص هذا الدغل عينه ، فالمرجح ان الملاحظة الاتية التي ابداها المستر بارتليت صحيحة : « ان الارز اختفى تقريباً من لبنان ، وقد انتشر من هذه الاشجار الجميلة في ضواحي لندن ، على مسافة عشرين ميلاً منها ، عدد يفوق كثيراً الموجود منها في تربته الاصلية الشعرية . »

راجع : Walks about Jerus. p. 22.
Comp. Ritter, XVII. p. 647 sq.

قديشا[١] . في العصور السالفة فرض البطريرك المـاروني مختلف العقوبات الاكليركية ، حتى القطع من عضوية الكنيسة (الحرم) ، على كل مسيحي يقطع او يؤذي الاشجار المقدسة[٢] . وتذكر حادثة مدونة ان بعض السكان ، من الذين ابتعدت قلوبهم عن الايمان بالله فتحجرت ، كانوا يرعون قطعانهم في جوار الارز ، فقطعوا بعض الاشجار ، فكان جزاؤهم العاجل فقدان قطعانهم[٣] .

الاحتفال بعيد التجلي

اعتاد الموارنة في العهود السالفة الاحتفال بعيد التجلي في غابة الارز المقدسة . فكان البطريرك نفسه يترأس الاحتفال ويتلو الصلوات امام مذبح بسيط من الحجارة[٤] . ولا تزال هذه السنة والطقوس قيد الاجراء الى درجة ما في الوقت الحاضر[٥] . ولا ريب ان

١ راجع دنديني ، سياحة في جبل لبنان ، الفقرة ١٦٧٥ ، الصفحتين ٨٣ و ٨٤ .

٢ De la Roque, I. p. 71.
D'Arvieux, Mém. II. pp. 414, 415.

٣ Dandini. p. 84.

٤ Dandini, p. 83.
De la Roque, I. p. 72.
ويتحدث دارفيو عن اكثر من اثنين من هذه المذابح .
راجع : Mém. II. p. 408.
ويحذو سيتزن حذوه ايضاً . راجع : Reisen; I. p. 168.

٥ Seetzen Reisen, I. pp. 167, 178.
Zach's Monatl. Corr. 1806, XIII. p. 549.

تأثيرها على عقول العامة كان عظيماً . اما في الوقت الحاضر فقد اعتيض عن المذابح الحجرية الخشنة بكنيسة مارونية بنيت خلال السنين العشر الاخيرة[1] . شاهدنا عدة اشخاص يقيمون هنا صيفاً لصلة لهم بالكنيسة ، ولكنا لم نعلم ما الخدمات الدينية التي تمارس فيها . ويظهر ان بعض القصد من اقامة هؤلاء الاشخاص هنا هو خدمة السياح وتزويدهم بما يحتاجون اليه ، فيكتسبون الحق بطلب البخشيش . وقد جلب لنا راهب نبيذاً لبيعه منا ، ولكن بدت على ملامحه خيبة الامل ، اذ رفضنا هذه الصفقة التجارية .

ملاحظات جغرافية وتاريخية مختصرة

موقع الارز . كيف تكوّن المدرج . ارتفاعه . هوة قاديشا . الارز في نظر الانبياء . عنوان السؤدد والمجد. هيكل سليمان . الجامع الاقصى . جبل مخمل . ضهر القضيب . ارتفاع اعلى نقطة .

لا يقل موقع الارز شهرة عن شهرة عمر شجراته وحجمها . فالمدرج الذي يضم الاشجار هو نفسه هيكل عظيم فخم للطبيعة ، وهو افسح معتزل وافخمه في لبنان كله . عندما يقترب حرف الجبل الظهري العالي في امتداده من الجنوب يميل قليلاً الى الشرق

[1] عندما كان الدكتور وبلسن هنا ، في العام ١٨٤٨ ، التمس منه راهب المساعدة لانشاء محراب .
راجع : Lands etc. II. pp. 389, 390.

بعض المسافة . وبعد ان يستعيد اتجاهه السابق ، يرمي حيداً باتجاه الغرب على الارتفاع نفسه . وهذا الحيد ينخفض تدريجاً حتى الحرف المنتهي عند اهدن . هـــذا الحرف يستدير بسرعة فيصبح موازياً للحرف الرئيسي تقريباً . وهكذا يتكون فراغ عظيم او مدرج يقرب شكله من نعلة الفرس ، تحيط به اعلى سلاسل لبنان ، وترتفع عنه الفين او ثلاثة آلاف قدم ، تغطي جزءاً منها الثلوج. في منتصف هذا المدرج ، يقوم الارز في عزلة تامة ، لا يستأنس بشجرة غير اشجاره ، ولا يكاد نظره يقع على شيء اخضر . هذا المدرج ، الذي يشمخ الارز في وسطه ، يواجه الغرب . واذا القينا نظرة على الثلج من غابة الارز ، نراه يمتد باستدارة من الجنوب الى الشمال . اما طرفا القوس في الجهة الامامية فموقعهما من الارز الى الجنوب الغربي والشمال الغربي .

تبتدىء هوة قاديشا السحيقة الشديدة الانحدار في اعالي هذا الفراغ او المدرج المذكور ، وهي اكثر وحشية وعظمة من سائر المضايق في لبنان[1] .

١ يشبه اربي ومانقلز هذا المدرج « بوادي ديف في سافوى ».
"the vale of the Dive in Savoy, and its Pont de Chevres"
ولكني لم ار هذا المكان . ويشبهانه ايضاً « بجبال الابنين وراء جنوى » ، ولكني لا ارى هذا التشبيه مطابقاً للواقع . راجع الرحلات ، الصفحة ٢٠٩ ، ٢١٠ (٦٥) .
Comp. Schubert, III. p. 360.

ويقول دارفيو ان المدرج كالهلال :
D'Arvieux, Mém. II. p. 415.

اشرف الدكتور ويلسن على المدرج وهو واقف على قمة الحرف الواقع فوق الارز ، بينا كان آتياً من بعلبك ، واليك ما كتبه عنه : « كانت امامنا ، في سلسلة الجبال الى

يذكر رسّغر وشوبرت ان ارتفـــاع الارز ستة الاف قدم باريسية فوق سطح البحر او ما يعادل ستة الاف واربعماية قدم انكليزية[1] . اما قمم لبنان المحيطة به ، فترتفـع ثلاثة الاف قدم تقريباً فوقه[2] .

لم تقتصر شهرة ارز لبنان على جلاله الطبيعي وجمـــاله الذي لا يزال ظاهراً على اشجاره المتوسطة في السن لا على الشجرات القديمة ، بل تتعدى ذلك الى شعور الاحترام الذي يكتنف هذا الغاب ، لانه يمثل احراش لبنان التي نالت شهرة واسعة في التوراة العبرية . ان شجرة الارز في نظر المؤرخين الدينيـين هي اشرف الاشجار على الاطلاق ، وملكة المملكة النباتية . اما سليمان « فقد تكلم عن الاشجار ، من الارز الذي في لبنان الى الزوفا النابت في الحائط[3] .» اما الارز في نظر الانبياء ، فقد كان الرمز الخاص

القرب ، ثغرة كبيرة مربعة الجوانب. شاهدنا وسط هذه الثغرة خطاً مظلماً ، هو وادي قاديشا الهاوي البعيد الغور ، ونهر لبنان المقدس ، ترصع ضفتيه القرى الجميلة (والجلالي) المدرجة المتناهية في الخصب .»

راجع :

١ Lands of the Bible, II. 388.
Russegger, I. p. 713.
Schubert, III. p. 365.

٢ راجع الصفحة ٥٤٧ من المجلد الثالث للمؤلف .

٣ راجع سفر الملوك الاول ، الاصحاح الرابع ، العدد الثالث والثلاثين .

قابل ذلك مع :

سفر القضاة الاصحاح التاسع ، العدد الخامس عشر .

سفر الملوك الثاني ، الاصحاح الرابع عشر ، العدد التاسع .

المزمور التاسع والعشرين ، العدد الخامس .

المزمور المئة والرابع ، العدد السادس عشر .

للعظمة والبهاء والجلال . لذلك كان الملوك والاشراف ، وهم اركان المجتمع ، يلقبون في كل مكان بارز لبنان [1] . اما الوصف الشائق الذي ينطق به حزقيال عن عظمة الاشوريين وسيطرتهم ، فهو كناية عن وصف ارز لبنان [2] . واذا اخذنا بعين الاعتبار ديمومته وثباته وعطر شذاه ، فانه يعد اثمن من سائر الاخشاب . وقد استعمل خشب الارز للزخرف والبهرجة في الابنية النفيسة الثمينة . فكانت جوائز السطح في هيكل سليمان ، وكذلك الالواح ، واعمال الزخرف ، كلها من ارز لبنان [3] . واستعمل خشب الارز ايضاً في هيكل زربابل الذي جاء بناؤه متأخراً عن بناء هيكل سليمان [4] . وبنى داود قصره من الارز ايضاً [5] . اما

١ راجع سفر اشعيا ، الاصحاح الثاني ، العدد الثالث عشر . والاصحاح الرابع عشر ، العدد الثامن . والاصحاح السابع والثلاثين ، العدد الرابع والعشرين .
سفر ارميا ، الاصحاح الثاني والعشرين ، العدد الثالث والعشرين .
سفر حزقيال ، الاصحاح السابع عشر ، العدد الثاني والعشرين .
سفر زكريا ، الاصحاح الحادي عشر ، العدد الاول ، الى آخر ما هنالك مما ذكر عن الارز .

٢ راجع سفر حزقيال ، الاصحاح الحادي والثلاثين ، العدد الثالث الى التاسع .

٣ راجع سفر الملوك الاول ، الاصحاح السادس ، العددين التاسع والعاشر .
قابل ذلك مع :
الاصحاح الخامس ، الاعداد السادس والثامن والعاشر ، من سفر الملوك الاول .
سفر اخبار الايام الاول ، الاصحاح الثاني والعشرين ، العدد الرابع .

٤ راجع سفر عزرا ، الاصحاح الثالث ، العدد السابع .

٥ راجع سفر صموئيل الثاني ، الاصحاح الخامس ، العدد الحادي عشر . والاصحاح السابع ، العدد الثاني .
قابل ذلك مع : سفر ارميا ، الاصحاح الثاني والعشرين ، العددين الرابع عشر والخامس عشر .

سليان فقد اسرف باستعمال خشب الارز الثمين في احد قصوره فسمي « بيت وعر لبنان [١] » . واستعمل خشب الارز ايضاً في صنع الاصنام [٢] ، وسواري المراكب افراطاً في الترف [٣] . احترمت الامم الوثنية الارز وعظمت قدره ، فاستعملته في تشييد هياكلها كما فعلت صور [٤] ، وافسس [٥] ، وفي بناء قصورها ، كما فعلت برسيبوليس [٦] Persepolis ، ولكن هذا لا يعني ان افسس وبرسيبوليس جلبتا ارزاً من لبنان ، فالارز السوري لم يكن يقل شهرة عن سواه [٧]

١ راجع سفر الملوك الاول، الاصحاح السابع ، العدد الثاني. والاصحاح العاشر، العدد السابع عشر.

٢ راجع سفر اشعيا ، الاصحاح الرابع والاربعين ، العدد الرابع عشر .
Plin. H. N. 13. 11.

٣ راجع سفر حزقيال ، الاصحاح السابع والعشرين ، العدد الخامس . يشير الوصف الوارد في الاصحاح السابع والعشرين من حزقيال بوضوح الى سفن اللهو والملذات التي كان اغنياء صور يقتنونها . ولكن بلني يقول :
" in Aegypto et Syria reges inopia abietis cedro ad classes feruntur usi." P. N. 16. 76.2.

٤ Apion. 1. 17. 18.
Joseph. Antt. 8. 5. 3. c.
يفترض ريتر ان الارز استعمل قبل زمن حيرام وسليان . وقد يكون على حق فيما يذهب اليه ، ولكن يوسيفوس لا يذكر شيئاً في حديثه عن الارز :
Erdk. XVIII. p.. 648.

٥ استعمل خشب الارز في هيكل ديانا الكبير .
Salmasius ad Solin. I. 571. 6, " tectum ejus cedrinis trabilus."

٦ Q. Curt. Hist. Alex. M. 5. 7. 5. " multo cedro erat aedificata regia."

٧ Plin. H. N.. 16. 76. 1. " At cedrus in Creta, Africa, Syria, laudatissima."

وقد يكون اسم الارز اطلق اعتباطاً على اشجار من فصيلة تختلف عنه [١].

يبدو من الاكثار من ذكر ارز لبنان في التوراة، وكثرة استعماله في مختلف الاغراض، ان غابات الارز كانت تغطي مسافات شاسعة من الجبل في الازمنة القديمة. يقول ديودوروس سيكولوس Diodorus Siculus ان لبنان كان مليئاً باشجار الارز والشوح والسرو ذات الاحجام المدهشة والجمال النادر [٢]. ولكن مواصلة قطعها لاعمال البناء كان اسرع من نموها. في القرن السادس شيد يوستينيانوس Justinian كنيسة للعذراء في اورشليم [٣] — هي اليوم الجامع الاقصى — فاصطدم بصعوبات شتى في سبيل الحصول على خشب لسقفها، ولكن بعد التفتيش الكثير المتواصل، عثر على موضع مليء باشجار الارز الشاهقة [٤]. لم تنقطع اعمال قطع اشجار الارز وافنائها. وفي العصور المتوسطة كانت البيوت الخاصة في صيدا، وربما في صور وغيرها من المدن الفينيقية كما يظهر، تسقف بارز لبنان، وتزين وتزخرف باخشابه [٥].

١ So Plin. H. N. 13. 11. Comp. Winer Realw, art. Ceder.

٢ Diod. Sic. 19. 58.

٣ راجع الصفحة ٢٩٦ من الجزء الاول من كتاب بحوث توراتية للمؤلف (i٤٣٨).

٤ Procop. de Ædif. Justin. 5. 6. p. 322. Dind.

هذا لا يعني مطلقاً ان البقعة المذكورة هي نفسها الغابة الحالية، بل على عكس ذلك تماماً، لان الغابة الحالية تقع على الطرق الكبيرة العامة في لبنان.

٥ راجع الصفحة ٤٨٢ من الجزء الثاني من بحوث توراتية للمؤلف (iii٤٢٣).

ان اعمال القطع هذه ، والاهمال الذي رافقها ، تكفي لتعرية هذا الجبل الطيب ، كما نراه في يومنا هذا ، من تلك الغابات الجميلة اللطيفة التي كانت منذ القديم عنوان مجده وعظمته . ومع ذلك فالتأثير ، الذي يتركه الارز الحالي في نفس زائريه ، يفوق كثيراً حقيقة ما هو عليه من القلة في اشجاره . فالغاب الحالي يعتبر الممثل الوحيد للارز القديم . ولا ريب ان مرد هذا التأثير الى ان هذا الغاب هو الوحيد الذي يجاور طريقاً من الطرق الرئيسية الكبيرة التي يسير عليها السياح عبر لبنان . قد توجد غابات من الارز في الانحاء الشمالية من الجبل ، ولكنها ظلت مجهولة لم تنعم بزيارة احد من الرحالين لصعوبة الوصول اليها . هذا قول لا يعدو الحقيقة ، وهذا ما يشهد به اهرنبرغ Ehrenberg وغيره .

صرف هذا العالم الطبيعي الذائع الصيت ردحاً من الزمن في لبنان ، وقد افادني انه وجد الارز نابتاً بكثرة في انحاء لبنان الواقعة شمالي الطريق بين بعلبك وطرابلس . تختلف احجام الاشجار واعمارها ، فهي بين صغيرة وكبيرة ، وقديمة وحديثة ، ولكن ليس بينها اية شجرة قديمة وفخمة كالاشجار التي يؤمها الزوّار عادة . واذا رجعنا الى سيتزن نرى انه في العام ١٨٠٥ يتحدث عن اكتشاف غابين آخرين اكثر اتساعاً ، ولكنه لا يعين موضعها[١] . ولكن يظهر من كلامه ان احد هذين الغابين كان بالقرب من الحدث ، الى الجنوب الغربي من اهدن ، والاخر في قضاء الضنيه

١ Zach's Monatl Corr. 1806, XIII. p. 549.

جنوبي عكار [١] . اما هو نفسه فلم يزرهما . ولكنه بعد ذلك ذهب الى اطنوب شمالي اهدن حيث تكثر الاحراج ، فوجد الالوف العديدة من اشجار الارز [٢] . اما الغابة القائمة بالقرب من الحدث ، وهي التي يسميها الوطنيون وغيرهم ارزاً [٣] ، فقد افادني الدكتور بولدينغ ، نزيل دمشق ، ان شكل اشجارها عموماً يشبه الارز ، ولكن اوراقها تختلف كثيراً ، وهو يقول انها نوع آخر من الشجر [٤] . وهذا الرأي الاخير لا يتنافى مع شهادة اهرنبرغ ، اذ ان الحدث واقعة جنوبي هوة قاديشا [٥] .

حاولنا كثيراً ان نعرف الاسم المحلي لسلسلة لبنان الظهرية البارزة فوق الارز ، فبدأنا بالسؤال عنه في مرورنا بالبقاع [٦] ، وتابعنا السؤال على طول الطريق من الحصن الى هنا . تطلق الخرائط

١ Seetzen, I. pp. 167. 179.

٢ Ibid. p. 213.

٣ ,Berggren, Guide etc. p. 152.
Ritter, XVII. p. 638.

٤ ان الشربين الذي يعرفه العرب والذي يظن و. سيلسيوس O. Celsius وفريتاغ Freytag انه ارز ، هو السرو كما يقول سيتزن . ويقول سيتزن ايضاً ان السرو ينبت بكثرة على الجبل شرقي اهدن .
See O. Celsii Hierobot. I. pp. 74. 79.
Freytag's Lex. p. 408.
Seetzen's Reisen, I. pp. 173. 213.
Gesen. Thesaur. p. 246 sq.

٥ اما عن الامكنة التي يظن ان الارز موجود فيها فراجع :
Ritter, XVII. p. 638.

٦ راجع الصفحة ٥٣١ من المجلد الثالث للمؤلف .

الحديثة اسم جبل محمل على هذه السلسلة . وما الغاية من بحثنـــا وتكرار السؤال عنه سوى التثبت من ان العامة تعرفه بهذا الاسم ، ولكنا لم نعثر له على اي اثر بين السكان الوطنيين . ظهر هذا الاسم اولاً على خريطة برغوس Berghaus في العام ١٨٣٥ ، وهذا اخذه عن نسخة خطية من خارطة اهرنبرغ . لم اكتف بكل هذه المعلومات ، بل كتبت من بيروت الى صديقي المستر ويلسن ، وهو احد المرسلين الاميركيين المعين في طرابلس ، اسأله اذا كان الاسم المذكور على الخرائط معروفاً بين الاهلين ، فاجاب ان القوم يطلقونه على اعلى قمة في هذه الجبال ، ولكنهم يطلقون اسم جبل الارز على الجزء الذي اعنيه في سؤالي . ويقول الدكتور دي فورست ان البعض يسمون هذه القمة العالية ظهر القضيب[1] . يُستنتج مما ذكر اعلاه ان هذا الاسم محمل هو اسم تلك القمة العليا ، وليس اسم ذلك الجزء من الجبـــل ، وهو على الاكثر اسم محلي يعرفه الطرابلسيون فقط ، ولا يعرفه سواهم . ولذلك يجب حذفه من الخارطة وحصره في تلك القمة العليا ، وابداله باسم جبل الارز او جبل بشري .

اما ارتفاع هذه القمة العليا التي هي اعلى قمة في لبنان كله ، كما ذكرنا سابقاً ، فهو نحو تسعة الاف وثلاثمـــائة وعشر اقدام

١ راجع الصفحة ٥٤٧ من المجلد الثالث للمؤلف .

يقول المستر ويلسن انه يوجد فرق باللفظ ، وهو يكتب محمل Mahmel ومحمد Mahmed.

اما ملاحظة الدكتور سميث فهي « ان التهجئة مشوشة نوعاً ، ولكني استنتج من كل هذا ان مُخمل Mukhmal هي التهجئة الصحيحة ».

انكليزية[1] . وارتفاع النقطة العليا على الطريق بين الارز وبعلبك هو نحو سبعة الاف وخمسماية قدم انكليزية[2] .

بين الارز وبشري

حصرون . هوة قاديشا . موقع بشري . ارتفاعها .
كرسي اسقف ماروني . وفرة الماء والري . خصاص
لتربية دود القز . قطاف الشرانق وحلها .

تركنا الارز الساعة الثالثة ، وجهتنا حصرون الواقعة جنوبي قاديشا ، تحت بشري . تتكون هوة بشري الكبيرة من ثلاث شعب اصغر منها ، تأتي من فوق وتنضم الى بعضها على بعد نصف ساعة ونيف شرقي القرية . تبدأ الشعبة الشمالية قبالة الارز تقريباً ، واعتقد ان فيها ينبوع قاديشا الذي وصفه سيتزن وسواه[3] . وتبدو الشعبة الوسطى ، وهي اطول الثلاث ، ممتدة صعداً حتى سفح السلسلة العليا . اما الشعبة الجنوبية فهي اقصر الثلاث واقلها عمقاً . تنضم هذه

١ راجع الصفحة ٥٤٧ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ يقدر رسيغر (Russegger, l. p. 713.) ان الارتفاع سبعة الاف وخمسماية قدم بارسية .
اما شوبرت Schubert فيقول انه سبعة الاف ومائة واربع وخمسين قدماً باريسية ، ولكن هذا الارتفاع هو على ممر بين بحيرة ليمون (كذا في الاصل . — المعرب) وحصرون ، جنوبي الطريق العادية . راجع :
Schubert, III. p. 355. 358.

٣ Seetzen Reisen, I. p. 170.
Berggren, Resor, III. Rihang, p. 12.

الشعب الثلاث فيتكوّن من انضمامها حوض ارض متسع ، ربما بلغ عمقه الف قدم . جوانبه منحدرة ، اما اسفله فطمئن ومحروث . هُدينا الى طريق تدور حول اعلى الحوض ثم تهبط على الجانب الاخر منه الى حصرون ، فنتلافى بذلك نزولاً طويلاً ، ووقتاً يقرب من الساعة او يزيد . توفقنا بدليل زعم انه يعرف الطريق ، فكانت النتيجة عكس ما املنا . درنا حول رأس الشعبة الشمالية ، وعبرنا الثانية وهي جد عميقة ، وكنا على وشك عبور الثالثة التي تقل عنها عمقاً ، ولكن الناس الذين كانوا في الحقول اكدوا لنا خلو الجهة الثانية فيها من الطريق ، وان جيادنا ستخوض حمأة الحقول السبخة . فلم يكن لنا بد من الرجوع الى نقطة تبعد عشر دقائق عن جنوبي الارز ، ثم السير على الطريق العمومية الى بشري ، فخسرنا ساعة ونصف الساعة من حيث لا ندري .

تركنا تلك النقطة التي رجعنا اليها الساعة الرابعة والدقيقة الاربعين ، فوصلنا سريعاً الى حافة الهوة او الحوض الواقع عن يسارنا . المشهد من هنا شيق جميل . بطن الهوة السحيقة مشبع بالاخضرار ومحروث ، ولا تحسده ضفتها الجنوبية . اما طرفها الشرقي حيث تدخل الشعب الثلاث فوعر وقفر . يخرج المضيق الذي يجري فيه النهر من منتصف الطرف الغربي تقريباً ، وهذا المضيق جد ضيق ، صخري ، وشديد الانحدار . في زاويته الشمالية تقوم قرية بشري ، على نصف المسافة الى فوق تقريباً ، تصعد نظرها في حوض الارض ، ومن ورائها المضيق المذكور كأنه فضاء غامر او لوحة خفية رُسمت فيها الطبيعة في اشد اشكالها وعورة .

لم تعتم الطريق ان ابتعدت عن حافة الحوض المذكور ، فسارت

وراء حرف هزيل من الجبل يفصلها عن الحوض ، ثم دارت حول طرف الحوض الغربي ، وانحدرت على جانب واد جانبي ، فاوصلتنا الى القرية الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين ، اي بعد ساعة من براحنا الارز . ان هذا الجزء من الطريق منحدر وشاق . ينحدر عن يمين الطريق جدول جميل يخرج من ينبوع عين النبات الفوار ومن غيره من الينابيع التي ذكرناها سابقاً [١] . يكوّن هذا الجدول شلالات متتابعة لا يقل ارتفاعها كلها عن ثلاثمائة قدم . اما الشلال الذي تحت القرية تماماً فارتفاعه مئة قدم تقريباً . يقول شوبرت ان ارتفاع بشري اربعة الاف وستمائة وعشر اقدام انكليزية ، او نحو الف وثمانمائة قدم اقل من ارتفاع الارز ، وتنخفض اكثر من مئة قدم عن اهدن [٢] .

تقوم القرية على الزاوية الشمالية البارزة ، حيث يخرج المضيق العميق الوعر من حوض الارض . كانت الاكمة التي ترتفع بانحدار وراءها خضراء محروثة ، تزين منحدراتها الاشجار المثمرة ، واشجار التوت ، بضروب الالوان . وبديهي ان نرى سائر المنخفضات قد تحولت الى جلالي ضاحكة محروثة بعناية . ولا تكاد اية قرية من القرى التي رأيتها حتى الان تفوقها اجتهاداً ومثابرة وحسن ادارة ورخاء . كان العديد من الاهلين على الطرقات ، وندر ان التقينا بانثى لم تبادرنا بطلب البخشيش . كانت بشري سابقاً وقد تكون

١ راجع الصفحة ٥٨٧ من المجلد الثالث للمؤلف .
٢ Schubert Reisen, III. p. 365. n.

الان كرسي اسقف ماروني [١] .

اما خصب هذا الاقليم اللبناني العالي فمرجعه الى وفرة الماء وغزارته . فالينابيع والجداول تتفجر في كل مكان ، وقد عم الري الغزير المنخفضات المرتفعة في الا كام ، ناهيك بالارتفــاع وبرودة الجو اللذين يبقيان كل شيء اخضر حتى في هذا الفصل من السنة . اما الحصاد فلا يبدأ قبل مضي بضعة ايام او اسابيع . ويتأخر ايضاً قطاف الشرانق . ولكن موسم القز في السهل الاوطأ قد انتهى ، واشجار التوت تعرت من اوراقها وقضبانها ، والقوم بدأوا « يحلون » الشرانق . اما في الجبال فدود القز لا يزال في بدء تفقيصه ، واشجار التوت لم تمس بعد . ان الاماكن التي يُربّى فيها دود القز هي عبارة عن مظلات كبيرة (خصاص) مبنية من القصب والعساليج او القندول للوقاية من الشمس فحسب . وهذه الخصاص منتشرة حول جميع القرى . اما الاشجار حول بشري ففي غاية الجمال ، وهي تشمل اشجار الجوز والاجاص والتين والكثير من الاشجار المتنوعة [٢] .

١ De la Roque, I. p. 65.
Dandini, ch. 34. p. 172.
Comp. Le Quien Oriens Chr. III. 95. 97.

٢ راجع رحلة بركهاردت ، الصفحة ٢٠ .

بين بشري وحصرون

دير مار سركيس . حقول البطاطا . بقاع كفره .
بقرقاشه . بزعون .

توقفنا في بشري عشر دقائق ، ثم تابعنا طريقنا الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين وسط القسم التحتاني من القرية . عبرنا الجدول الجاري من الشلالات على بعض المسافة فوق الشلال الاخير [١] ، ثم تابعنا السير على جانب المنحدر كي نتمكن من عبور قاديشا عند مستوى اعلى من المستوى الذي نحن عليه ونتلافى منحدراً طويلاً . في مكان مرتفع تحت صخور الصبب الشمالي عن يسارنا ، يجثم دير قال دليلنا الذي رافقنا من القرية ان سكانه هم من الفرنجة . وهذا الدير هو دير مار سركيس الماروني القائم بالقرب من بشري ، وهو الدير الذي مكث فيه سيتزن عدة اسابيع في شهري تموز وآب من العام ١٨٠٥ ، واجاد في وصف المنظر الجميل الجذاب الذي يكتنفه [٢] . كان الفرنجة التابعون للكنيسة الرومانية ، رهبان او علمانيون ، غالباً ما يقيمون بعض الوقت في

١ يقول سيتزن ان اسم هذا النهر هو نهر مار سمان (كذا في الاصل ، ولا ريب انه نهر مار سمعان . — المعرب .) Mâr Semân (St. Simon) .
Reisen, I. pp. 158, 160.

٢ Reisen, I. p. 158 sq. 208.
يقول كل من سيتزن وبركهاردت ان هذا الدير كرملي ، وفي ايام بركهاردت كان فيه راهب واحد فقط من تسكانيا ، وربما كان الاب لويس الذي يذكره سيتزن . راجع بركهاردت ، الصفحة ٢٠ .

هذا الدير .

وصلنا نهر قاديشا الساعة السادسة والدقيقة العاشرة على مقربة من مطحنة وجسر . الجسر عبارة عن جذوع من الاشجار موضوعة عبر النهر ومغطاة بحجارة صغيرة مسطحة . انه بناء هزيل وخطر . انتظرنا هنا بفارغ صبر وصول البغال التي تحمل امتعتنا ، فانها تأخرت لان احدها سقط ارضاً ، فاضطر البغالون الى رفع حمله وتحميله بعد نهوضه . بعد ان تأخرنا نصف ساعة ، استأنفنا السير الساعة السادسة والدقيقة الاربعين ، فعبرنا النهر ، ثم تحولنا غرباً وصعدنا عرضاً بجانب المنحدر الجنوبي . لم نسر الا قليلا حتى كان الى يميننا المضيق العميق ، وجدرانه العمودية التي لا يقل ارتفاعها عن الالف قدم . بالقرب من بطن المضيق ، في هوة صغيرة الى الجهة الشماليه منه ، يربض دير يكاد يختبيء من الشمس وانوار النهار [1] .

تابعنا سيرنا على الضفة اليسرى العالية ، نشرف اكثر الوقت من عل على المضيق . هنا ايضاً مررنا على حقول البطاطا وشاهدنا الارض حولها غنية بالحرث . الساعة الثالثة مررنا تحت قرية بقاع كفره ، فكانت على مسافة ربع ميل عن يسارنا . ثم مررنا على بقرقاشه الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة . ومررنا تحت بزعون تماماً الساعة السابعة والنصف . وصلنا الى حصرون الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين . وبعد ان عانينا مشقة يسيرة في التفتيش عن

١ لم نتعرف الى اسم هذا الدير .

يقول اللورد لينديسي انه دير مار اليشع الذي ذكره دي لاروك . ولكن يظهر ان هذا الدير يبعد كثيراً عن بشري كما يقول دي لاروك . راجع :
De la Roque, I. pp. 63. 65.

مكان نضرب خيمتنا عليه ، خيّمنا ليلتنا في حقل مفلوح . وهكذا صرفنا ساعة ونصف الساعة بين بشري وحصرون ، مع ان المسافة بينهما على خط مستقيم لا تربو على الميل .

حصرون

مقر رئيس اساقفة ماروني . حنا الحصروني الشهير .
حدشيت . بلوزا .

حصرون قرية كبيرة مزدهرة . كانت سابقاً مقر رئيس اساقفة ماروني[١]، وهي مسقط رأس جوانيس حصرونيتا Joannes Hesronita الماروني[٢]، احد المحررين في مجمع اللغات في باريس Paris Polyglot[٣]. تربض حصرون على اقصى النقطة او الزاوية البارزة بين المضيق السحيق وواد جانبي قصير يمتد صعداً الى الجنوب عن يمين المضيق . تكونت هذه الزاوية المذكورة من صخر مشرف عمودي ، تجثم حصرون على حافته ، وتشرف على الاعماق المتثائبة ، تحت اقدامها . مقابل حصرون تقريباً ، الى جهة بشري ، تبرز قليلاً الصخور الحالقة

١ Le Quien Oriens Christ. II. 95.

٢ هو حنا الحصروني من قرية حصرون في لبنان الشمالي . تلقى علومه في المدرسة المارونية برومية . استدعاه الملك لويس الثالث عشر الى باريس مع جبرائيل الصهيوني الى الكلية الملكية واقامها على نفقته الخاصة ليترجما عن العربية والتركية والسريانية الى اللغة اللاتينية، وينشرا كتباً في لغتها العربية. فنشرا رسالة في اخلاق الشرقيين وعاداتهم، وترجما جغرافية الادريسي . ونشر الحصروني منفرداً رسالة في الاسرار المقدسة باللغة العربية . — المعرب .

٣ Gesenius, Notes on Burckhardt, I. p. 493. Germ.

القائمة على الجانب الشمالي من الهوة . على هذه الصخور المذكورة تقع قرية حدشيت . ويتاح لاهالي حصرون وحدشيت التحدث معاً عبر الهوة ، ولكن السفر من قرية الى اخرى يقتضي له نحو ساعتين . ها قرية بلوزا امامنا على مسافة ساعة على الجانب الشمالي ابعد الى تحت . كان اهالي حصرون منهمكين في بناء كنيسة جديدة ، وهي اكبر كنيسة رأيتها في الجبال ، طول احد حجارتها نحو تسع اقدام ، وسمكه قدم ونصف القدم . ان حجراً كهذا يعد كبيراً في بناء حديث ، ولكنه لا يعد شيئاً اذا قيس بحجارة الهياكل القديمة .

اما منظر هذا المضيق الكبير او الهوة ، والريف الذي يحيط به ، فمما يجتذب الانظار ويترك اثراً عميقاً في النفس . فالمضيق اجمالاً اعمق من اي مضيق آخر في لبنان واكثر وحشة . ان عمقه السحيق ، وجوانبه الصخرية الهاوية المظلمة وهي تقترب كثيراً من بعضها في اعماقه فتكاد تتماس ، ثم في بعض النقاط منه تنحدر تدريجاً ، وتنفرج عن بعضها في ارتفاعها من الاعماق ، والحرث الوفير والخصب المفرط في اية بقعة تربة او يطمئن عليها التراب ، وجنات الاشجار المثمرة ، وبساتين التوت ، وحقول الحبوب والبقال والخضار التي تكسو جوانبه وتزينها وتمتزج في كل مكان بصخور بارزة رومانطيقية ، ومنحدرات هاوية ، والقرى وهي تطل احياناً من بين الاشجار وتجثم حيناً على الصخور بشكل تصويري أخاذ ، والاديرة المدسوسة في الزوايا والمخبأآت القصية ، والاماكن البعيدة المنال تنبطن تارة وادياً بعيد الغور ، وطوراً تشمخ على قمم الجبال التي تحيط بهذه الاودية — كل هذه المناظر مجتمعة تضع امام الناظر اليها

مشهداً خيالياً مستغرباً تصويرياً رائعاً [1] .

اما رأس الوادي من بشري الى فوق ، فيجذب اليه الانظار لاسيما اذا تأمله الناظر من الناحية التحتانية . ان الجزء الشرقي من الحوض الارضي العميق يعتبر قاحلاً وعارياً اذا قيس بسواه . ولكنه هو نفسه او فروع منه تمتد صعداً بلصق سلسلة لبنان الظهرية ، فيخال المرء ان كل هذا الامتداد الذي يبتدىء من بطن الوادي الكبير حتى قمة الجبل منحدراً واحداً متصلاً بدون انقطاع . ان الانهر الخارجة من منابع قاديشا ، ومن ينابيع عين النبات وعين البقرة ، ونبع مار سركيس ، تتساقط وتتدحرج وتزبد في شلالات على طول مجاريها ، ثم تتحد فيتكون من اتحادها النهر المقدس .

في اليوم التالي القينا نظرة الى الوراء من مكان يبعد نحو نصف ساعة عن حصرون ، فاذا امامنا منظر رائع ، يشمل الهوة العميقة والحوض الارضي ، والاخضرار الضاحك ، وقرى حصرون ، وحدشيت وبشري ، والانهر والينابيع ، والارز ، وسلسلة الجبال الفخمة يكللها الثلج ، وهي السلسلة التي تؤلف المدرج الذي يحتضن كل هذه المناظر الفتانة . هنا في هذه البقعة الساحرة يمتزج جمال لبنان بعظمته .

ومما تجدر الاشارة اليه انه لم يقم بين قدماء المؤرخين ، على ما نعلم ، من جاء على ذكر نهر قاديشا وهوته .

الخميس ، ١٧ حزيران ـ . هـا الاهلون يستقبلون العيد بقرع

[1] قابل مع بركهاردت ، الصفحة ٢٠ .

اجراس الكنائس والاديرة منذ الصباح الباكر . ان خطتنا الان هي الاتجاه غرباً ، مع البقاء بجانب سلسلة جبل لبنان الفوقانية العالية بقدر ما تسمح لنا الطريق . اما القصد من هذا الاتجاه فهو زيارة الينابيع والاحواض لنهري ابراهيم والكلب ، واذا سمح لنا الوقت فزيارة نهر بيروت قبل الهبوط الى الساحل .
طريقنا اليوم هي الطريق نفسها التي سار عليها بركهاردت في ايلول من العام ١٨١٠ وجاء على وصفها باختصار[1] .

١ راجع رحلة بركهاردت في سوريا، الصفحة ٢٣ وما بعدها.

بين حصرون واللالو او اللقلوق

دير بدامان . دير قنوبين . بدامـــان . بلوزا . عربة قزحيا . قنوبر . الحدث . قنات . طرزا . براسيت . حارة بيت دبول . الحدث . اهدن . وادي الدوير . نهر العصفور . نهر الجوز . اكمة مسورة . وادي حربصا . عين البيضا . ممر الي . وادي تنورين . تنورين التحتا . دير حوب. تنورين الفوقا . وادي بشرينخ . نبع العقاب.

تركنا حصرون الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، ودرنا حول رأس الهوة الجانبية القصيرة العميقة . كانت الطريق التي سرنا عليها بمحاذاة طريق الحدث ، ولكننا تابعنا السير غرباً بجانب الحاجب اليساري لهوة قاديشا الكبيرة ، سائرين فوق القسم الهاوي منها ، فكنا نصعد تدريجاً ونبتعد عنها . ان المناظر حولنـا فخمة رائعة ، ولاسيا المنظر وراءنا الذي القينا عليه نظرة الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة ، وقد اتينا على وصفه في الصفحة السابقة . هنا ايضاً بدأنا نرى صخوراً بركانية سوداء ، وحجارة رملية حمراء. وبعد ذلك رأيناها مختلطة بالحجارة الكلسية . ومع اننـا مررنا على عدة بقاع او اراض رملية في طريقنا ، فاننا لم نر اشجار الصنوبر التي تنمو في مثل هذه الاراضي حتى وصلنا حوض نهر الكلب .

الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين وصلنا الى الضفة اليمنى لواد كبير . يتفرع هذا الوادي من هوة قاديشا بزوايا قائمة تقريباً ،

ويمتد صعداً الى الجنوب . تتحول الهوة اكثر الى الشمال الغربي تحت مكان اتصالها بالوادي المتفرع منها . الى يمیننا على الجهة التحتانية ، في الزاوية بين الوادي المذكور والهوة ، على الجانب الشرقي من الوادي الفرعي ، يربض دير اسمه دير بدامان[1] Deir Bdaman . ان هذا الدير ، مع دير قنوبين ، هما للبطريرك الماروني، وهو يصرف قسماً من فصل الصيف في دير بدامان . تقوم قرية بدامان حول الدير . عن شمالي الهوة الكبيرة ، قبالة فم الوادي الفرعي ، تقع قرية بلوزا التي ذكرناها سابقاً . على الجهة نفسها ، على نحو ساعة تحت بلوزا ، تقع قرية عربة قزحيا . على الجانب الغربي من الوادي الفرعي ، في الزاوية الواقعة قبالة بدامان ، تقع قرية قنوير[2] . غربي هذا الوادي الفرعي تقع سلسلة مرتفعة من الارض المحروثة ، وهي تمتد بعض المسافة على يسار الهوة الكبيرة بعد تغيير اتجاهها . على قمة هذه السلسلة غربي قنوير[2] تقريباً ، تقع الحدث ، وهي منا باتجاه بين الغرب والشمال الغربي ، على نحو ثلاثة اميال . وراء سطح السلسلة المذكورة ، بين الحدث وقاديشا ، توجد قريتا قنات وطرزا ، وهما غير منظورتين من مكان وقوفنا هذا . وطرزا واقعة في اقصى الشمال[3] . في منتصف المنحدر الشمالي الهاوي من هوة قاديشا ، يربض دير قنوبين ، على بعض المسافة

١ لا ريب ان المؤلف يعني الديمان . — المعرب .

٢ لا ريب ان المؤلف يعني قرية قنيور في قضاء الكورة ، لبنان الشمالي . — المعرب .

٣ في تموز من العام ١٨٠٥ ، مر سيتزن من قنوبين الى الحدث بطريق طرزا. راجع : Reisen, I. p. 178.

تحت قرية عربة ، ولكننا لم نتمكن من رؤيته لانه خارج عن مدى ابصارنا . ان دير قنوبين هذا هو المقر المركزي للبطريرك الماروني[1]. اما موقع الارز من مكاننا هذا فهو الى الشرق صداً كما يدل الحك .

تتحول طريقنا الان اكثر الى الجنوب الشرقي ، فنصعد تدريجاً على الجانب الشرقي من الوادي الفرعي . الساعة السابعة والدقيقة الاربعين مررنا وسط مزرعة تعد جزءاً من بدامان ، اسمها براسيت . بعد خمس دقائق اتجهت الطريق التي تؤدي الى الحدث عبر الوادي . اما نحن فتابعنا صعودنا الى الجنوب الغربي . الساعة السابعة والدقيقة الخمسين رأينا قرية حارة بيت دبول في رأس الوادي عن يميننا . الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة وصلنا اعلى المرتقى ، فكان موقع الحدث باتجاه بين الشمال والشمال الغربي . اما موقع اهدن فكان شمالاً بشرق تقريباً ، ولكن الضباب الذي كان منتشراً رقاعاً فوق الجبل كان يحجبها عنا .

الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين وصلنا الى حاجب هوة وادي الدوير العميقة الموحشة ، بعد عشرين دقيقة من السير المضني على صعيد وعر . هنا طريق آتية من الحدث . خطر لنا ان نمر

١ ان هذا الاسم في اللغة اللاتينية Coenobium ، وهذه الكلمة معناها دير .

زار بوكوك وسيتزن وبركهاردت هذا الدير ، كما زاره اخرون من قبل ومن بعد.

Pococke, II. i. p. 103.
Seetzen, Reisen, I. p. 175.
Burckhardt, p. 21.

على الحدث ، ولكن مرورنا سيؤخرنا ساعة . لقد خلفنا الان حوض قاديشا وراءنا . ينحدر وادي الدوير الى نهر العصفور او الى نهر الجوزة [1] بالقرب من البترون ، ولكنا لم نتثبت تماماً الى اي منهما . كنا نشاهد عن يميننا من مكاننا هذا سلسلة لبنان الصخرية المقفرة التي صعدنا في وسطها بطريق وادي حيرونا . ولكن هذه السلسلة كانت متقطعة الى سلاسل وقمم مسننة وعرة وعارية . في هذه السلسلة يشق نهر وادي الدوير الصغير مجراه نزولاً . بين هذه السلسلة والسلسلة الفوقا العالية ، تقع بقعة الارض التي سوف نسير فيها ، وهي بقعة عالية ومنقطعة وقاحلة ، تخترقها هويّ عديدة . في الفضاء البعيد امامنا ، باتجاه بين الجنوب والجنوب الغربي ، كنا نشاهد شيئاً كأنه اكمة مسوّرة استعداداً للدفاع ، وهي قائمة على طريقنا مباشرة .

انحدرنا وعبرنا جدول وادي الدوير الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين . على المنخفضات حرث قليل لزراعة الحبوب ، ولم تقع ابصارنا على اية قرية . بعد ان صعدنا في مرتقى منحدر ، وصلنا الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة الى رأس الجانب الجنوبي ، فاذا بنا نشاهد الحجارة البركانية امامنا . ان امامنا الان مسافة قصيرة تسير على بقعة وعرة من الارض ، قطعناها ثم ، هبطنا الى وادي حريصا ، وعبرنا الجدول الصغير الجاري فيها الساعة التاسعة والدقيقه الخامسة والاربعين . ينحدر هذا الوادي من سفح لبنان العالي نفسه ، ويمتد نزولاً في هوة وعرة عميقة ، وينضم الى نهر البترون .

[1] اي نهر الجوز . — المعرب .

ان الحرث في الجزء الفوقاني منه قليل . اما هنا فالدُخن [1] بدأ يظهر فوق الارض .

امامنا الان سلسلة اكثر ارتفاعاً ، صعدناها تدريجاً . الساعة العاشرة والدقيقة العشرين عبرنا جدولاً صغيراً آتياً من عين البيضا الواقعة على مسافة قصيرة عن يسارنا ، وهو يجري الى وادي حريصا .

توقفنا هنا خمس دقائق لنحمّل بغلاً سقط عنه حمله . هنا ايضاً رأينا صخوراً رملية ، ثم درنا حول المنخفض الشرقي المنحدر من اكمة مكونة من حجارة بركانية متفككة ، بطريقنا الى الممر الذي يخترق السلسلة ، فوصلناه الساعة الحادية عشرة . ان الثلج ينتشر رقاعاً حولنا . حقاً انه ممر البيّ [2] . كان اتجاهنا هنا الى الجنوب الغربي على مسافة قصيرة . رجعنا الى السير على الصعيد ، فسرنا مسافة خمس عشرة او عشرين دقيقة ، فكان عن يسارنا سلسلة لبنان الشامخة ، قريبة جداً منا . تحتنا الى اليمين ، وادي تنورين ، وهو هنا على موازاة طريقنا ، ولكنه لا يلبث ان يتحول غرباً فيجري الى البحر بالقرب من البترون ، في هوة عميقة ، وعرة ، وحشية . على منخفضه الغربي ، بالقرب من المكان الذي يتحول عنده غرباً ، وعلى نحو ميل منا ، كانت قريتا تنورين التحتا وتنورين الفوقا . موقع تنورين التحتا في الشمال الغربي بغرب ، وموقع تنورين الفوقا بين الغرب والشمال الغربي . ابعد الى تحت ، تحت المكان الذي

١ الدخن حب صغير املس جداً كحب السمسم ، واحدته : دخنة . — المعرب .
٢ نسبة الى جبال الالب في فرنسا . — المعرب .

يتحول عنده الوادي ، رأينا دير حوب الماروني[1] .

ان الجزء الاعلى من وادي تنورين ، واظن انه يسمى وادي بشريخ ، هو الوادي الذي وصلنا اليه بعد ان عبرنا الممر . ربما كان هذا الجزء اعمق من سائر الاودية التي عبرناها واكثرها وعورة ، وهو يأتي من سفح اعلى سلسلة في الجبل . هبطنا كثيراً ، ثم تحولنا الى اليسار ، فدرنا حول رأسه على ارتفاع مئتي قدم او اكثر فوق قعره . الساعة الحادية عشرة والدقيقة الاربعين كنا قبالة بطنه . في الوادي ينبوع اسمه نبع العقاب . استأنفنا صعودنا فخرجنا الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين الى صعيد وعر ، هو نجد عال حيث شاهدنا جمالاً ترعى . ان هذه البقعة تسمى ارض عقلوق[2] .

١ زار سيتزن هذا الدير والقرى العام ١٨٠٥ في مجيئه من الحدث .

٢ اخطأ بركهاردت في كتابتها لقلوق . راجع الصفحة ٢٣ . (هكذا وردت في الاصل ولا ريب انها العقلوق او اللألؤ . راجع ما كتبه المرحوم امين الريحاني عن هذا الاختلاف في التهجئة في كتابه قلب لبنان ، في الصفحتين ٢٢٩ و ٢٣٠ . — المعرب .)

بين اللألؤ والعاقورة

كتل الثلج . طول سهل اللألؤ وعرضه. وادي بشريخ . عرب الهب . اكمة هرمية . شدة البرد . الطريق من تنورين الى بعلبك . ينبوع عين الرومه . وادي المغيرة. المغيرة . وادي العاقورة. وطى البرج . موقع العاقورة. جدار صخري . طريق من العاقورة الى بعلبك. نقوش فرنجية . كنائس واديرة خربة . كرسي مطرانية. لطف الخوري . تذمر بركهاردت .

منذ ان تحولنا الى الجنوب الغربي عند بدامان ، كنا نرتفع تدريجاً ، ونقترب اكثر فاكثر الى اعلى سلسلة في لبنان . فقد كنا حقاً على ارتفاع عظيم ، ومررنا على العديد من كتل الثلج ، بعضها فوق طريقنا وبعضها تحتها . كنا بين آونة واخرى نمتع ابصارنا بمناظر جميلة من البحر والشاطىء . ارض عقلوق سهل سطحه غير مطمئن ، تنتصب الصخور في بعض نواحيه ، وتضحك مراعيه اخضراراً في البعض الاخر ، وتنتشر عليه قطع كثيرة تشبه الرخام الاسود. يمتد هذا السهل نحو الساعتين طولاً ، ولكنه ضيق جداً ، وهو واقع بين وادي بشريخ وحاجب الاحدور الذي يؤدي الى العاقورة . تحده من الشرق اعلى سلسلة في لبنان ، ومن الغرب السلسلة الموازية لها وهي اكثر انخفاضاً منها ، قممها مسننة وعارية وقد جئنا على وصفها سابقاً . وهذه السلسلة الاخيرة تزداد ارتفاعاً جنوبي وادي تنورين ، وتصير اكثر تسنناً ووحشة ما وجدت الى التسنن والوحشة سبيلا ، وهي تحافظ على خاصيتها هذه في امتدادها الى الجنوب حتى حوض نهر الكلب . يزداد جزؤها الاخير هذا اتساعاً باتجاه

البحر . ارض عقلوق عالية جداً ، ولا تزال رقاع الثلج منتشرة بكثرة عليها ، وعلى الجبل الذي يجاورهـا . ترتوي الارض من ذوبان الثلج ، وتتكون منه جداول صغيرة تجري وسط السهل . ولذلك كانت انحاء كثيرة منه مغطاة بالعشب الاخضر ، والمراعي الجميلة الوفيرة . لم نشاهد حرثاً في السهل ، ولا توجد قرية باسم عقلوق ، ولم نر هنا سوى بضعة من العرب ضاربين خيامهم ، وهم يملكون الجمال التي رأيناها في المراعي . يقول بركهاردت ان هؤلاء العرب هم من عرب الهيب [1] ، وهم يقضون فصل الشتاء عادة على شاطيء البحر حول جبيل وطرابلس وطرطوس ، واحياناً ينزلون الى تنورين او العاقورة [2] .

عندما وصلنا الى ارض عقلوق رأينا اننا نقترب من الاكمة

١ يرجع اصل عرب القلوق الى عرب النعيم المنتشرين في حماه وحوران وشرقي الاردن كما يقول افرادهم استناداً الى مخطوطة لديهم . اما سبب مجيئهم الى لبنان فهو ان شابين منهم تزوجا من فتاتين رغم ذويها ، اي ذوي الفتاتين . وكانت العادة عندهم ان يباح دم كل من يقدم على زواج كهذا سبع سنين . ولذلك هرب الشابان مع عروسيهما والتجأا الى الامير بشير في لبنان ، فامنهم على حياتهم والحق الشابين بحاشيته (جعلهما من زلمه) ، وكان يكلفهما جمع الضرائب من البلاد . وحدث ان تمنع احد أهالي العاقورة عن دفع الضرائب فذهب الامير مع زلمه لتأديبه . وعندما وصلوا الى القلوق ، لحظ الامير ان الشابين يتساران ، فسألهما عن الامر ، فقالا انهما اعجبا بالارض وموقعها ، فوهبها لهما وحدد لهما حدود ملكيتها . وهكذا استقر العرب في القلوق . كان احد الشابين شجاعاً مقداماً فسماه « دويعر » وسمي الاخر « غشمشم » اي غشيم ، وهو اسم عرب القلوق اليوم ، اي عرب بيت غشيم . اما عرب الهيب فهم عيلتان جاءتا بعد عرب النعيم وسكنتـا بجوارهم . هذا ما يحفظه شيوخ القبيلة الذين اتفق لي ان اتصلت بهم . — المعرب .

٢ راجع بركهاردت ، الصفحة ٢٥ وما بعدها .

الهرمية التي جئنا على ذكرها سابقاً ، وشاهدنا الصخور تبرز منفردة باشكال غريبة حول قمتها ، فتظهر من بعيد كأنها اسوار حصن كبير . الى يسار هذه الاكمة ، قمم صخرية اخرى . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وصلنا الى سفح هذه الاكمة الغربي ، فكانت رقاع الثلج منتشرة على جوانبها ، وكانت كتلة كبيرة منه تقطع علينا طريقنا . كانت تلك الكتل الثلجية راسخة ومتجمدة ، فعبرت عليها البغال المثقلة بالاحمال وكأنها تمشي على ارض صلبة . كان احد بغّالينا ، وهو من حاصبيا ، قد انحرف عنا قبل نصف ساعة ، فجمع قليلاً من الثلج وعمل منه كرة كبيرة حملها معه ، لان الثلج نادر في مثل هذه الايام ، ولكنه رماها هنا عندما شاهد كثرته . الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين توقفنا لنتناول طعام الظهر تحت جناح الاكمة الجنوبي الغربي ، وكان لا يزال امامنا سلسلة جبال وطيئة . كانت الريح شديدة البرودة ، فالتمسنا الدفء تحت اشعة الشمس ، ولم اشعر بثقل وطأة المعطف عندما ارتديته .

تصعد طريق من تنورين وتسير عن شمالي الاكمة ، فتعبر سلسلة لبنان العالية الى بعلبك . سار عليها الدكتور دي فورست في ايار من العام ١٨٤٨ في طريقه من طرابلس ماراً باميون وتنورين . وبعد ان سار نصف ساعة شرقي طريقنا ، لم يعد يرى البحر . ثم عبر وادياً منحدراً باتجاه العاقورة ، يبعد عنها ساعة ونصف الساعة . وبعد نصف ساعة كان ثانية على السلسلة العالية . وبعد نصف ساعة اخرى وصل الى ينبوع صغير اسمه عين الرومه . وبعد خمس عشرة دقيقة بدأ يهبط احدور الجبل نفسه ، فاوصلته الطريق

الى الطرف الشمالي الشرقي من بحيرة اليمونة [1] .

على الطريق الى العاقورة

استأنفنا السير الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين ، فدرنا حالاً حول كتف الاكمة ، ثم صعدنا قليلاً باتجاه الجنوب الشرقي بجنوب ، فلم نلبث ان اشرفنا على الوادي الكبير الذي يحتضن العاقورة ومنابع نهر ابراهيم . كانت كتل جبل صنين العالية تشمخ قبالتنا . عرفنا بعد قليل اننا كنا على قمة نتوء كبير بارز الى الجنوب الغربي ، من سلسلة لبنان الرئيسية ، يشبه ذاك الذي يحجب مدرج الارز من الشمال ، وهو مثله يكوّن الجانب الشمالي الغربي للوادي الكبير الذي تحتنا . ان هذا النتوء المذكور هو اولاً بارتفاع السلسلة الرئيسية ، ولكنه ينخفض تدريجاً باتجاه الجنوب الغربي . كنا على اعلى جزء منه تقريباً ، وهو يُرى بجلاء من الاكمة المسوّرة المذكورة سابقاً ، واقرب ما يكون الى السلسلة الرئيسية ، وهو على الارجح اعلى نقطة وصلناها .

يطلق على الوادي الذي تحتنا عادة اسم وادي المغيرة ، على اسم قرية فيه ، ولكن الاصح ان يسمى وادي العاقورة . يمتد هذا الوادي صعداً الى الشمال الشرقي تحت جناح جبل صنين الشمالي ، ويبدو من هنا انه منفصل عن الجبل المذكور بجناح بارز او مدرج ، ولكنا وجدنا بعد ذلك ان العديد من الاودية وحروف الجبال

[1] راجع مذكرات المرسلين .

تفصل بينهما ، منها البقعة الالبية المعروفة بوطى البرج [1] ، واودية متنوعة تمتد صعداً فوق منابع نهر ابراهيم الرئيسية . اما الوادي الكبير الواقع على هذا الجانب من صنين ، فيرى من هنا على مساواة البقاع في الجانب الاخر ، وجوانب صنين المدثرة بالثلج مكشوفة على الجانبين . اما صنين نفسه فغير منظور من وادي العاقورة وافقا الواقعين تحته .

العاقورة

ان الطريق الى العاقورة شديدة الانحدار طويلة ، ولم نصل الى القرية الا بعد ان سرنا ساعة وعشرين دقيقة ، فوصلناها الساعة الثانية والدقيقة الخمسين . تقع العاقورة على المنحدر الشمالي الغربي فوق بطن الوادي ، على رأس الوادي الكبير نفسه ، وهي تشرف على مجراه الجنوبي الغربي . يحجب هذا الطرف من الوادي جدار شامخ من الصخر العمودي تقريباً ، يمتد عرضاً شمالي غربي القرية الواقعة تحته ، ارتفاعه الف قدم . وراء القرية شق ضيق في هذا الجدار الصخري تصعد فيه طريق تسير فوق الجبل الى بعلبك ، واظن انها تنضم ، بعد ساعة ونصف او اكثر ، الى الطريق التي سار عليها الدكتور دي فورست [2] . على مسافة ساعة من القرية ، على هذه الطريق نفسها ، نقوش حروفها افرنجية كما اخبرنا الكاهن ،

١ راجع بركهاردت ، الصفحة ٣٥ وما بعدها .
٢ راجع الصفحة ٦٠١ من المجلد الثالث للمؤلف .

واظن انه يعني انها ليست عربية [1] . ليس من خرائب قديمة في العاقورة نفسها ، إلا ان الاهلين يقولون بوجود لا اقل من اربعين كنيسة وديراً خرباً على الاكام المجاورة ، ولكن لا بد من اسقاط شيء من هذا العدد . سكان العاقورة موارنة ، والقرية كانت سابقاً كرسي مطران ماروني [2] . زارنا الخوري واظهر لنا من اللطف والانس ما نشكره عليه . اما بركهاردت فقد تذمر من سكان العاقورة لانهم غير مضيافين [3] .

ان وادي المغيرة الكبير المطبق عند رأسه هو وعر وعميق وصخري ، ولكن كل بقعة تربة فيه يمكن الوصول اليها ، محروثة بعناية فائقة ، وغنية بالاشجار المثمرة والحبوب . شرقي القرية منحدر في منتصفه جدار من حجارة غير متماسكة دلنا السكان عليه واخبرونا انه يحيط بحقل من الحنطة في جل فوق الصخر العالي ، يحتال الاهالي على حمل ابقارهم اليه لحراثته . حقاً ان المواشي في الجبال تتسلق الصخور كما تتسلقها الماعز تقريباً . ان المنـــاظر كلها حول القرية رومانطيقية ، مثيرة للعواطف .

١ سمع بركهاردت ايضا ان هذه النقوش هي نقوش يونانية . راجع رحلته في سوريا ، الصفحة ٢٠٩ .

٢ Le Quien Oriens Christ. III. p. 93.

٣ راجع بركهاردت ، الصفحتين ٢٤ و ٢٥ ،عن تذمره من سكان العاقورة .

بين العاقورة والمنيطرة

جسر طبيعي . علوه . نبع الرويس . قرية الجدل . قرية المغيرة . معصرتان للخمر . طريق الى بعلبك واخرى الى زحلة .

تركنا العاقورة الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة ، فنزلنا وعبرنا الجدول الذي ينبجس من شق في المنحدرات ، وتابعنا السير تحت الحائط العالي المكون من الصخور ، باتجاه الجنوب بشرق تقريباً . الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين كنا في ابعد زاوية من عدوة الوادي الثانية . هنا مغارة قليلة العمق ، او بالاحرى فراغ في الجدار الصخري ، يجري منه سيل قوي في فصل الامطار . امام هذه المغارة او الفراغ ، يرسخ صخر طويل ومسطح ، يكفي عرضه ليكوّن جسراً طبيعياً تاماً تمر عليه الطريق . يعلو هذا الجسر نحو مئتي قدم او تماما فوق بطن الوادي . في هذا الفصل من السنة ينبجس ينبوع غزير في المنحدر تحته ويندفع بقوة الى الوادي . اسم هذا الينبوع نبع الرويس .

تحولنا باتجاه بين الجنوب والجنوب الغربي ، وسرنا بجانب سفح الحرف العالي المنحدر الذي يحجب الوادي من ناحيته اليسرى . في هذا المكان تتوالى الكتل الصخرية التي توجد عادة في الاودية ، ولاسيما ابعد الى الجنوب . ينحدر على جانبي الوادي ، من سفح الجبال العالية المنحدرة ، نجد متموج او مدرج ، ويواصل انحداره التدريجي حتى منتصفه . وهذا المدرج هو غالباً خصب ومحروث وعامر بالقرى . اما هوة النهر فهي في

الوسط بين النجدين . وهذه الهوة تنخفض كثيراً عن المدرجين ، وهي حيناً وعرة وضيقة ، ثم تتسع كثيراً ، فتحرث ارضها وتكون عامرة بالقرى . طريقنا الان على المدرج الجنوبي الشرقي . الساعة الثالثة والدقيقة الخمسين كنا قبالة قرية الجدل الواقعة في الوادي التحتاني غربي النهر ، على مسافة ميل منا . ويبدو ان الجبل الذي نزلنا عنه اخيراً يحجب الوادي من الجهة الشمالية الغربية . اما النهر فيجري الى الجهة الجنوبية الغربية ، وفي ذلك الاتجاه يشق مجراه ، وسط الحرف الغربي الوعر الذي مر وصفه اعلاه ، في مضيق عميق وحشي[1] . تقع قرية المغيرة على مسافة نحو ساعة تحت الجدل ، على المدرج الغربي الاكثر ارتفاعاً .

الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والاربعين تحولنا الى اليسار ودرنا حول زاوية الجبل ، فدخلنا وادياً آخر كبيراً شبيهاً بالذي خرجنا منه ولكنه اقصر ، يجري فيه جدول آتٍ من الجنوب الشرقي . تابعنا طريقنا على المدرج الشمالي فوصلنا الساعة الخامسة الى قرية المنيطرة الواقعة على المدرج المذكور بالقرب من رأس الوادي الذي تحيط به ، هنا ايضاً ، جبال عالية هاوية . على المدرج المقابل رأينا قرية افقا قبالتنا ، على ارتفاع اكثر ، موقعهما بين الغرب والجنوب الغربي . هنا في المنيطرة معصرتان للخمر مقدودتان في الصخر الواحدة ازاء الاخرى ، تشبهان كثيراً تلك التي جئنا على وصفها في حبلي[2] ، ولكنهما ليستا قديمتين مثلها . لم ار آثاراً للكروم في

١ راجع الصفحتين ٥٩٩ و ٦٠٠ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ دنان مقدودان في صف من الصخور على بعد قدمين عن بعضها . الواحد ثماني

ذاك الجوار في الوقت الحاضر . تصعد طريق من رأس المدرج الى قمة الحرف المرتفع شمالي صنين ، ثم تتفرع الى شعبتين ، تنحدر شعبة منها الى بعلبك ، والشعبة الاخرى الى زحلة . سار اللورد ليندسي Lord Lindsay على الطريق التي تؤدي الى زحلة . ويظهر ان بر كهاردت ايضاً سافر عليها من افقا [١] . في العام ١٨٠٢ مر الكولونيل اسكوير Col. Squire على هذه الشعبة بطريقه من جبيل الى بعلبك [٢] .

حصن المنيطرة

ورد في تاريخ الحروب الصليبية ذكر حصن ، لا ريب انه في لبنان ، اسمه مانيثيرا Manethera . ويروى انه في صيف العام ١١٧٦ م. زحف الكونت الطرابلسي Count of Tripoli من بيبلوس (جبيل) بطريق الحصن المذكور ، الى بعلبك ، لينضم الى الحملة

اقدام مربعة بعمق خمسة عشر قيراطاً ، ينحرف قعره قليلا الى الشمال باتجاه الدن الاخر. والدن الاخر اربع اقدام مربعة بعمق ثلاث. يداس العنب في الدن الاعلى القليل العمق، ويجري العصير منه الى الدن الصغير العميق من ثقب في اسفله . هذه اول معصرة للخمر رأيتها من نوعها . وددت لو تمكنت من نقل هذا الاثر القديم كما هو معي الى لندن او نيويورك ، مهما كلفني نقله . راجع الصفحة ١٣٧ من المجلد الثالث للمؤلف .
(اما حلي فهي قرية زارها المؤلف في طريقه من عكا الى القدس . — المعرب .)

١ راجع رسائل اللورد ليندسي ، الطبعة الرابعة ، الصفحة ٣٦٠ وما بعدها . قابل مع بر كهاردت ، الصفحات ٢٥ — ٢٧ .

٢ راجع رحلات والبول Walpole في شتى بلدان الشرق، الصفحتين ٣٠٢ و٣٠٣. رافق الكولونيل اسكوير السادة ليك Leake وهملتون Hamilton ، وهو يكتب المنيطرة متري Mitree . اما كفر او فتر التي يتحدث عنها ، فقد تكون افقا . وهذه الطريق هي اقوم طريق بين جبيل وبعلبك .

العسكرية التي قام بها في الوقت نفسه الملك بولدوين الرابع من صيدا الى البقاع [1] . ومن الجلي ان مانيثيرا هذه هي المنبطرة ، وهذا الاسم يطلق الان على الاقليم الذي يحيط بها ، واسمه جبة المنيطرة [2] . لم نلاحظ خرائب توحي لنا انها خرائب حصن ، ولكن اهالي افقا اخبرونا ان على الطريق ، الصاعدة من رأس الوادي والمؤدية الى البقاع ، بناء كبير او قلعة مهدمة لا تزال باقية الى الوقت الحاضر [3] . ويذكر بركهاردت ان اهالي كسروان يسافرون كثيراً على هذه الطريق التي تؤدي الى البقاع ، ينقلون فلزّ الحديد على البغال والحمير من الشوير الى الافران الصاهرة القائمة على الاحدور الشرقي من لبنان حيث تكثر احراج السنديان التي لا وجود لها في الشوير [4] .

١ Will. Tyr. 21. 11.
Tuch in Zeitschr. der morg. Ges. IV. pp. 512, 513.
Ritter Erdk. XVII. p. 226.
راجع الصفحة ٥٢٥ من المجلد الثالث للمؤلف .

٢ راجع ملحق الجزء الثالث للمؤلف ، الطبعة الاولى، الصفحة ١٩٥ .

٣ قد لا يكون هذا القصر سوى « البرج الصغير المهدم » الذي سميت البقعة المعروفة بوطا البرج باسمه كما يقول بركهاردت. راجع رحلة بركهاردت ، الصفحتين ٢٥ و ٢٦ .

٤ راجع بركهاردت، الصفحة ٢٧ .

بين المنيطرة وافقا

اختلاف الرأي . مغارتان : داخلية وخارجية . ثلاثة جداول . ثلاثة شلالات دقيقة الانتظام . خرائب هيكل قديم . قطعة عليها نقوش يونانية . جفاف الينابيع في الصيف .

كانت خطتنا زيارة الينابيع في رأس الوادي ، ثم الذهاب الى افقا فنبيت ليلتنا فيها ، ولكن بغالينا صمموا على البقاء الليلة في المنيطرة ، وبدأوا بفك الاحمال عن البغال . ساهم خدمنا معهم في عملهم هذا ، ووافقوهم عليه ، وساعدهم اهل القرية بقولهم ان افقا مهجورة في الوقت الحاضر . لكننا لم نجاريهم في عملهم ولم نعبأ بما سمعنا ، بل تابعنا سيرنا نزولاً بانحدار بعض الوقت ، فوصلنا بعد خمس عشرة دقيقة ، اي الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين ، الى زاوية الوادي حيث يتكون النهر . هنا في الجدار الصخري الشمالي ، مغارة قليلة العمق ، او فراغ كالذي شاهدناه قرب العاقورة ، علوه نحو مئة وخمسين قدماً فوق بطن الوادي . في مؤخرة هـذا الفراغ ، بالقرب من اعـلاه ، باب صغير لمغارة داخلية اعمق من الاولى ، تبدو ممتدة بعض المسافة الى الداخل[1] لم نتمكن من التثبت اذا كانت المغارة طبيعية او صناعية ، لاننا كنا نفتقر الى ما ينير طريقنا ، وليس لدينا وسائل لتسلقها . يندفع من المغـارة الخارجية جدول من ينبوع غزير . والى الغرب منها تماماً يندفع

[1] قيل لسيتزن ان هذه المغارة تمتد الى مسافة بعض الساعات في الجبل .
Reisen, I. p. 245.

جدولان آخران من الصخر . ثم يندفع الثلاثة معاً نزولاً الى حوض على بعد نحو من خمسين قدماً على الأحدور الواقع تحت المغارة. تمر الطريق على جسر مبني من الحجر فوق هذا الحوض المذكور. تحت الجسر تماماً ، ثلاثة شلالات دقيقة الانتظام ، جميلة ومتعاقبة ، يخال للناظر الى دقة انتظامها ، ان قسماً منها على الاقل من صنع الفن[1] . ابعد الى الغرب ، جدول آخر يجري من الارتفاع نفسه ، وينضم الى الثلاثة الاول تحت الشلالات . ان بالامكان جعل كل هذه الجداول تخرج من المغارة ، وذلك باحداث تغيير طفيف ، وربما كانت تخرج منها في الماضي .

يمتد اخدود صغير الى الجنوب الشرقي من الشلالات يجري فيه نهر صغير . عبر هذا النهير ، وقبالة المغارة والشلالات مباشرة ، تقع خرائب هيكل قديم على بروز وطيء في طرف حرف الجبل ، يتفجر من تحت الخرائب ، في اسفل البروز الواقعة عليه هذه الخرائب ، ينبوع آخر غزير .

هيكل قديم متهدم

ان جدران الهيكل متهدمة الى الداخل كأن للزلازل يداً في

[1] يعتبر سيتزن ان جزءاً من الشلالات صناعي ، مع انه يقول ان الطبقات في الصخر الكلسي جد منتظمة حتى انها لتشبه البنيان . راجع : Reisen, I. p. 245.
ويقول فون ريشتر ان كل الشلالات صناعية . راجع الصفحة ١٠٧ .
ويذكر كل من سيتزن وفون ريشتر وجود مطحنة صغيرة عند الجسر .

تهديمها ، والخراب عام شامل ، وكتل البناء ممزقة شر ممزق ومنحاة عن مراكزها الاصلية بشكل يتعذر معه جداً تفهم رسم البناء وحجمه . ولكن يظهر ان دكة كبيرة غير منتظمة بنيت اولاً لاعداد فسحة مستوية مطمئنة من الارض تفي بالحاجة المقصودة منها . على هذه الدكة الاولى ربمـا بنيت دكة ثانية لا تتجاوز حدود الهيكل نفسه كثيراً . وهذه الدكة الثانيـة بنيت بانتظام وعناية تامين ، يحيط بالمدماك الاعلى منهـا نوع من الطنف او الافريز . على هذه الدكة الثـانية بني الهيكل الذي لا يكاد طوله يقل عن المئة قدم ، اما عرضه فخمسون قدماً او يتجاوزها . اما سائر حجارة البنـاء فهي من الحجر الكلسي الموجود في ذلك الاقليم ، واكثرها قطع كبيرة ، وبعضها منحوت جيداً . على الاحدور بالقرب من الهيكل ، يرتمي عمود كبـير ونفيس من الغرانيت السيناوي ، وعمود آخر يظهر من شكله انه رفيق له ، نقل الى افقا ، بعد ان شُظّيَ بوحشية ، فاصبح نصف حجمه الاصلي . اما كيف نقل هذان العمودان الضخمان الى هذا الارتفاع في الجبل ، فلغز خفي علي امره . لم نر في المكان اعمدة غير ما ذكرت .

يبدو ان الجهة الامامية من حائط الدكة الخارجية بنيت ابتداءً من اسفل البروز . هنا ، عند الزاوية الشمالية الشرقية ، يمتد صعداً ممر معقود تحت الدكة ، ويظهر ان الينبوع المذكور آنفاً كان سابقاً يخرج منه ، ولكنه الآن ينفجر بالقرب منه . فوق هذا الممر ، ممر آخر اصغر منه كثيراً يؤدي الى تحت الردم في الاتجاه نفسه . على الحائط الغربي في الممر التحتاني وجد المستر بارنت Barnett ، الذي كان مركز عمله سابقاً في دمشق ، قطعة من نقوش يونانية

لم يبق منها سوى بعض الاحرف .

يقول الاهلون ان الينابيع تجف في الصيف تقريباً . اما اسم هذا المكان الحالي فهو مغارة افقا .

اساطير وملاحظات تاريخية

ادونيس وفينوس . تدمير الهيكل بامر من قسطنطين . اسطورة النار المنقضة والمتأججة حول البحيرة . خواص الماء في البحيرة .

في هذا الفراغ المنعزل يتفجر النبع الرئيسي لنهر ادونيس كما يسميه الاقدمون ، وهو يصب في البحر جنوبي بيبلوس (جبيل [١]) . اما الآن فهو يعرف باسم نهر ابراهيم ، وهو الاسم الذي عرف به منذ القرون الوسطى [٢] . كانت هذه البقعة ايضاً مسرحاً للخرافة القديمة المذكورة في الاساطير الوثنية عن فينوس وادونيس ، وكيف ان خنزيراً برياً مزق ادونيس إرباً ، فصار دمه يخضب ماء النهر في فصول معينة من السنة [٣] . كانت بيبلوس منعكفة على

١ Strabo, 16. 2. 19. p. 755.
Plin. H. N. 5. 17 v. 20. "flumen Lycos: Palaebyblos: flumen Adonis."

٢ Edrisi par Jaubert, l. p. 356.

٣ Lucian de Syria Dea, Par. 6-8.
Movers die Phonizier, l. p. 191 sq.
ويقول موندريل انه رأى النهر في اذار «مصبوغاً باحمرار مدهش». وهو يظن ان ذلك مسبب عن «نوع من اكسير الرصاص الاحمر او كبريت الزئبق، او التراب الاحمر الذي

عبادة ادونيس [1] ، فبني هيكل مشهور لفينوس في افقا Apheca على الجبل [2] . ومن الواضح ان الخرائب التي جئنا على ذكرها اعلاه هي اطلال ذلك الهيكل .

اما اقدم اشارة الى هيكل فينوس في افقا ، فهي ما ذكر عن تدميره في عهد الامبراطور قسطنطين Constantine. يقول يوسيبيوس ان الهيكل كان مشيداً في اعالي لبنان ، وانه كان مدرسة للرذيلة والفجور ، يؤمه الاباحيون المتهتكون والفجرة والارذال [3] . وكانت كل قباحات الاثم والفحشاء بين الجنسين تُمارس في الهيكل . ولكن الامبراطور اصدر اوامره بتدمير الهيكل تدميراً مطلقاً ، وسائر ما فيه من الثروة النذورية ، لانه في رأيه لا يستحق ان يتمتع بنور الشمس ، فنفذت اوامره تلك . ويذكر سوزومين تلك الحادثة نفسها بعد مرور قرن على تدميره [4] . كان الهيكل في افقا ، على نهر

جرفه عنف المطر الى النهر ». راجع ما كتبه في السابع عشر من اذار.
اما انا فلا ادري اذا كان احد تعمق في البحث عن سبب هذا التلون .

١ Strabo, 16. 2. 18. p. 755.
اما ادونيس فهو تموز العبري. انظر سفر حزقيال ، الاصحاح الثامن ، العدد الرابع عشر . راجع : Gesen. Thesaur. p. 1507

٢ ترجم القدماء الاسم افقا عن اللغة العبرية ومعناه : امسك ، احتضن ، ضم الى صدره ، وعزوه الى عناق فينوس وادونيس الاول او الاخير .
Movers Phon. 1. p. 192.

٣ Euseb. Vita Const. 3. 55.
See also Euseb. de Laud. Const. c. 8.
قابل مع الصفحة ٥٢٢ من المجلد الثالث للمؤلف .

٤ Sozom. H. E. 1. 5.

ادونيس في لبنان . ولكن اسطورة متناقلة كانت مستحوذة على اذهان الجمهور ، وهي ، كما يقول هذا المؤرخ ، انه في يوم معين ، واستجابة لدعاء اكيد ، تنزل النار كالشهب من اعالي لبنان وتغور في النهر المجاور ، وقد اسموا هذه النار اورانيا Urania ، وهو اسم خلعوه على فينوس . في القرن نفسه ، ولكن في زمن متأخر كما يظهر ، يذكر زوسيموس Zosimus اسطورة تشبهها ، ولكنها انتشرت اكثر منها . فهو يقول ان افقـــا تقع في منتصف الطريق بين هيليوبوليس وبيبلوس [1] ، وان في افقا هيكلاً لفينوس الافيقية Venus Aphakitis ، وان بالقرب منه بحيرة[2] تتأجج من حولها النيران . اما ماء هذه البحيرة فذو خاصية مدهشة ، وهي ان سائر الهدايا والنذور التي تتقبلها الألاهة ، حتى اخفها كالحرير ، تغرق فيه . اما الهدايا التي ترفضها ، حتى اثقلها كالذهب والفضة ، فتطفو على سطحه .

ادى ذكر هذه البحيرة الى تصور وجود علاقة سابقة بين الهيكل في افقا وبحيرة ليمون Limun او اليمونة ، وهي البحيرة الوحيدة في لبنان [3] . ولكن هذه الفكرة هي ثانية المستحيل ، لان البحيرة كانت بالقرب من الهيكل ، بينما بحيرة اليمونة هي على الاحدور الشرقي من الجبل ، على مسافة عدة ساعات من الهيكل ، يفصل بينها حرف لبنان الفوقاني المرتفع . ولذلك فمن المرجح ان ما ذكره زوسيموس يرجع الى اسطورة شعبية حديثة النشأة ،

١ Zosimus, Hist. I. 58.
٢ Zosim. ibid.
٣ راجع الصفحة ٥٤٨ من المجلد الثالث للمؤلف .

اصبح بموجبها النهر الذي يذكره سوزومين بحيرة ، كما ان النار التي تشبه الشهاب المنقض من رأس الجبل ، اصبحت في هذه الاسطورة ناراً تتأجج من حول البحيرة . واكثر من ذلك ، فقد حاك المؤرخ اسطورة شعبية ، ذكرها سينيكا Seneca في القرن الاول ، تدور حول بحيرة في سوريا ، لا تغرق فيها الاشياء الثقيلة كالآجر [١] . اما اذا اخترنا ان نظل مصرين على وجود بحيرة حقيقية بالقرب من الهيكل ، فقد يكون وجد حوض صناعي بني فوق مساقط المياه ، حيث الحوض لا يزال قائماً ، او بني تحتها [٢] .

توارى ذكر الينبوع والهيكل ، ولم يأت احد على ذكرهما حتى القرن الحالي . فقد مر الكولونيل اسكوير من هنا العام ١٨٠٢ ، ولكنه لم يشر الى اي منها [٣] . وفي العام ١٨٠٥ كان سيتزن هنا ، وهو يصف المغارة ومساقط الماء (الشلالات) ويأتي على ذكر الخرائب ، ويظهر انه يفترض ان افقا وافيقا هما اسمان لمسمى واحد [٤] . في العام ١٨١٠ اقتفى بركهاردت اثره ، وهو لا يذكر في حديثه سوى « جدول » ، ولكنه لم ير خرائب بل سمع بها بعد ذلك [٥] . في العام ١٨١٥ ، مر من هنا و. فون ريشتر O. v. Richter

١ Seneca Quaest. Nat. 3. 26. " Est adhuc in Syria stagnum, in quo natant lateres, et mergi projecta non possunt, licet gravia sint."

٢ See genr. Ritter, XVll. p. 301 sq.

٣ راجع الصفحة ٦٠٤ من المجلد الثالث للمؤلف .

٤ Seetzen, Reissn 1. pp.. 245, 246.

٥ بركهاردت ، الصفحتين ٢٥ و ٢٠٩ .

مر بركهاردت فوق الجبل من افقا الى زحلة .

راجع الصفحة ٦٠٤ من المجلد الثالث للمؤلف .

ووصف الينابيع والخرائب وصفاً مختصراً ، ولكنه اجاد في التعبير عنها رسماً [١] . ومنذ ذاك الحين زار هذا المكان العديد من السياح .

افقا

موقعها . غياض الجوز . المناظر من افقا . ارتفاع المدرج.
هرب السكان من التجنيد . خرائب ذات اعمدة .

طال وقوفنا في هذه البقعة الرومانطيقية ، فتابعنا السير غرباً فوصلنا بعد ربع ساعة الى افقا . تربض افقا على المدرج الفوقاني ، على حافة هوة النهر ، قبالة المنبطرة التي تقع بين الشرق والشمال الشرقي من افقا . تحيط بافقا غياض من اشجار الجوز ، من اكبر وافخم ما شاهدناه منها حتى الآن . ضربنا خيمتنا على اعلى ارض في القرية ، على اكمة حيث نصب العمود السيناوي المجلوب من الهيكل المهدم . من مكاننا هذا احاطت ابصارنا بمنظر المغارة والشلالات . ومن هذه النقطة برزت امام عيوننا صورة فخمة خلابة ، هي مزيج من منظر الهوة ، والنهر ، والشلالات ، والجسر ، والينابيع ، والمغارة ، والخرائب ، والجبال المنحدرة الشاهخة التي تشمخ فوقها كلها . نحن هنا الآن على مدرج رائع . نعم انه لا يداني الارز بارتفاعه وانتظامه ووحشته وسعته ، ولكنه يطفح جلالاً ويضحك اخضراراً ويفيض جمالاً . اما الجبال المحدقة بهذا المدرج ، فربما ترتفع

١ O. v. Richter, pp. 106, 107.

الفي قدم فوقه ، بينما الجبـال التي فوق الارز ترتفع ثلاثة الآف قدم فوقه . اسفل المدرج هنا اكثر تكسراً ، ولكنه محروث وغني وخصب . لم اشاهد في كل تجوالي بقعة تستأثر بالذاكرة ، فنقف عندها مرحة مبتهجة ، كما تقف عند افقا وخلوتها المنعزلة ، وجمالهـا الذي يقصر عنه الوصف .

وهذا و. فون ريشتر وسيتزن كلاهما يتغنيان ويشيدان بتفوق هذا المشهد المحيط بافقا [١] .

لقد حاول سكان المنيطرة منعنا من التقدم الى ابعد من قريتهم بقولهم ان افقا مهجورة . ولكنا وجدنا عدداً كبيراً من السكان فيها ، فاخبرونا انهم رجعوا اليها منذ بضعة ايام . سكان افقـا متاولة ، وقد هجروا مساكنهم منذ بضعة اسابيع هرباً من التجنيد ، فلجأوا مع نسائهم واولادهم الى الاماكن الاشد وعورة ووحشة في الجبال ، ولم يأخذوا معهم سوى الطحين ، فعاشوا هنـاك على الخبز والماء .

سمعنا في افقا بخرائب ذات اعمدة ، في الوادي باتجاه العاقورة ، تحت الجدل . واخبرونا ايضاً عن بناء كبير او قلعة ، على الطريق التي تسير وراء الجبال الى البقاع [٢] .

١ Seetzen in Zach's Mon. Corr. VIII. p. 550. O. von Richter, p. 106 sq.

٢ راجع الصفحة ٦٠٤ من المجلد الثالث للمؤلف .

بين افقا وضهور الهوا

خرائب الزواريب . لاسا . قرطبا . وادي المغيرة .
وادي المنيطرة . وادي نهر ابراهيم .

الجمعة ، ١٨ حزيران . — يمتد ، غربي افقا تماماً ، نتوء من الجبل الجنوبي عبر المدرج حتى حافة هوة النهر . سطح هذا النتوء بقعة من صعيد يشتمل على عدة فدادين من الارض المحروثة ، ويتصل بالجبل بسرج وطيء . قررنا زيارة هذه البقعة التي قيل لنا ان فيها خرائب هيكل .

اصطحبنا دليلاً من افقا وسرنا الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين ، فتسلقنا المصعد الشرقي في النتوء المذكور ، على مرتقى حاد وعر عن يمين طريقنا التي نسير عليها ، وهي تسير صعداً فوق السرج باتجاه الجنوب الغربي . تابعنا السير غرباً عبر الصعيد ، فوصلنا الساعة السابعة والدقيقة العاشرة الى حاجبه الغربي ، حيث الخرائب التي تسمى الزواريب .

خرائب الزواريب

يظهر ان هذه الخرائب هي بقايا بنائين حقيرين دميمين ، ربما كان احدهما هيكلًا يواجه الغرب ، ويشرف على المضيق الكبير الذي يشق فيه النهر مجراه وسط السلسلة الصخرية الاكثر انخفاضاً . اما البناء الآخر فلم نتمكن من معرفة شيء عنه ، والاعمدة لا وجود لها .

اما دورتنا هذه فقد كوفئنا عليها بان تمتعنا بالمنظر الشائق ، منظر الحوض الكبير المكون من الواديين الاتيين من العاقورة وافقا ، فقد كان جلياً امامنا ، ملء العين ، كما تمتعنا بمنظر المضيق الوحشي الذي ينحدر غرباً وراء الحوض . هنا ايضاً ، يظهر المزيج الذي جئنا على ذكره سابقاً ، جلياً واضحاً ، واعني به هوي الانهر الهادرة تحتنا ، والقرى العديدة المنتشرة على ضفافها ، ثم المدرجات العالية على كلا الجانبين ، وهي تفصل اهوي عن الجبال العالية . يسمى الوادي الاتي من العاقورة وادي المغيرة ، والوادي الاتي من افقا والمنيطرة يسمى وادي المنيطرة ، وهذا الاسم يطلق ايضاً على كل الوادي فوق الاتصال وتحته . وليس هذا الاسم سوى تسمية محلية ، لان الوادي تحت الاتصال هو بكل تأكيد وادي نهر ابراهيم . اما وادي المنيطرة فيجب ان يطلق على الوادي الفرعي الذي يخرج من المنيطرة .

على المدرج تحتنا جنوبي النهر قرية لاسا الصغيرة ، موقعها في الشمال الغربي . اما قرطبا فابعد قليلاً الى تحت ، موقعها شمالي الوادي على بعد ميل تقريباً [١] .

رجعنا ادراجنا من تلك البقعة واتجهنا بين الشرق والجنوب الشرقي . بعد عشر دقائق وصلنا الى اكيمة على الحاجب الجنوبي من الصعيد نفسه اسمها ضهور الهوا . اخبرنا الدليل عن وجود اطلال على هذه الاكيمة ، ولكنها اسفرت عن بعض الحجارة التي لم تمسها يد العامل تقريباً ، فهي خشنة وحقيرة .

١ راجع ما كتب عن هاتين القريتين في :
Seetzen Reisen, I. pp. 243. 244.

بين ضهور الهوا ونبع العسل

عين الحديد . اهمج . وادي شبروح . حوض نهر الكلب . نبع العسل . نبع اللبن . ميروبا . الفاصل بين نبع العسل ونبع اللبن . اتصال النهرين . نهر الصليب . قلة الحرث .

تركنا ضهور الهوا الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين وسرنا باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي ، فنزلنا عن الصعيد ووصلنا الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين الى الطريق التي كنا سائرين عليها حيث البغال بانتظارنا .

تابعنا طريقنا عالية بالاتجاه نفسه بجانب جانح الجبل القائم عن يسارنا ، وعلى ارتفاع فوق لاسا . ها نحن ، كما يبدو لنا ، على مدرج ثان اعلى من الذي كنا عليه واضيق منه . تابعنا صعودنا تدريجياً على طريق قيل انها تؤدي الى عين الحديد . بعد نحو ساعة ، اي الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين ، تحولنا فجأة ، وبدأنا نصعد الحرف العالي الشديد الانحدار عن يسارنا . على بعد نحو نصف ساعة ، غرباً ، كنا نرى قرية على الجانب الجنوبي لنهر ابراهيم اسمها عمهاز Amhaz [1] . كان المرتقى طويلاً متعباً ، لكنه لم يكن شاقاً ، وقد استغرق صعودنا خمسين دقيقة فوصلنا اعلاه الساعة التاسعة والدقيقة

[1] لعل المؤلف يعني اهمج . — المعرب .

الاربعين . نحن هنا على الارتفاع نفسه الذي كنا عليه البارحة ، على الحرف بين ارض عقلوق والعاقورة . الثلج منتشر حولنـــا . قبالتنا تماماً يشمخ جبل صنين ، مرتفعاً فوقنا بعظمة وجـلال ، ويبدو قريباً جداً منا .

امامنا فوراً وتحتنا ، واد طويل وعميق ومعتـدل باطمئنانه ، اسمه وادي شبروح ، وهو يخص حوض نهر الكلب ، ويمتد صعداً مسافة قصيرة عن يسارنا . لم نلبث ان بدأنا بالنزول اليه ، بجانب اخدود منحدر ، فوصلنا بطنه الساعة العاشرة . كان مجرى مائه جافاً عند مرورنا فيه . سرنا فيه نزولاً ، نصف ساعة ، باتجـــاه الجنوب الغربي ، فلم يلبث ان انكشف عن حوض نهر الكلب الذي لا يعرف الانتظام والاطمئنان . في هذه النقطة يتحول الوادي الى الغرب ، ويمتد ليكوّن الرافد الشمالي للنهر . يخترق حوض نهر الكلب جدولان آخران جاريان من الينبوعين الغزيرين ، هما نبع العسل ونبع اللبن . على جانبي كل من الجدولين انجاد مرتفعة او مدرجات . الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة كانت قرية ميروبا على نحو ميلين منا الى الغرب ، على المدرج العالي شمالي النهر . هنـا تحولنا الى الجنوب الشرقي بجانب النجد نفسه ، الى زاوية او قرنة في الجبل ، فوصلنا الى نبع العسل الساعة الحادية عشرة ، وهو احد الينابيع الرئيسية لهذا الرافد الذي يغذي نهر الكلب .

نبع العسل غزير جداً ، وماؤه في غاية البرودة ، وهو يتفجر من تحت سفح الحرف العالي نفسه الذي يمتد من هنا الى الجنوب الغربي . والنهر يزبد مندفعاً في مجراه بانحدار وسرعة فائقة . والينبوع الغزير الاخر ، وهو نبع اللبن ، ينبجس من سفح الحرف نفسه على

بعد نحو اربعين دقيقة الى الجنوب الغربي ، يفصل بينهما نتوء منخفض او نجد يمتد من الجبل . اما النهران الجاريان من الينبوعين فينضمان الى بعضهما بعد ان ينحدرا بعض المسافة في مجرييهما، ولكن قبل ان يتحدا ، اي فوق نقطة استصالها تماماً ، يتدحرج النهر الذي يخرج من نهر اللبن ، ويقفز فوق مسقط ماء او شلال مكوّن من صف من الصخور العالية . من ثم يتصلان ببعضهما ويجريان نهراً واحداً في الجزء الباقي من وادي شبروح ، قبالة ميروبا تقريباً . من هذين النهرين يتكون نهر الصليب ، وهو الرافد الشمالي لنهر الكلب . عبرنا هذا الرافد بعد ان سرنا مسافة قصيرة .

منظر هذا الحوض وحشي وصخري وقفر ، والحرث فيه قليل ، ويهجره الاخضرار في هذا الفصل . اما عناصر الجمال والعظمة التي تفيض في افقا والارز ، فقليلة في هذا الحوض ، وحروف الجبال التي تحيط به اقل ارتفاعاً من تلك واقل منها انساً .

بين نبع العسل والجسر الطبيعي

هوة نهر اللبن . جسر الحجر . جسر البغالة . طريق من زحلة الى الساحل . موقع نبع اللبن . ترع للري . الرجوع الى بيروت .

تركنا نبع العسل الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة واتجهنا نحو الغرب . صعدنا الى النجد الفاصل بين الينبوعين فوصلنا الساعة

الحادية عشرة والدقيقة الاربعين الى هوة النهر المتدفق من نبع اللبن . يمتد فوق هذه الهوة الجسر الطبيعي الشهير ، وهو ، لو وجد في غير هذا المكان مجرداً عما يحيط به ، لآثار الدهشة والاعجاب، وعد من معجزات الطبيعة . ولكن سعة ما يحيط به من الروعة والجمال تخفف نسبياً التأثير الذي يتركه في النفس . واذا لم يكن المسافر شديد الملاحظة ، فانه يمر على الطريق ويعبر الجسر دون ان يشعر بوجوده . يسمى هذا الجسر جسر الحجر واحياناً جسر البغالة . تمر على هذا الجسر طريق من زحلة تؤدي الى انحاء مختلفة من الساحل . اما الطريق التي سرنا عليها من الجسر الى مصب نهر الكلب فكانت قويمة جداً ويكثر السفر عليها .

يبعد نهر اللبن ربع ساعة الى فوق ، وهو تحت سفح الجرف نفسه في الجنوب الشرقي . وهو كالينبوع الآخر ينفجر رأساً من تحت الصخر العاري ، وليس في مكان انبجاسه اشجار او اخضرار . يندفع من هذا النبع نهر غزير يزبد منحدراً في مجراه . تعترض هذا المجرى جروف من الجبال وصفوف من الصخور في اماكن عديدة ، ولكن النهر يشق طريقه وسطها في هوة اقرب الى الحبال منها الى الحقيقة . فوق الجسر تماماً شقت هوة جد ضيقة طريقها بجدران عمودية وسط صف من الصخور التي تعترض مجرى النهر . بعد ان اكمل النهر شق مجراه وسط هـذا الصف الاول من الصخور ، اصطدم بصف آخر هائل الاتساع ، فشق طرفه المنخفض او الشمالي الغربي . يبدو هذا الشق او المجرى كأنه قطع بازميل قطعاً منتظماً ، على اشكال هندسية جميلة مختلفة ، منها الاعمدة ، والعضائد والدعائم والاسوار الدفاعية او الشرفات وغيرها .

ولا يزال الجسر الطبيعي فوق القسم الفوقاني او الجنوبي الغربي ممتداً فوق المضيق الواقع الى تحت . فاذا وقع النظر على هذا الجسر الطبيعي من الجنوب ، فانه يبدو كأنه قنطرة مستديرة عالية محكمة البناء نوعاً ، لا يقل امتدادها فوق النهر عن مئة وخمس وعشرين قدماً كما قدرناه ، وارتفاعها من ثمانين الى مئة قدم فوق النهر . اما عرض اضيق نقطة في الجسر (او الطريق التي تمر عليه) فهو نحو مئة قدم ، ويتجاوز المئة في بعض اجزائه . سماكة الصخر فوق القنطرة هي نحو ثلاثين قدماً ، والهوة في الناحية الشمالية اضيق منها في الانحاء الاخرى وتبلغ خمساً وسبعين قدماً تقريباً . اما القنطرة المذكورة فلا تمتد تحت الجسر كله ، ولكن منتصف سطح الجسر في الجهة الشمالية منه هو على شكل زاوية ، ثم تتوالى الاشكال الهندسية تحت الجسر على طول الهوة ، ولا تختلف عن شارع مليء بالخرائب الضخمة[1] . ويقول ويلدنبرخ ان ارتفاع الجسر فوق البحر هو اربعة آلاف وتسعماية وست وعشرون قدماً باريسية ، فهو اذن اعلى من

١ ان الاعداد الواردة في المتن ليست قياسات بل اعداد تقديرية قدرناها ونحن بعد في المكان نفسه ، وقد وافق تقديري تقدير المستر روبصن .

اما القياسات التي اخذها المستر تومسون قبلنا ونشرها في كتاب المكتبة المقدسة في العام ١٨٤٨ ، الصفحة الثالثة ، فهي كما يأتي :

فسحة القنطرة من عمود الى عمود	١٦٣ قدماً
الارتفاع فوق النهر	٧٠ الى ٨٠ قدماً
عرض الطريق فوق الجسر	١٢٠ الى ١٦٠ قدماً
السمك فوق القنطرة	٣٠ قدماً

اهدن[1] .

في هذا الفصل من السنة ، يجري النهر غزيراً ، ويندفع بعنف مزبداً تحت الجسر ، مع ان ترعة كبيرة سحبت من الينبوع غرباً الى مسافة عدة اميال للري . كان رفيقي المستر روبنصن في هذا المكان في ايلول من العام ١٨٤٦ ، وهو يقول ان الينبوع كان شحيحاً في ذاك الوقت لكثرة الترع التي سحبت منه ، وكان مجرى الماء تحت الجسر جافاً تماماً .

ها نحن قد اكملنا زيارتنا الى منابع الرافد الشمالي لنهر الكلب ، وكان بودنا متابعة رحلتنا لزيارة منابع الرافد الجنوبي الرئيسية ، الواقعة عالية تحت النواحي الجنوبية الغربية من جبل صنين ، فوق بسكنتا . ولكنا وجدنا ان ليس بامكاننا اتمام هذه المرحلة والوصول الى بيروت في اليوم التالي ، فولينا وجوهنا حالاً شطر بيروت .

بين الجسر الطبيعي وخرائب فقرا

ترعة من نهر اللبن . (طريق قادومية) . برج مربع . نقوش يونانية . الامبراطور طيباريوس كلوديوس . نصب ضريحي . هيكل صغير . هيكل كبير . طبقات عمودية في الصخور . مغـازة ادريسيخ . حواطة غريبة الشكل . اسس حواطتين . خرائب مدينة .

تركنا الجسر الطبيعي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة

[1] W. M. Thomson in Biblioth. Sac. l. c.

عشرة باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي ، ولم نلبث ان عبرنا الحرف المنخفض الذي يفصل حوض نهر الصليب الكبير عن واد صغير قليل العمق يجري الى الجنوب الغربي ويصب في رافد نهر الكلب الجنوبي . تخرج من نهر اللبن ترعة كبيرة ، فتسير عبر هذا الشلال الى مسافة بعيدة باتجاه بين الغرب والجنوب الغربي بجانب الجهة الجنوبية الشرقية من المنحدر السهل ، وبالقرب من اعلاه . رافقت طريقنا الترعة بعض الاميال ، تارة على جهة منها ، وطوراً على الجهة الثانية . وبعد انحدار تدريجي بعض الوقت ، ضربنا عبر الحقول الواقعة عن يميننا ، على طريق مختصرة (قادومية) للوصول الى خرائب فقرا .

البرج المربع

وصلنا اولاً الى الخرائب الواقعة في اقصى الشمال ، الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين . وهي خرائب برج قديم مربع قائم على الشلال نفسه ، يشرف من الجهة الواحدة على مضيق نهر الصليب ، ومن الجهة الاخرى على الوادي الطاق الذي كنا نسير فيه منذ هنيهة . يعرف العامة هذا البرج باسم القلعة[1] ، وهو برج صلب البنيان ، متين الاركان ، طول بعض حجارته خمس اقدام او ست . سقفه هجره الى حيث لا يدري ، واجزاء من جوانبه مهدمة . مدخله من الشرق ، وهو يؤدي الى ممرات ضيقة

١ سمع سيتزن ان اسمه القبة . راجع : Reisen, I. p. 248. sq.

داخله . في داخل البرج درج لولبي ضيق يفضي الى دور علوي والى غرفة صغيرة مربعة واقعة في منتصف البناء ، مسقوفة بحجارة منحوتة . ليس في كل البناء سقف معقود . والدرج مسقوف بحجارة كبيرة . لم يتعرف اي جزء من البناء على الملاط .

نقوش يونانية

على الحجر القائم فوق المدخل ، قطعة من النقوش اليونانية تحتوي اسم الامبراطور طيباريوس كلوديوس Tiberius Claudius . وعلى احد الحجارة الكبيرة في الجهة الامامية ، في الزاوية الشمالية الشرقية ، نقشٌ آخر باحرف يونانية كبيرة ، نحتت بدون اعتناء ، لم نفهم منها شيئاً [١] .

١ نقل سيتزن هذه النقوش .

راجع : Reisen, I. pp. 248, 249.

ونقلها ايضاً و. فون ريشتر . راجع :

O. v. Richter, pp. 553, 554.

ونقلها ايضاً المستر تومسون. راجع ما كتبه في كتاب المكتبة المقدسة ، العام ١٨٤٨ ، الصفحة الثالثة .

امـــا الامبراطور المشار اليه فنظن انه كلوديوس ، مع ان جيسينيوس سمى انه طيباريوس .

See Corpus Inscr. Graec. Vol. III. Par. 26. pp. 240, 241. Nos. 4525, 4526.

Gesenius Notes on Burckhardt, I. p. 525.

لم يجرب احد بعد ذلك ان يستوضح شيئاً عن اي من النقشين .

نصب ضريحي

ان طريقة تشييد البرج لا تدل على اغراض حربية ، واراني اميل الى الاتفاق مع سيتزن الذي يعتبره نصباً ضريحياً . بالقرب من البرج بئر بنيت جدرانها بحجارة منحوتة .

خرائب هيكل صغير

شرقي البرج تماماً ، كومة من الخرائب يتضح منها انها خرائب هيكل صغير . بعض حجارتها منقورة كأنها كانت سابقاً مبنية في افاريز او قواعد او تيجان عضادات . وعلى بضعة ردات جنوبي هذه الخرائب ، عدة حجارة كبيرة منقوشة تشكو وحدتها .

خرائب هيكل كبير

اما الخرائب الرئيسية ، فهي خرائب هيكل كبير يبعد خمس دقائق جنوبي البرج .

ارض غريبة الشكل

غربي البرج تماماً ، بالقرب من اعلى الشلال ، تبدأ قطعة ارض غريبة الشكل . فهي من الصخور الكلسية العادية ، تنحدر باتجاه بين

الجنوب والجنوب الشرقي وتتجاوز الطريق التي كنا نسير عليها . عرض هذه البقعة نحو عشرة ردات او اثني عشر رداً . اما وجه الغرابة فيها ، فهو ان طبقات صخورها عمودية ، وقد تآكلت على مرّ الزمن وتأثير العوامل الجوية ، فبدت باشكال متنوعة منها : الاعمدة ، والابر ، والكتل ، والسلاسل الجبلية ، تفصلها عن بعضها شقوق ضيّقة ، وهُويّ ، وممرات ، وغرف صغيرة ، واماكن خالية ، ترتفع كلها نحواً من عشرين او ثلاثين قدماً او اكثر . اما منظرها ففي غاية الوحشية والوعورة . وقد ذكرتني هذه البقعة ومناظرها بالمفازة الشهيرة في ادرسبخ Adersbach ، في بوهيميا الشرقية ، ولكنها بصورة مصغرة . يصدم النهر المنبثق من نبع اللبن جدار هذه البقعة الشرقي ، فيحدث فيه شقوقاً ، ويتابع مجراه الى الغرب ، عبر البقعة ، وسط احد الشقوق في الجدار ، حتى يتجاوزها ، اي البقعة .

على الجهة الشرقية اقتلعت الصخور لافساح مجال لبناء الهيكل وقسم من بهوه ، فاصبحت هذه الصخور المقطوعة بمثابة جدران تحيط بالبهو من الجهة الامامية . اما القسم الباقي من البهو الابعد الى الشرق ، فقد شيدت فيه جدران من الحجر الكلسي المصفرّ ، وتُرك له مدخل من الامام يتصل برواق قائم على العديد من الاعمدة وكلها من نوع الحجر نفسه . ومن الحق ان يقال إن جهة البهو الامامية كلها تظهر انها كانت قبلاً غاية في الاتقان والزخرف . اما جسم الهيكل نفسه فقد قام بعيداً الى الوراء ، بين الصخور ، على مدرج اكثر ارتفاعاً من البهو ، وقد شيد بالحجر الكلسي

المصفر" من الجنس نفسه[١] . الحجارة التي بني منها الهيكل كبيرة، وبنيت بدون ملاط . والرواق الفخم في الجهة الامامية كان يشتمل على اربعة اعمدة كبيرة او ستة من الحجر الكلسي" الوردي" ، قطر العمود منها ثلاث اقدام وتسعة انشات ، وتيجانها كورنثية . تظهر هذه الاعمدة زرقاء اللون من الخارج لانها تعرضت طويلاً للعوامل الجوية . قدرنا ان طول الهيكل لم يكن اقل من مئة قدم ، وعرضه لم يتجاوز الخمسين . اما معرفة ابعاده بالتدقيق فمتعذرة ، لان الخراب والتهدم شاملان ، والتشويش عام[٢] .

حواطة غريبة الشكل

على بضعة ردات شرقي الهيكل ، في الحقل الطلق ، حواطة

١ Seetzen speaks of this stone as " eine Art umbrabrauner (Kalkfelsen), welche weit weniger fest, aber leichter zubearbeiten ist;" Reisen, I. p. 248. Ritter Erdk. XVII. p. 520.

٢ سجل م. غيز قياسات الهيكل بالاقدام الباريسية كما يلي :

الطول	٩٥
العرض	٤٣
طول الاحجار	٣
عرض الاحجار	٢ ١/٢
طول العرصة	١١٦
عرض العرصة	٩٢

راجع : Ritter, I. c. p. 519.

صغيرة غريبة الشكل ، مبنية بحجارة منحوتة وكبيرة جداً ، لم اتمكن من معرفة حقيقتها ، بل استنتجت انها كانت في ماضيها ضريحاً . مساحتها الخارجية اربع عشرة قدماً فقط ، وهي غير مسقوفة ومدخلها من الجهة الجنوبية . سمك حجارة جدرانها من قدمين الى ثلاث اقدام . طول حجر واحد منها ثلاث عشرة قدماً ، وعرضه ثلاث اقدام ، وسمكه اثنان وعشرون انشاً . وحجر آخر اقل طولاً منه ، ولكن سمكه اربع اقدام ونصف القدم . اما الحواطة فخالية كلياً من الزخرف .

حواطتان أخريان

توجد ايضاً جدران او بالحري اسس حواطتين ، ولكنا لم نفهم عنها شيئاً راهناً . احدى هاتين الحواطتين قائمة في منتدف الطريق بين البرج والهيكل ، والاخرى جنوبي الهيكل وراء الطريق ، ولكنا لم نرها الا بعد ان رجعنا الى الطريق .

خرائب مدينة

جنوبي الهيكل ، بجانب الطريق ، خرائب لا حد لها لمدينة سابقة ، عظيمة الامتداد والسعة .

ان سيتزن هو اول من زار هذه الخرائب في الازمنة الحديثة ،

وقد زارها الكثيرون بعده [1].

بين خرائب فقرا وعجلتون

قرية المزرعة. اعمال الحرث. بساتين التوت. مضيق نهر الصليب. صعوبة الهبوط. طريق الماعز والغزلان. جسر ضيق ذو قنطرة واحدة. غروب الشمس وشروقها. قرية القليعات. زراعة التوت. قرية ريفون. دير عجلتون. اشكال هندسية غريبة.

تركنا الخرائب الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين ورجعنا حالاً الى الطريق التي كانت قريبة منا، وهي تمر وسط ثغرة في الصخور الكلسية. كنا نشاهد التركيب الكلسي نفسه عن يسار الطريق. تابعنا السير بجانب الترعة المسحوبة من نبع اللبن، وهي تجري عالية على المنحدر عن يميننا. مررنا على بقعتين منخفضتين في الحرف نفسه، قسمت الترعة في كل منها، وسحبت المياه على طول جانبي الحرف، على ارتفاع عدة مئات من الاقدام فوق الاودية على كل من الجانبين. يتابع نهر الصليب جريانه في مضيقه العميق على موازاة طريقنا تقريباً، وقد تبين لنا ان السير يكثر على هذه الطريق. اما الاتجاه فكان يختلف بين الغرب والجنوب الغربي،

[1] Seetzen Reisen, I. p. 248 sq.
O. v. Richter, pp. 101, 102.
W. M. Thomson in Biblioth. Sac. 1848, p. 3.
Ritter, XVII. pp. 513, 520.

وبين الغرب بجنوب ، طيلة الطريق حتى مصب نهر الكلب .
الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين وصلنا الى اول قرية المزرعة ، وهي قرية منعزلة عن غيرها ، وجد متسعة ، تمتد ميلين او اكثر بجانب الطريق . الساعة الرابعة كان الى يسارنا دير وقرية وراء الوادي المتسع ، على مسافة ميل ونصف الميل ، ولكني لم اعرف اسميهما . كانت اعمال الحرث سائرة على قدم وساق في كل اقسام الوادي الواقع عن يسارنا وبجانب الطريق التي نسير عليها ، وبساتين التوت الكثيرة منتشرة فيه . كنا لا نزال نشاهد اعالي جبل صنين تشمخ بعزة وجلال ، ولكنها كانت تتوارى بسرعة عن انظارنا .

الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة تحولنا فجأة الى اليمين ، وسط قسم آخر من قرية المزرعة ، وعبرنا الشلال المنخفض ، فلم نلبث ان بدأنا الهبوط الى مضيق نهر الصليب الشديد الانحدار ، والوحشي البعيد الغور . ان هذا الاحدور جد مخيف ، ومن اطول الاحادير التي جابهتنا حتى الآن ، واشدها انحداراً . الطريق فيه رديئة ، نزلناها بتعاريج قصيرة ، ولم يكن بيننا وبين السقوط رأساً على عقب ، الى اسفل المنحدر ، سوى قيد انملة عند كل تعريجة . ولكنا وصلنا الى القاع سالمين ، الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والخمسين . القينا نظرة على الطريق وراءنا فاذا بها لا تصلح الا للماعز والغزلان . النهر هنا غزير جداً وطام ، حدره منكدر ، وقاعه صخري ، وهو يتدحرج عليه ويخرخر عالياً ، وقد علا الزبد سطحه فابيض ماؤه . الوادي ضيق جداً ، وضفتاه منحدرتان واحياناً هاويتان وجد عاليتين ، تكسوهما انجم السنديان القزمة ، وحافة

النهر تهدبها اشجار الحور والدلب . اما ارض الوادي فمعظمها لا يتسع الا لمجرى الماء ، ولكن حيث تتسع قليلا فانك تلمس العناية بحرثها ، وترى على فترات قصيرة بيتاً يشغل بقعة صغيرة منها . ذكرتني هذه الهوة كثيراً بمضيق نهر الليطاني بين برغز وبلاط ، ولكنها هنا اكثر وحشة وعمقاً . يراوح ارتفاع جانبي الهوة هنا بين الف ومئتي قدم والف وخمسماية قدم ، وفي بعض اقسامها لا يقل الارتفاع عن الالف وخمسماية قدم . والنهر هنا اكثر غزارة منه هناك [1] .

توقفنا خمس دقائق عند الجسر . هنا رقاع ضيقة محروثة على الجلالي ، ورقاع اخرى ابعد الى تحت تعمر ببساتين التوت وتأنس ببيت او بيتين . الجسر نفسه ضيق ، وذو قنطرة واحدة ، وتطفّ عليه اشجار الدلب . اذا سرح المرء طرفه تحت الجسر من الجنوب يرى مشهداً شيّقاً ، هو منظر النهر مندفعاً بين اوراق النبات والاشجار التي تغطي ضفتيه ، مزبداً في مجراه المنحدر تحت الجسر . ان اتجاه المضيق هنا هو بين الشرق والشمال الشرقي الى الغرب والجنوب الغربي .

تركنا الجسر الساعة الخامسة . ان المرتقى على الجانب الاخر اقل صعوبة . تصعد الطريق عرضاً تدريجاً بتؤدة على الجانب المنحدر فلا يشعر المرء انها ترتفع به وهو سائر ، ولكنه لا يلبث ان يرى نفسه على ارتفاع فوق الوادي تحته . ولكن بالقرب من رأس الحدر ، ينحدر المرتقى كثيراً ويمتد مسافة قصيرة . الساعة

١ راجع الصفحتين ٣٨٦ و ٣٨٧ من المجلد الثالث للمؤلف .

الخامسة والدقيقة الثلاثين وصلنا قمة المرتقى ، فتمتعنا بمنظر نادر او بالحري غير مألوف ، هو مرأى الشمس كأنها تشرق من الغرب . عندما كنا في الوادي كانت الشمس قد توارت عنا فلم نعد نراها ، اذ كفنها الغروب منذ امد ، ولكن كلما اقتربنا من قمة المرتقى كانت تطل علينا من الغرب اكثر فاكثر كأنها في بدء اشراقها ، وما ان وصلنا القمة حتى رأيناها على ساعة او اكثر من الغروب الحقيقي .

الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين كانت قرية القليعات عن يسارنا تماماً . تابعنا طريقنا نحو الغرب بجنوب فوق بقعة عريضة مرتفعة هي صعيد غير مطمئن ، تكثر فيه الصخور والحجارة ، وتعلوه اشجار التوت . والحقيقة اننا لم نر على طريقنا غير اراض مزروعة توتاً الا نادراً ، حتى وصلنا الى القرب من الساحل . الساعة السادسة ألقينا لمحة خاطفة على البحر جنوبي بيروت عن الطريق التي نسير عليها ، من خلال ثغرة في الجبال المنخفضة . بعد خمس وعشرين دقيقة مررنا وسط قرية ريفون . الساعة السادسة والدقيقة الاربعين درنا حول دير عجلتون الكبير الرابض وسط اقليم غريب في شكله وتركيبه . فهو مركب من الصخور الكلسية الناتئة . ترتفع هذه الصخور ، خلال مسافات متفاوتة ، في اشكال خيالية تصويرية غريبة ، بعضها يتمشى على نظام هندسي يشبه الاعمدة والكتل ، والمساكن ، والابراج المربعة والمستديرة ، والقلاع ، والحصون والقصور وما اشبه . يرتفع بعض هذه الاشكال اربعين او خمسين قدماً . تمر الطريق وسط هذه الاشكال الغريبة ، وفي بعض الاماكن ، في شقوق ضيقة فيها .

ها نحن نفتش عن بقعة صالحة نضرب خيمتنا عليها الليلة ، ولكن الارض جد صخرية ، والتربة في كل مكان حجرة ، واشجار التوت تملأ المكان ، وارضها مفلوحة حديثاً ، فذهبت اتعابنا ادراج الرياح . الساعة السابعة والدقيقة الخامسة وصلنا الى الناحية الغربية من عجلتون ، وهي قرية كثيرة الاتساع ومتفرقة ، فعثرنا على موضعين « مشاع » طليقين حيث الطحلب كان سابقاً اخضر . ضربنا خيمتنا على احد الموضعين ، وسنبيت تحت سقفها للمرة الاخيرة . فتهالكنا على فرشنا وقد انهكنا التعب بعد سفر يوم طال حتى مللناه .

بين عجلتون ونهر الكلب

قضاء كسروان

المقر المركزي للموارنة . موقع القضاء . حده الجنوبي . روافد نهر الكلب ومنابعها . مغائر نهر الكلب . الشوير . بكفيا . بلونه . عين طوره وموقعها . دير مار الياس الراس وموقعه . ذوق مصبح وموقعها . ذوق مكايل وموقعها . دير طاميش وموقعه . ذوق الخراب . خان صغير .

السبت ، ١٩ حزيران . — نحن الآن في قضاء كسروان الغني ، وهو المقر المركزي للموارنة . يقع اكثر هذا القضاء على نجد متسع في الجبل ، وهو هنا يمتد من سفح صنين الى قرب شاطئ البحر ، تخترق كل مكان منه هويّ نهر الكلب واوديته الفرعية

العميقة . ونهر الكلب هذا هو الحد الجنوبي لقضاء كسروان .
ينبع رافد نهر الكلب الجنوبي من ينبوع غزير ، هو نبع صنين ،
على بعض المسافة فوق بسكنتا ، وتحت الجناح الجنوبي الغربي
لجبل صنين . ينحدر هذا الرافد في مجراه الى الغرب ، وينضم اليه
الرافد الشمالي ، وهو نهر الصليب ، تحت قرية الشوير . بعد ان ينضم
الرافدان الى بعضهما ، تشق هوتها السحيقة طريقها وسط النجد
باتجاه الغرب اولاً ، ثم باتجاه الشمال الغربي حتى البحر . تحت المكان
الذي يتصل فيه هذان الرافدان ، على نحو ساعتين من البحر ، تقع
مغائر نهر الكلب الشهيرة ، وهي مغائر وانفاق متتابعة ، تآكلت
من طول تعاركها مع النهر الذي يجري فيها الآن [1] .

دُلّنا على اتجاه الشوير ، فهي واقعة جنوبي نهر الكلب ، في
حوض واد يجري الى هذا النهر ، ولكن حرف جبل كان
يحجبها عنا [2] . ابعد قليلاً الى الغرب كنا نرى بكفيا ، موقعها جنوباً

١ راجع وصف هذه المغائر فيما كتبه و. م. تومسون في المشتري هرالد في العام ١٨٤١ ، الصفحة ٣١ .

Ritter, XVII. p. 526sq.

٢ راجع ما كتبه سيتزن عن قرية الشوير .

Seetzen Reisen, I. p. 555.

وراجع ما كتبه سيتزن عن دير مار يوحنا للروم الكاثوليك ومطبعته، وهو بالقرب من قرية الشوير .

Seetzen, I. c. p. 251 sq.

O. v. Richter, p. 98.

Ritter, XVII. p. 765 sq.

مكث فولني في الدير عدة اشهر ، ووصف مطبعته . راجع :

Voyage. II. pp. 174-184, Comp. I. p. viii.

See also Schnurrer Biblioth. Arab. p. 379 sq.

على بعد ميلين كما قدرنا .

ان سطح الارض في قضاء كسروان وعر وصخري للغاية . وقد تمكنا من تأثر شكل الهوي السحيقة واتجاه مجاريها . ان المنظر من خيمتنا كان جميلاً ومتنوعاً ، وهو يمتد فوق الاودية ، وسلاسل الجبال ، وكلها مستكملة الحراثة . كل بقعة تربة ، او بالامكان جمع التراب عليها ، كانت العناية بحرثها بالغة ، والبساتين المزروعة توتاً كثيرة . اننا نرى امامنا ومن حولنا اشجار الصنوبر ، مع اننا لم نصل بعد الى اراض رملية ، بل وصلناها بعد سير ساعة . القرى كثير عديدها ، والحقيقة ان الاقليم الساحلي يزدحم بها . البيوت متفرقة وبعيدة عن بعضها ، وكل بيت يستقل ببستانه . ان هذا التفرق وبعد المساكن عن بعضها يكسبانها مركزاً بهجاً ، ويزيدان في راحة سكانها ، ونظافتهم وسرورهم وانشراحهم ، ويدلان على ان هؤلاء الموارنة يعيشون باطمئنان وهدوء ، بعيدين عن مواطنيهم الدروز والسلابين من البدو . اما البقعة التي ضربنا خيمتنا عليها فهي اشبه شيء بساحة في قرية ريفية في « نيو انغلند » New England . الا ان المساكن ليست مدهونة ، وتفتقر الى الكنيسة ، والمدرسة ، والفندق الريفي ، وربما ينقصها حانوت الحداد .

ان هذا اليوم سيكون آخر عهدي بالسفر في فلسطين . بدأنا السير الساعة السابعة ، وبعد خمس دقائق ، تمتعنا بمنظر البحر الشائق ، كما سرحنا الطرف بشبه الجزيرة كلها ، ومدينة بيروت . ان اتجاهنا كان غرباً بجنوب ، والطريق جد مستقيمة حتى الجسر عند مصب نهر الكلب . كانت الطريق تهبط هبوطاً متواصلاً ، ولكن تدريجياً ، على ارض جد حجرة ومطروقة . الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة

كنا عند قرية بلّونة ، ومنها كنا نرى الشاطىء والقرى المنخفضة عنها اقرب الينا من قبل . الى يسارنا كنا نرى هوة النهر الكبيرة . في واد قليل العمق عن يميننا ، او بالحري سهل يمتد حتى البحر ، رأينا قرية عين طوره ، وتلفظها العامة عنطورة ، وهي لا تبعد عنا اكثر من نصف ساعة ، موقعها شمالاً ، عشرين درجة غرباً [١] . على اكمة منخفضة وراءها ، منحرفة قليلاً الى اليسار ، يقوم دير مار الياس الراس الكبير ، موقعه بين الغرب والشمال الغربي . تقع قرية ذوق مصبح في سهل يمتد نزولاً شمالي دير مار الياس الراس ، وهي الى الشمال الغربي من عين طوره . وفي الوادي التالي وراءها ، تقع قرية ذوق مكايل وهي القرية الرئيسية في كسروان ، موقعها الى الشمال الغربي بشمال . امامنا ، على نقطة مرتفعة من حرف جبل ناتىء الى الغرب ، على الجانب الشمالي من نهر الكلب ، يقوم دير طنّيس [٢] الكبير ، موقعه غرباً [٣] .

تنقسم الطريق عندما تصل الى حرف الجبل هذا . فالطريق الكبرى ، وهي التي يكثر السفر عليها ، تهبط عن الجانب الشمالي

١ راجع ما كتبه بركهاردت عن قرية عين طوره وديرها، الصفحتين ١٨٣ و ١٨٧ .
Ritter, XVII. p. 757 sq.

٢ لا ريب ان المؤلف يعني دير طاميش . — المعرب .

٣ يقول بركهاردت ان دير لويز (كذا في الاصل ولعله يعني دير اللويزة . — المعرب) يبعد ساعة عن عين طوره (على طريق بيروت) .
تقع ذوق مصبح مع دير مار الياس بين عين طوره وذوق مكايل .
وتقع قرية ذوق الخراب على مسافة نصف ساعة جنوبي دير لويز . وعلى مسافة نصف ساعة شرقي قرية ذوق الخراب ، يقوم دير طنيس .
راجع رحلته ، الصفحة ١٨٩ .

الى السهل ، فتصل الى عين طوره ، ثم تنحدر من هناك الى شاطيء البحر ، شمالي مصب النهر ، ومن هناك الى بيروت . وتسير طريق اخرى ، وهي اكثر استقامة ، ولكنها غير مطروقة كثيراً ، بجانب الحاجب الجنوبي لهذا الحرف ، وتنزل الى النهر فوق الجسر . سرنا على هذه الطريق الثانية ، فكان دير طنس عن يميننا الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين ، وهو اشبه ما يكون بحصن . ها نحن نبدأ بالهبوط الى هوة النهر كما يظهر ، ولكن عندما تحولنا الى اليمين ، ودرنا حول زاوية ، انخفضت الاكمة بسرعة ، فاذا نحن على وشك الوصول الى سهل لطيف ، ولكنه لا يزال اكثر ارتفاعاً من النهر . الساعة التاسعة وصلنا السهل ، وبعد عشر دقائق كانت قرية ذوق الخراب اقرب ما تكون عن يميننا . تابعنا سيرنا فوق السهل ، فوصلنا فجأة الى حافة هوة نهر الكلب السحيقة الهاوية . ان الحادور حاد وشديد الانحدار ومتعرج ، وقد لا يقل وحشية ورومانطيقية عن اي احدور اصطدمنا به الى الآن . وصلنا بطن الهوة الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين . وتابعنا انحدارنا مع مجرى النهر الذي يسهل علينا عبوره في الوقت الحاضر ، فوصلنا الجسر الحديث وعبرناه الساعة التاسعة والدقيقة الاربعين. وصلنا الى اسفل الممر الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين. هنا توقفنا قليلاً لندقق ثانية بالنقوش القديمة المحفورة على الصخور. جئت سابقاً على وصف الجسر ، والممر نفسه ، وعلى الطريق بينها وبين بيروت باسهاب ، في النزهة التي قمت بها الى هذه البقعة في اذار[1] . بين الجسر والممر خان صغير .

[1] اجع الصفحتين ١٢ و ١٣ من المجلد الثالث للمؤلف .

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٢١	١٧٢٣	١٦٩٧
٦	٢١	هذا الرسم	هذا في الرسم
٧	٢٠	كليتمنتسر	كليتمنستر
١١	١٤	آخر	آخر
١٤	٩	وسط	مرّ وسط
١٤	١٧	Georgr.	Geogr.
١٥	١٥	160	169
١٦	١١	Asysiri	Assyrii
١٦	١٤	puae	quae
١٦	٢٠	Postera	Postea
١٦	٢٣	dissertatt	Dissertatt
١٦	٢٥	lex	Lexx
٢١	١٨	208	280
٢٣	٣	Die	Dei
٢٣	٨	٢٩٧ ق. م.	٢٩٧ م.
٢٣	١٢	عناده	عماده

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣	٢١	Psach.	Pash.
٢٣	١٢	Chist's	Christ's
٢٦	٢٠	غيرها	غيرهما
٢٨	١١	آت من بكا	آت من الاصل العربي ، بكا
٢٨	٢٢	Ty.	Tyr.
٢٩	١٦	Hand.	Hanb.
٣٢	١٣	بالمقريزي[١]	بالمقريزي[٤]
٣٢	١٨	503.	503, Germ.
٣٣	١٦	Sheifeddrin	Sherifeddin
٣٧	١٣	الى الجنوب عندما اقتربنا منها	عندما اقتربنا اليها من الجنوب
٣٩	١٨	Locolu	Loculi
٤٦	١٨	تشرين	في تشرين
٥٥	١٤	بثلاث عشرة ونصف ساعة	بثلاث عشرة ساعة ونصف
٥٥	٢٤	Poti. Geor.	Ptol. Geogr.
٥٧	٧	Ghonachara	Chonachara
٥٧	٢٠	Guma	Cuma
٥٨	٣	Gabruda	Jabruda
٥٨	١١	Polt.	Ptol.

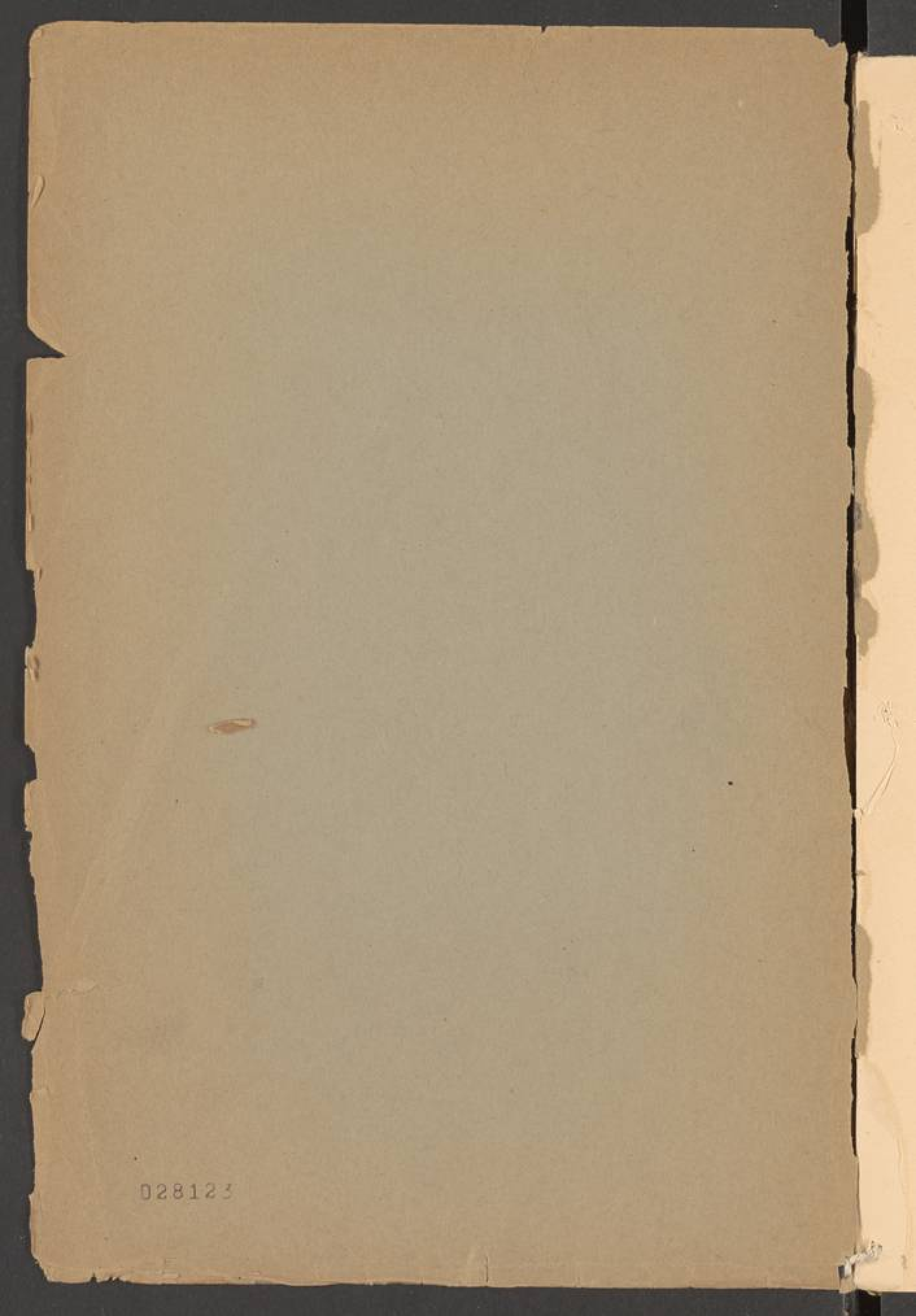
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٢	٥	فيتواصل	فتواصل
٦٣	١١	Aeliopolis	Heliopolis
٦٦	١٦	91	95
٦٦	١٧	du Liban	du Mt. Liban
٧١	٩	وتقوم	تقوم
٧٥	٣	القر	البقر
٧٧	٨	Kohler	Kohler, p. 150
٧٧	١٨	بين	عند
٧٧	١٩	٦٠ درجة	٣٠ درجة
٧٧	٢١		٥ درجات
٧٩	٢٣	Ess.	Esa
٨٢	١٨	766	756
٨٣	١٨	Ragus.	Raguse
٨٨	١٤	١٨٤٨	١٨٥٤
٩٢	١٢	ابيفاميا	ابيفانيا
٩٣	١٨	Syr. Kohler	Syr. ed. Kohler
٩٤	٢٢	Palaset.	Paläst.
٩٦	١١	السكك	النقود
٩٦	٢٠	٦٤٨	٦٨٤
٩٩	١٨	Hemesa	Hemessa
٩٩	٢٧	240	249

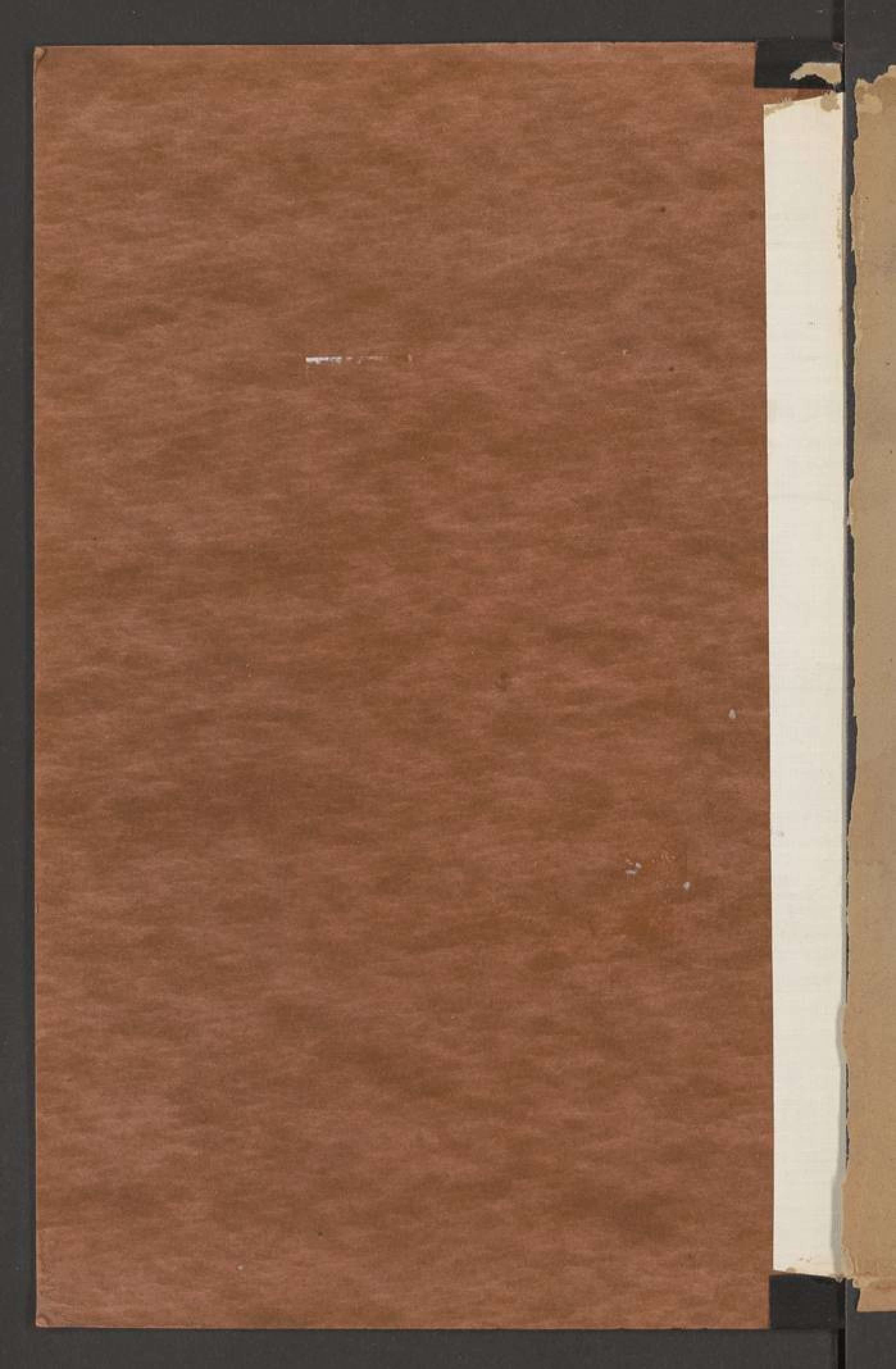
الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠١	٢٠	للمؤلف	
١٠٤	٢	Gabruda	Jabruda
١٠٥	٥	فوّنا	قوّنا
١٠٨	١٥	٦٩٢ و ٦٩٢	٦٩١ و ٦٩٢
١٠٨	٢١	Jambrudoum	Jabrudorum
١٠٩	١٨	٦٣٩	٦٨٩
١٠٩	٢٠	69.49	69.40
١١٧	٢٤	App. 181	App. p. 181
١٢٠	١٤	الجنوبي	الغربي
١٢٩	٣	شمالي	شمالي شرقي
١٤٦	٢٤	Sabast	Sebast
١٤٩	١٩	متوبجة	متموجة
١٥٣	١٢	جنوبي	غربي
١٥٨	١٩	اعلاه	ادناه
١٦٠	٤	وتسمته	وتسميته
١٦١	١	س	
١٦١	٢٤	Buckhardt	Burckhardt
١٦٢	٢٢	Araka	Arka
١٦٦	١٢	ويسمي	وهو يسمي
١٦٦	١٢	انهر	نهر
١٦٧	٤	بدنين	بدنين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٧	١٨	Botris	Botrys
١٦٩	٣	بدنين	ببنين
١٧٠	٢٠	النمير	النمر
١٧١	١٤	356	365
١٧٩	٦	صغير	قصير
١٨٠	١	ماروني	ماروني[١]
١٨٠	٢	الابعد[١]	الابعد
١٨٠	١٧	يقدر	يُعذر
١٨٤	١٣	١٧٧٥	١٧٥٥
١٨٥	١٦	١٦٣١	١٦٣٢
١٨٥	١٨	١٦٦٨	١٦٨٨
١٨٦	١٤	ich fermer	ich auch fermer
١٨٨	١٨	١٨٤٨	١٨٤٣
١٩٢	١٦	P.	H.
١٩٢	٢١	XVIII.	XVII.
١٩٢	٢٣	ejus cedrinis	ejus e cedrinis
١٩٢	٢٤	trabilus	trabibus
١٩٥	٢٠	Lex. p.	Lex. II. p.
١٩٧	١٦	وخمسمائة	
١٩٧	٢٢	Rihang	Bihang
٢٠٠	١٧	172	175

فهرس

تم طبع هذا الكتاب على مطابع نصـار
في اليوم العشرين من كانون الاول ١٩٥١ .





Robinson, E. — Biblical researches in Palestine
and in the adjacent regiones...